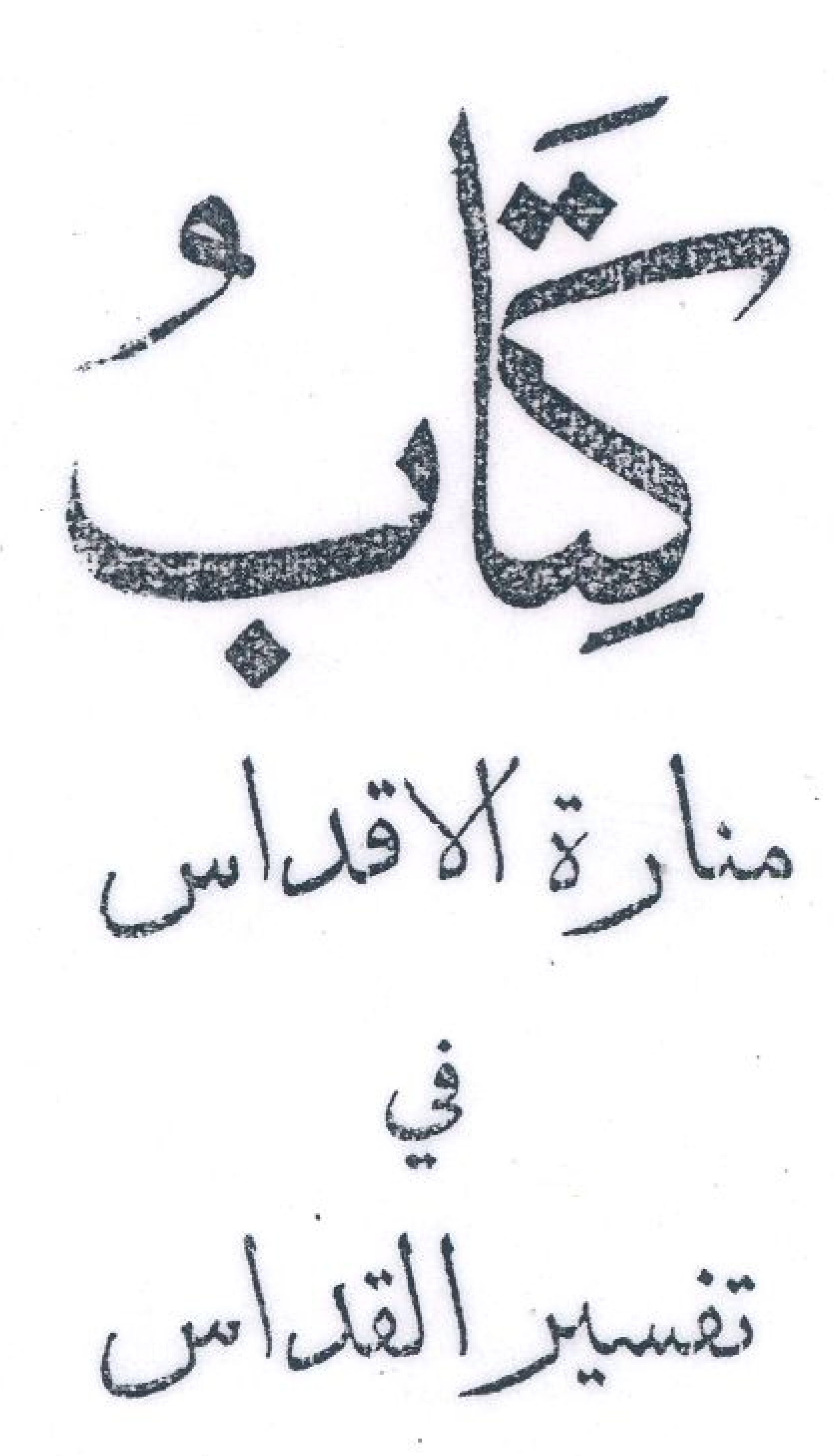


منارة الاقداس

في

تفسير القداس

ألفهُ العلاَّمة الفيلسوف الشهير الخوري يواكيم مطران
الراهب القانوني الباسيلي الرومي الملكي

عني بطبعهِ الخوري الكسيوس كاتب الراهب القانوني
الباسيلي البلدي

نظر فيه ووقف على طبعه الفقير اليهِ تعالى
خليل مخائيل البدوي

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٨ م





كتاب

منارة الاقداس

في

تفسير القداس

ألفهُ العلاّمة الفيلسوف الشهير الخوري يواكيم مطران

الراهب القانوني الباسيلي الرومي الملكي

عني بطبعهِ الخوري الكسيوس كاتب الراهب القانوني

الباسيلي البلدي

نظر فيهِ ووقف على طبعه الفقير اليهِ تعالى

خليل مخائيل البدوي

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٨ م

مقدمة الطابع

الحمد لله العلي القيوم الواحد بالجوهر المثلث بالاقنوم· اما بعد فيقول ملتزمهُ الفقير اليهِ تعالى وحده الخوري الكسيوس كاتب انني لما انتظمت في سلك الرهبانية القانونية الباسيلية عثرت على كتاب منارة الاقداس فتصفحتهُ فاذا هو درة يتيمة رفيعة القدر والقيمة حاوية من جمان الاقوال ما يزري بالدرر الغوال فتولاني الاسف الشديد لكون هذا الكنز الثمين الفريد لا يزال مدفوناً في زوايا المكاتب كسراجٍ تحت مكيال لا ينتفع به راغب ولا طالب مع ان في نشرهِ منافع ذات قدرٍ جزيل لكل مسيحي فضيل ولاسيما كهنة الطقس اليوناني الجليل اذ انهم يجدون فيهِ منهلاً صافي الموارد ومعيناً زلالاً يرتشفون منهُ خلاصة الفوائد مجموعة صبرة من كتب العلماء والقديسين بعد ان كانت في بحورها الطامية شوارد وان لهم فيهِ نبراس هدى يسرون في ضيائهِ ودليل صلاح يجرون تحت لوائهِ فيقفون فيهِ على شرح ما احتوى القداس الالهي الشريف من كل ترتيب سامٍ ومعنًى منيف وما تضمنهُ من الاسرار الخلاصية والادلة والرموز الخفية والافصاح عن كلٍّ من هذه الاشارات الطقسية المهيبة وبيان ما يترتب على الكاهن الصالح من الواجبات في تتميم الامور الالهية الرهيبة · ولدى تأَملي ما ينجم من الفوائد الروحية عن نشر هذا الكتاب بين ابناء جلدتي العربية وطائفتي الرومية الملكية هاجت بي عواطف الحمية ودفعتني الى عقد العزم على طبعهِ

ونشرهِ مع مشقة الطريق وعسرهِ وما زلت ابدد في سبيلي الموانع وابحث عما يفضي اليهِ من الذرائع حتى تيسر لي بحول الله الامر وعوّلت عليهِ الفكر فعرضت ذلك على غبطة مولاي الحبر الجليل راعي الرعاة النبيل كيريوس كيريون غريغوريوس الاول بطريرك انطاكية واسكندرية واورشليم وسائر المشرق الكلي الطوبى والقداسة فاجاب غبطتهُ بما عُهد فيهِ من حب نشر العلوم والمعارف ليستظلّ بنو الوطن في ظلها الوارف واستصوب هذا المشروع الحميد ونشطني على ابرازهِ الى عالم الوجود فاشتد بذلك عزمي ووجهت اليهِ جهدي وهمي

ولما كانت الظروف لا تمكنني من القيام بنفسي باكمال هذا المشروع الخطير عهدت بهِ الى صديقي الفاضل خليل افندي البدوي معتمدًا على ما لهُ في هذا الباب من طول الباع فما تردَّد ان ياخذ بيدي رغماً عن مهامهِ الجزيلة بل اغتنم بعض خلسات من اوقاتهِ القليلة لاصلاح الكتاب قبل الطبع وتولّى تنقيح عبارتهِ بقدر ما تحملهُ المقام ولما كانت الغاية من نشر هذا الكتاب افادة الجمهور تساهل حضرتهُ في ابقاء كثير من التراكيب المبتذلة على غرّها ليقرب مأخذها على العامة فلا يفوت الغرض المقصود وتسامح ايضاً في الاغضاء عن بعض الالفاظ الاصطلاحية العربية واليونانية التي جرت في الاستعمال مثل الرسامة والوظيفة والافشين وما اشبه لئلا يقع تشويش في المعنى او يبعد تناولها على القراء. اما شهادات الآباء والعلماء الواردة في سياق الشرح فقد أُبقيت كلها تقريباً على ما نقلها او ترجمها المؤلف ولو في بعضها بعض تعقيد اذ لم تصل اليد الى الكتب الاصلية المأخوذة عنها

وانني اسأَل الله سبحانه الذي سعيت في هذا العمل اخلاصاً لوجههِ الكريم ان يؤَيد بنعمتهِ مسعاي ويحقق رغبتي ومتمناي في جعله هذا الكتاب مفيدًا لبني الكنيسة والوطن راجياً ان يسوق خطواتي الى كل عمل حسن فان عليهِ وحدهُ الاتكال في كل حال

لمعة من ترجمة صاحب الكتاب

ولد الخوري يواكيم مطران في مدينة بعلبك سنة ١٦٩٦ من عائلة كاثوليكية عريقة في التقوى من آل مطران فربَّاهُ والداهُ منذ صغرهِ بخوف الله حتى تعشق الزهد وشبَّ على الفضيلة فاصبح بين اترابهِ نموذجاً للتقوى وقدوةً لكل عملٍ صالحٍ . ففي تلك الغضون نشأَت الرهبانية القانونية الباسيلية في لبنان وانتشر رسلها الغيورون في الآفاق يفلحون في كرم الرب باتعاب واعراق الشهداء الاولين ذايين عن الايمان القويم هادين الى سبل الرشاد من غوى مؤَيدين المؤْمنين في جادة الهدى صائرين للفضيلة والكمال الانجيلي قدوةً ومثالاً وطار ذكرهم في كل وادٍ واشتهر فضلهم في كل نادٍ واخذ ينضم اليهم اولو البر والفضيلة متجندين لله رب الجنود . وكان من جملة هؤُلاء الخوري يواكيم صاحب هذه التوجمة فجاءَ دير النبي يوحنا الصابغ وابتدأَ في السيرة النسكية نحو سنة ١٨٢٩ ثم نذر النذور الرهبانية في سنة ١٧٣١ ومن ثم اخذ يرتقي معارج القداسة والكمال قاضياً اياماً مع لياليها باقامة العبادة والصلاة ودرس الكتب الروحية مكبًّا على مطالعة تآليف الآباء القديسين وقد انحاز في حين اقامتهِ في الدير المذكور الى البرّ التقي علامة

عصره الجهبذ النحرير الشماس عبد الله زاخر الشهير صاحب التآليف الخطيرة والآثار المبرورة الكثيرة منشىء أول مطبعة في هذه الديار الشرقية فاستقى ينابيعه من بحر الزاخري الزاخر علم اللاهوت والفلسفة وتخرج عليه في اداب اللغتين العربية واليونانية حتى نبغ والّف عدة كتب ورسائل بعضها فقد وما سلم منها لا يزال خطاً مزوياً في بعض المكاتب واشهر تآليفه كتابه هذا منارة الاقداس وكتاب الايضاحات النطقية وكتاب الايصوغاجي في علم المنطق

ثم انهُ التصق برئيس هذه الرهبانية حينئذٍ الطيب الذكر الشاعر المسيحي المشهور الخوري نيقولاوس الصائغ صاحب الديوان المأثور فاقتبس عنهُ قبسات الآداب المسيحية وتحدى آثار غيرته الرسولية حتى تضوع ذكر فضائله في كل الارجاء فبعثت به الطاعة للقيام باعمال الرسالة المقدسة في عدة انحاء وقد شدَّد ايمان الكاثوليكيين المضطهدين وألانَ قلوباً صماء بمواعظه الناجعة ودرر اقواله الساطعة حتى هدى الى سبيل الرشاد خلقاً كثيراً ·

وما زال مثالاً للفضائل ورسماً

للقداسة حتى توفاه الله

سنة ١٧٧٢

فاتحة الكتاب

الحمد والمجد ليسوع المسيح الذي شرح صدور مؤمنيه بما جلاه بالايضاح عن سره المصون الغامض . واسفر بتفسير الهامه عما كان بكنه ذبيحة القداس الالهي بالإيضاح من الادلة والامثال الغوامض . ونضى استار الاسرار عن وجه المرموز . ورتاج الكنوز بيد روحه الفائض . فانبسط من معاني القداس الالهي ما كان منقبضاً في رواجب الادلة والتمثيلات القوابض . وجلا بجلياته مضمرها المبهم وجلاها من ظلمات مرابضها وكانت في اظلم المرابض . وجعل الذبيحة الدموية ذكراً لآلامه وشكراً لنعمه واستماحة لآلائه الفوائض . ودواماً واستمراراً لذبيحة الصليب ووفاءً مستمراً عن الخطايا فائضاً غير ناضب ولا غائض . فرض علينا تناول جسده ودمه الاطهرين بامر لازم فكان من الزم الفرائض . وهو الابن القدوس المتجسد من مريم امه البكر المسجود له من كل الخلائق السواكن والنوابض . حمداً يوطدنا على الايمان بهذا السر الفائق الاذهان نزدري به كل معارض ومناقض . امين

وبعدُ يقول العبد الذليل الكليل الجاني . المقر بما فيه من التواني . يواكيم القس الراهب القانوني . المنضوي تحت لواء القديس باسيليوس العظيم من مجمع رهبان دير القديس يوحنا انني لما هببت من سنة الغفلة رأيت اغلب المسيحيين لا يعلمون العلم التام . ما منَّ به تعالى عليهم من الإنعام . بذبيحة القداس الطاهرة الكلية الشرف والكمال . ولا يزكنون ما تعنيه طقوسها ورتبها من الاسرار الالهية الفائقة الجلال . المدلول عليها برتبة ما تشتمل عليه الخدمة المقدسة من الافعال والاقوال . مع انها مستعملة على التوال . ومقدمة في كنائسهم ومذابحهم يوماً فيوماً بالاتصال . ولعمري لقد كان يقتضي دوام تكرار هذا الطقس المفعول . ان تكون مدلولاته مغروزةً ومنطبعة اشدَّ انطباعاً في الافهام والعقول . بيدَ انها حصلت الان عند اغلب الناس واوفرهم سموّاً اكثر ابهاماً واشد تنكيراً من كل مبهم ومجهول . وسبب ذلك خلو اللغة العربية . من شرح يوضح معاني ما تعنيه طقوس هذه الذبيحة السرية . الممثلة باختلاف طقوسها افعال السيد المسيح منذ تجسده حتى

حلول روحهِ القدوس على تلاميذه الاطهار بشكل السنة نارية . نعم يوجد في هذه اللغة الكتاب المدعو بمنهاج الكهنوت المترجم من اللغة اليونانية . الى العربية . وقد حوى ضمنهُ شرح طقوس القداس شرحاً بوضح معانيها وخوافيها . ويسفر عما كن فيها . لكن بما انهُ كتاب قُصد بتاليفهِ وابرازهِ تعليم أُلي الدرجات ليعلموا ما يجب ان يرقي فهمهم اليهِ . ويعولوا عليهِ . لم يكن مشتملاً فقط على ايضاح رتبة القداس . بل على موضوعات شتى ذات بونٍ وشطط مختلفات الانواع والاجناس . وحصلت فيهِ ايضاحات ما تشتمل عليهِ طقوس الذبيحة من رموز الاسرار كدوح سني في كثيف الغياض . او زهر جني في وريف الرياض . او كوردة مستورة في الكمام . او كشمس متلفعة بالغمام . فضلاً عن ان مؤلف هذا الكتاب في اللغة اليونانية . هو من المخالفين تعليم الكنيسة الرومانية . في حقيقة هذه الذبيحة واستحالتها بقوة الكلمات الربية الجوهرية . ولم تزل حتى الان محررةً في اصله اليوناني وانما اصلحت با لنقل العربي بحسب صحة الاعتقاد الكاثوليكي الروماني . ولكن بدون ادلة لاثبات هذه الحقيقة الدينية الصحيحة الاسناد . ودحض ما يضادها من غير المتحدين مما ينافي حقيقة الاعتقاد . فعند ذلك عصفت بي رياح الارتياح الى ان الج لجّ كتب بيعة الله من تفاسير العلماء الافاضل المشهود لهم في كل مقام مشهود . وانتخب من قاع بحر تفاسيرهم كل جوهر منضود . واجتني من افنان فنون شروحهم ما راق معنى حسب المرام المقصود . فكشفت قناع كل دال ومدلول . وقصمت قيد كل معنىً مغلول . وفصمت عرى كل رمز ومرموز . وفتحت مغالق تلك الكنوز . وابنت وجوه توجيه هذه الادلة وتلك الطقوس . حتى لاق ان تحمل اجابتهُ على الرؤوس . وينادي لسان الحال بالمين الغموس . انهُ لا عطر بعد عروس . وشفعت ذلك بايراد البراهين القاطعة . والشواهد الجليلة الساطعة . على حقيقة التقديس والاستحالة . بالكلام الجوهري الملفوظ بفم المسيح بلا محالة . ولم اسلك بهِ سبيل الاسهاب . المفضي الى الملل . ولا الايجاز المؤدي الى الخلل . بل الجدد الاوسط بين طرفيهِ . حتى اذا ما كان كذلك تتعشقهُ الافهام . وتتوق اليهِ كما يتوق الظامى الى قطر الغمام . ويسهل على الطالب الراغب مطالعتهُ ومقتناه . ويحصل على مبتغاه . ثم سميتهُ « منارة الاقداس » في « تفسير القداس » يتضمن مقدمة وخاتمة وثلاثة اقسام يشتمل كل قسم على عدة من الفصول . اجلى من فرند النصول . بشرحٍ يشرح الصدور . ويلهي الوارد من بحر وروده عن الصدور . فجاءَ بحمد الله تفسيراً مفيداً كافياً . ودواءً لاسقام الجهالة شافياً .

فدونكهُ ايها البرالتقي . والكاهن المنقي النقي. كتاباً مودعاً فرائد الفوائد . وجامعاً شذور العقود ناظماً نثرها في سلك نحور العقائد . وحالاً عنها حُبا جميع المعاقد . بعون من هو الاول والاخر . والباطن والظاهر .

وكان تمام تبييضهِ في دير القديس اشعيا النبي في جبل كسروان . في شهر اب المبارك. سنة (١٧٥١) الف وسبعمائة واحدى وخمسين للتجسد الالهي . والحمد لله في كل بدء وختام . امين

مُقَدَّمَة

في لوازم القداس الشريف

انهُ لما كان الكهنوت وتقديس الذبيحة امرين متلازمين متضايفين لا ينفك احدهما عن الاخر لان الكاهن يفهم بهِ خادم ناموسي يقدم الذبيحة على اسم الكنيسة بطقسها الواجب السري . والذبيحة يراد بها تقدمة شيء محسوس لله من خادم ناموسي وهي اول وظائف الكاهن واخصها لان الدرجة الكهنوتية تلاحظها اولاً بالخصوص ولما كانت الذبيحة المشار اليها تقتضي من الخادم استعداداً واجباً ومكاناً تقدم فيهِ واعداد بعض لوازم يقتضيها تقديها الواجب حسن بنا قبل الشروع بشرح طقوس ذبيحة القداس ان نتكلم اولاً في خدامها . وفي ما يجب عليهم من التأهب والاستعداد الواجب قبل تقدمتها والاماكن المقدسة التي تقدم فيها . ثم نشرح بعض لوازم واجبة تقتضيها تقدمة هذه الذبيحة الطاهرة . فمن ثم نقسم هذه المقدمة الى سبعة فصول

الفصل الاول

في خدام الذبيحة المقدسة اي المتشرطنين ودرجاتهم ووظائفهم

اعلم ان الشرطونية لفظة يونانية . معناها وضع اليد لان معنى (شير) يد . ومعنى (تينين) وضع. فجمعها يكون (شيرظونيا) اي وضع اليد . وهذه التسمية تطلق دائمًا في الكتب المقدسة وغيرها على سر الارتسام اذ ان الكتاب المقدس كلما ذكر هذا السر عبّر عنهُ دائمًا بلفظة وضع اليد . وهكذا يدعى في كل الافخولوجيونات الروم واللاتينيين . بل ان المجامع والآباء الشرقيين لا يعنون دائمًا سر الارتسام الاّ بوضع اليد وقلما يدعونهُ بغير ذلك ومن ثمَّ انتج ان وضع اليد هو ضروري في سر الارتسام بضرورةٍ جوهرية وذلك بالنسبة الى الكاهن والشماس الانجيلي (الدياكنوس) اما سر الارتسام فتعريفهُ «سر الناموس الجديد بهِ يعطى السلطان لمباشرة الوظائف الاكليريكية ولا سيما السلطان لتقديس الافخارستيا او لمباشرة وظيفة ما ملاحظة الافخارستيا مباشرة متعلقة بالوظيفة او سر تعطى بهِ السلطة الروحية على خدمة الاسرار الالهية ويطبع في النفس ختماً غير ممحوٍّ»

ويقسم السر المذكور الى سبعة ارتسامات وترتيبها على عادة البيعة الرومانية كما يلي: البواب ثم القاري ثم المقسم ثم الشمعداني ثم الرسائلي ثم الانجيلي ثم الكاهن ويطلق هذا الاخير على القس ورئيس الكهنة . واما ترتيبها حسب الطقس الكنسي الشرقي فكما يأتي رتبة القارئ (الانغنسط)ثم الشماس الرسائلي(الابودياكنوس)ثم الشماس الانجيلي(الدياكنوس) ثم الكاهن . فرتبة الانغنسط اذًا عند الكنيسة الشرقية الرومية تتضمن ثلث رتب غيرها وهي رتب البوابين . والمقسمين . وحاملي الشموع . لان الروم اعتادوا ان يعطوا . بهذه الرتبة الرتب الثلاث المذكورة ايضًا . وبها يختلفون عن عادة الكنيسة الرومانية التي اعتادت ان تعطي كل رتبةٍ من المذكورات وحدها غير انهم يتفقون بالبقية مع الكنيسة الرومانية . ويسمون الخمس الاولى رتبًا لا درجات ويدعون غيرها بالدرجات الكبار المقدسة المختصة بالشرطونية اذ على المرتسمين بهذه الاخيرة فقط توضع اليد التي هي مادة الشرطونية كما ذكرنا وتقال الصورة الدالة على السلطان الممنوح وهي «النعمة الالهية التي للضعفاء تقوّي وللناقصين تكمل . هي تنتخب فلانًا وترفع فلانًا . الخ» واما البقية فليس لها وضع اليد . بل الختم باعطاء البركة ولا تتلى على المرتسمين بها صورة السر المذكورة

حسب الطقس الجاري في كنائسنا والمحرر في الافخولوجيون . فمن ثم دعيت ارتسامات صغرى وذلك لانها لا تمنح سلطانًا وشرفًا نظير السلطان والشرف المختصين بالارتسامات الكبرى .

اما الاسقفية والقسوسية والشماسيّة فقد دعيت بالارتسات الكبرى والمقدسة ايضًا فكبرى لانهُ بها يحصل المرتسم على درجة عليا من السلطان . ومقدسة لانها مقترنة بنذر العفة وتمنح اذنًا وحقًا على لمس الاشياء المقدسة كالآنية والمناديل المقدسة وجسد السيد المسيح بل تدعى ايضًا في كتب العلماء على نوع خاص ارتسامات رئيسية وهي ثلثة حسب تعليم القديس ديونيسيوس: التطهير والتنوير والتكميل

اما كون الارتسامات في الكنيسة سبعة فلأن الوظائف الملائمة خدمة السر الاقدس سبع وهي (اولاً) تقديس السر وتقدمة ذبيحة القداس الالهي . وهذا يختص بالكاهن مطلقًا (ثانيًا) خدمة الكاهن في كل ما يخص خدمة الذبيحة وتوزيعها . وهذه وظيفة الشماس الانجيلي الذي هو اقرب الى الكاهن في الخدمة ولذا يسمى بالدياكنوس ومعناها باليونانية الخادم (ثالثًا) إعداد مادة التقديس وآلات القدس ووضعها على المذبح وخدمة الكاهن بغسل يديهِ وهذه وظيفة الابودياكنوس ولما كان من واجباته المحافظة على الاشياء المذكورة سمي مكان حفظها دياكونيكون (رابعًا) تقديم ما ذكرناهُ للابودياكنوس ليعد ذلك في الاواني المقدسة والاتيان بالشموع لعمل القداس الالهي وخدمتهِ . وهذه وظيفة الشمعداني الذي يسد مسدهُ عندنا الانغنسط (خامسًا) التقسيم على الشياطين واخراجهم من المؤمنين ليكونوا اهلاً لحضور الذبيحة الالهية . وهذه وظيفة المقسم (سادسًا) القراءة لتعليم المؤمنين وإعدادهم لتناول القربان المقدس باستحقاق وتعليم الموعوظين وإرشادهم وهذه وظيفة القارئ (سابعًا) منع غير المستحقين عن تناول السر الاقدس وقبول المستحقين . وهذه وظيفة البواب لان خدمة البوابين هي حفظ الابواب خاصةً في حين القداس الالهي بعد اخراج الموعوظين من الكنيسة كما نوضح ذلك فيما بعد

فاختصاص هذه الوظائف اذًا وتوزيعها هما على حسب تقسيم الرسامات السابق ذكرها الجاري في الكنيسة الرومانية التي اعتادت ان تعطي كل رتبة من المذكورات وحدها وتخصصها بوظيفة قائمة بها . اما حسب الطقس الجاري في كنائسنا الرومية فليس كذلك لانهُ حسبما سبقنا فقلنا ان درجة البواب ودرجة المقسم ودرجة الشمعدانيين (اي حمال المصابيح والشموع في اوقات البواعيث والصلوات الذين يلقبون ايضًا

بالتابعين لانهم يتبعون و يتقدمون بالمصابيح والشموع الكهنة والشمامسة في الخدم التي يحتاجون اليها)هذه الدرجات الثلاث لاتوجد الآن مميزة عند الكنيسة الشرقية الرومية بل تعطى ضمن درجة الانغنسط فمن ثمَّ كانت لهُ وظائفهم ومباشرة خدمتهم ٠اما وظيفة المقسم فتعطى عندنا بطريق المنحة وقد اعتاد الرؤساء ان يمنحوها بعض كهنة كما يمنحون السلطان على قبول الاعتراف ٠اما وظائف الاسقف والكاهن والدياكنوس فعليك بمطالعتها في كتب العلماء المطولة

(سوال) أَ يستطيع الشماس الانجيلي ان يعد رتبة الذبيحة

(نجيب) انهُ لقد حرر في الافخولوجيونات التي طبعت اخيراً في البندقيه ان الشماس ياخذ القربانة المقدمة ويخرج منها بالحربة ثلاثة اجزاء (اولاً) لاجل الاموات (ثانيًا) لاجل نفسهِ (ثالثًا) لاجل من يشاء من الاحياء ويذكر اسماء اولئك الذين يقربها لاجلهم ويضعها جميعها في الصينية نظير الكاهن الا انهُ قد انكر ذلك سمعان التصالونيكي وغريغوريوس باكيماس و بطرس اركوديوس الذي قال ان هذه الرتبة اي رتبة تقريب الشماس الاجزاء هي محدثة وزادها الروم المحدثون في الافخولوجيونات المطبوعة في البندقية فيجب ان ترفع . اما ايا كوبوس كواد احد رهبان القديس دومينيكوس فقد أيد ذلك وأثبتهُ ضد اركوديوس وغيره في كتابه المعروف بتفسير رتب اليونانيين مستشهداً بما كتبهُ القديس جرمانوس الذي يقول في تفسير الخدمة هكذا : ان الشماس يقطع الجسد الرباني نفسهُ لا الاجزاء وحدها وذلك من خبز التقدمة والبركة كائنةً من لحم جسد بتولي كما تقلدت الكنيسة العظمى من الاولين وثبت هذا المعلم رأيهُ هذا بدلائل اخرى اما نحن فنقول انهُ ليجب علينا ان نتبع العوائد الجارية ولا نظهر بشيء جديد

الفصل الثاني

في استعداد خدام الذبيحة الواجب قبل تقدمة هذه الذبيحة الالهية وفي حين تقدمتها و بعد فروغهم منها

لقد صدق أيمة العلماء اللاهوتيين اذ قالوا بالاجماع ان الاسرار لا تكمل بالفعل الفاعل المراد بهِ استعداد الشخص الفاعل السر واستحقاقه بل بالفعل المفعول الذي هو

ذات صيرورة السر وفعله وهو الفعل السري المرسوم من السيد المسيح او استعمال المادة والصورة المرسومين منه تعالى ولهذا اذا مارس الكاهن الخاطي سرًّا من هذه الاسرار مثلاً اذا قدس وهو في حال الخطإِ المميت فان السر يكمل على يده كما يكمل على يد البار الاَّ انهُ كلما مارسهُ وهو في هذه الحال يخطأُ خطأً مميتًا جهنميًا. فبناءً على هذا اذًا نقول (اولاً) يجب على الكاهن حين مباشرتهِ سرًّا ما ولا سيما خدمة الاسرار الطاهرة بتقدمة الذبيحة الالهية ان يكون (أً) من جهة النفس والجسد حاصلاً على الاستعداد المطلوب من قبل الشريعة الالهية والكنسية اما الاستعداد من حيث الجسد فعلى الكاهن مطالعتهُ والوقوف عليهِ من كتب العلماءِ واما الاستعداد من حيث النفس فهو ان يكون في حال النعمة ناجيًا من الخطيئة المميتة وذا قلبٍ بريءٍ من كل انعطاف شهواني ناجٍ من غش الحقد وهكذا يتقدم نحو المائدة الالهية ويقرِّب ذبيحة الحمل النقي «الذي لم يصنع خطيئة ولم يوجد في فمهِ مكر. (بطرس اولى ٢ عــ ٢٢) والاَّ فينافق نفاقين (احدهما) تناولهُ القربان المقدس وهو في حالٍ رديئة (ثانيهما) تقديسهُ السر وهو في حال الخطيئة المميتة. ومن ثم حسنًا شبه العلماء بيوضس المنافق الذي يتجاسر ان يلمس بايدٍ متدنسة الخروف النقي مفتريًا عليهِ تعالى ومهينًا اياهُ في اقنومهِ الالهي «صالبًا لنفسهِ ابن الله ثانيةً» (عبرانيين ٦ عــ ٦) حسب تعليم الرسل بل يكون هو عينهُ يوضس الثاني. لانهُ كما ان ذاك التعيس الحظ «كان سارقًا» (يوحنا ١٢ عــ ٦) ورجلاً قاتولاً بتسليمهِ دمًا زكيًا هكذا الكاهن المقدس الاسرار الالهية في حال الخطيئة المميتة يكون بالحقيقة لصًا ورجلاً قاتولاً على انه يخطأُ بحسب هذين النوعين خطأً اشدَّ جرمًا من خطيئة يوضس الدافع كما قرَّر العلماءُ الروحيون المتنورون. ان اكليمنضس الاسكندري لما تأمل هذا الامر الفظيع هتف قائلاً: يا لهُ من نفاق رجل يختلس الهًا. اما القديس ايرونيموس فاخذهُ الحنو والاشفاق على الكاهن الشقي المتدنس بالاثم قال: ناشدتك الله يا من هذه الحالة حالهُ ان ترحم نفسك وان كنت لا تريد ان تتوب حبًا بالسيد المسيح فتب فلما يكون خوفًا من هلاكك الابدي ارثِ لغباوتك فمثلك مثل انسان احمق ماضٍ الى ينبوع الحيوة لكي يشرب سمًّا زعافًا

فيجب اذًا على الكاهن المتصف بهذه الحال ان يستفرغ خطاياه بواسطة الاعتراف ويحسن تنقية ضميرهِ وتطهير نفسهِ بالندامة الكاملة. ثم يتقدم الى تقدمة ذبيحة الحمل النقي بخوفٍ وجزع على انهُ بعد ان يفرغ جهدهُ في تطهير نفسهِ وتنقيتها كما ذكرنا لا يظنَّ في

نفسهِ انهُ قد تطهر كما يجب بل فليتضع وليعد نفسهُ متدنسة امام الله متذكرًا ما سطر في سفر ايوب « ما الانسان حتى يزكو او مولود امرأةٍ حتى يبرّر ها ان قديسيهِ لا يأْتمنهم والسماوات غير زكيَّة في عينيهِ فبالحريّ الرجس الفاسد الانسان الذي يشرب الاثم كالماء» (ايوب ١٥ : ١٤ و١٥ و١٦) فمن ذا الذي يحسب نفسهُ حاصلة على حال النقاوة الواجبة ليستطيع ان يلمس بشفتيهِ كاس الرب و يشرب دمهُ الزكي

وما عدا ما ذكرنا يلزم الكاهن (٣) ان يكون حافظًا لا ما يخص ماهية الذبيحة فقط بل جميع الطقوس المرسومة من الكنيسة ايضًا (٣) يلزمهُ ان يكون قد تقدم قبل التقديس فصلى صلواتهِ المعلومة الفرضيه والنافلة اما الفرضية فهي صلوة نصف الليل وصلوة سحر اما النافلة فهي ان يصرف زمانًا ما بتلاوة بعض صلوات نشيطة حارة يحرك بتلاوتها قلبهُ استعدادًا لخدمة الاسرار (٤) ينبغي لهُ ان يوجه نيتهُ ويخصص اثمار الذبيحة للذين قد التزم ان يقدس لاجلهم . هذا ما يجب على الكاهن من الاستعداد قبل القداس

نقول (ثانيًا) : اما في حين خدمة القداس الالهي فيحتاج (١) الى ثلثة اشياء على الخصوص وهي الاصغاء والاحتشام والعبادة وما عدا ذلك يجب عليهِ (٢) ان يحذر جدًا مما يمكن ان يحدث من النقائص في التقديس . وان يصلح ذلك اذا حدث على نوع واجب (٣) يلزمهُ في حين عمل التقديس ان يحوز نية وقصدًا باطنًا لتتميم السر سواءٌ كان هذا القصد حالاً او قوةً اي انهُ يجب عليهِ ان يقصد بعمل السر لا الامر الظاهر فقط بل السري ايضًا . اي يقصد بعملهِ المذكور ما تحققتهُ البيعة او كما رسم المسيح لان تكميل السر يقتضي قصدًا بعين العمل لوجودٍ سري و يزيل تجرد الالفاظ والافعال الممكن اتجاهها بالقصد الخارج الى غايات اخرى ليست بسرية كاللعب والتقليد وامثالها فمن ثم كان القصد الباطن ضروريًا لاتمام السر و بدونهِ لا يكمل

نقول (ثالثًا) : اخيرًا يجب على الكاهن بعد القداس ان يسدي الشكر لله مخصصًا لذلك برهة من الزمان . وقد عين بعض علماء الذمة هذا الزمان قالوا ليكن قلما يكون مدة ربع ساعة غير انهُ يجب على النشيط الاَّ يكتفي بذلك

(تنبيه) اعلم انهُ لما كانت الصلوات الفرضية من لوازم خدام الذبيحة و بالنتيجة هي وظيفة الكاهن الثانية الملتزم بتلاوتها كل متدرج بالدرجات المقدسة نذكر الان ماهيتها وعددها واسباب وضعها وغير ذلك من لوازمها بعدة اسئلة في الفصل التالي

———

الفصل الثالث

في الصلوات الفرضية الكنسية الواجبة على الكاهن تلاوتها قبل تقدمة الذبيحة ويشتمل على سبعة اسئلة

(السوال الاول) ما هي الصلوات الفرضية القانونية التي التزم بتلاوتها بطريق الامر كل متدرج بالدرجات المقدسة وكم هي

(الجواب) ان الصلوات المذكورة هي التي رسمتها الكنيسة على خدامها بوصية خصوصية صريحة كما سطر في المجامع المقدسة وعينت ايضًا الزمان الذي يجب ان تتلى فيهِ وعدتها سبع وترتيب نظامها في طقسنا اليوناني كما يلي :(اولا) صلاة الغروب وتصير في هذا الوقت تذكرة لانزال جسد ابن الله من على الصليب . (ثانيًا) صلوة النوم ونصلي حينئذٍ تذكرة لوضع جسدهِ الاقدس في الضريح الجديد . وهاتان الصلاتان تشيران ان المسيح الذي هو شمسنا المعقولة قد غاب بموتهِ المحيي وتوارى بهما نسالهُ الغفران وننتظر اتيانهُ وظهوره ليمنحنا نعمة اشراقهِ الابدي (ثالثًا) صلاة نصف الليل وقد فرضت وأُمر بتلاوتها في هذا الوقت لنسبح ابن الله الذي ولد في نصف الليل وتذكرة لتسليمهِ لليهود من يوضس الدافع في البستانَ واحضاره ليلاً امام حنان وقيافا وقيامتهِ المجيدة (رابعًا) صلاة سحر وتتلى وقتئذٍ ذكرًا لاحضار المسيح صباحًا اي باكر تلك الليلة التي أُمسك فيها وأُتي به الى بيلاطوس والقضاة ووقوفهِ امامهم للمداينة وسخريتهم بهِ وايضًا لما فعلتهُ النسوة القديسات اللواتي بكرنَ وجئنَ الى قبرهِ سحرًا (خامسًا) صلاة الساعة الاولى وتقال تذكرةً لتسليم السيد للجنود وجلده منهم على العمود وتكليلهِ بالشوك (سادسًا) صلاة الساعة الثالثة والسادسة تذكارًا لما ألمّ بهِ تعالى فيها لانهُ في الساعة الثالثة حكم عليهِ بالموت واستحضر اليهود خشبة الصليب المقدس [١] . وفي الساعة السادسة سمر على الصليب . (سابعًا) صلاة الساعة التاسعة وهي تقال حينئذٍ تذكارًا لموتهِ الاختياريّ وطعن جنبهِ بالحربة وخروج الدم والماء منهُ . فانتج من ذلك اذًا ان

(١) وذكرًا لانحدار الروح القدس على الرسل الاطهار في العلية الصهيونية في مثل هذه الساعة

السبب الذي لاجلهِ رسمت الكنيسة ان تصير فروض الكهنة وصلواتهم في اوقاتٍ معينة وساعاتٍ مخصوصة دون غيرها في هذه الاوقات السبعة التي مارس فيها السيد المسيح افعال الافتداء لاجلنا هو انهُ لما كان الله انعم على كنيستهِ المقدسة بهذه الحسنات العظمى حسنات الافتداء في هذه الاوقات المذكورة كان يليق بابنائها ان يجتمعوا فيها ليمجدوهُ عزَّ وجلَّ ويشكروهُ ويسبحوهُ على رحمتهِ وسخائهِ لاجل ما جاد بهِ عليهم مجانًا رحمةً منهُ وتفضلاً

(السؤال الثاني) متى ابتدأت هذه الرياضة المقدسة في الكنيسة ولاي الاسباب فرضت الكنيسة هذه الصلوات القانونية

(اجيب اولاً) عن القسم الاول من السؤال ان ابتداء هذه الصلوات كان منذ صعود السيد المسيح الى السماء كما ذكر لوقا البشير في الفصل الاول من سفر اعمال الرسل وذكر القديس اكليمنضس جملة هذه الصلوات في الراس ٢٧ من قوانين الرسل

(اجيب ثانيًا) عن القسم الثاني من السؤال ان الكنيسة رسمت هذه الصلوات لاسباب كثيرة واخصها ما نذكرهُ هنا (اولاً) لكي يكون ذكر الحسنات الالهية على الارض متصلاً فنشكره تعالى على الدوام (ثانيًا) لاننا حاصلون دائمًا على حال الشقاء ولا سبيل لنا لنتخذ من الله عونًا على النجاة الاّ بالصلاة (ثالثًا) لكون الصلاة واسطة جزيلة الفاعلية لحفظ الايمان والتقوى ونموها ولذا قال سيدنا يسوع المسيح (صلوا ولا تملوا) (رابعًا) لكي تماثل الكنيسة المحاربة كنيسة الله المنتصرة فهذه تسبحهُ دائمًا وفي كل وقتٍ واما تلك فلعجز الطبيعة البشرية عن مماثلة سكان بيت الله بالتسبيح الدائم في كل وقتٍ تسبحهُ سبع مرات حسب قول النبي

(السؤال الثالث) من ذا الذي انشأ هذا الطقس والصلوة في الكنيسة وترتيل الخورصين

(الجواب) هو العظيم في رؤساء الكهنة اغناطيوس الشهيد حسبما ذكر سقراط المؤرخ في الراس الـ٨ من كتابهِ الى٦ واوسابيوس اسقف قيصريَّة وبارونيوس وذلك لان هذا القديس سمع يومًا الملئكة يرتلون تسابيح لتمجيد الثالوث الاقدس بخورصين فمن ذلك اليوم امر المؤمنين ان يرتلوا تسابيح لتمجيد الثالوث الاقدس على هذا النسق اي بخورصين ومنهُ تسلمت هذه العادة كل الكنائس اما في الغرب فقد اجرى التراتيل الجليل في القديسين امبروسيوس كما ذكر القديس اوغسطينوس غير ان القديس غريغوريوس الكبير بابا

رومية قد جدد ذلك ونغمهُ على احسن اسلوب لانهُ هو الذي رتب كتاب الانتيفوناليون المشتمل على التسابيح والتراتيل الكنسية الرومانية واما في رتبة كنيسة الروم فان القديس سابا المتقدس قد وضع للصلوات والتسابيح المجيدة والتراتيل قوانين وحدوداً وجمعها في مؤلف دعاهُ كتاب التيبيكون اي كتاب الرسوم وقد ثبتهُ المجمع السابع المسكوني وجعلهُ منهجاً للطقوس البيعية الرومية وسلمهُ الى جميع كنائس المشرق ليجري عليهِ المؤمنون رهباناً كانوا او عالميين . واما المعلمون الذين تقدموا فنظموا تلك التسابيح والمدائح التي ترتل في البيعة الشرقية في كل الايام على مدار السنة فكثيرون جداً . وقيل ان عددهم يبلغ الى اربعين معلماً ظهروا في ازمنةٍ مختلفة واعصار متباينة واماكن متفرقة واعلم ان عادة التراتيل في البيعة هي مؤسسة على الكتب المقدسة كما شهد القديس اوغسطينوس لان الاسرائيليين من عهد موسى ابتدؤوا بوحي الهي يرتلون لهُ تعالى التسابيح (خروج ١٥) وقال ابن سيراخ (٤٧:١١) عن داود «اقام المغنين امام المذبح ولقنهم الحاناً لذيذة السماع» وذكر القديس ديونيسيوس ان هذه العادة كانت جارية بين المسيحيين الاولين واما سبب تمسك العهدين بهذه العادة المحمودة فيوردهُ القديس يوحنا الدمشقي في كتابهِ على الايمان قائلاً انهُ من حيث ان الانسان هو مركب من جسد وروح يجب عليهِ ان يمدح الله ويعبدهُ لا بعواطف الروح فقط بل بالفاظ الفم واصوات الجسد ايضاً ويرنم قلبي وجسمي للاله الحي (المزمور ٨٣ : ٢)

(السوال الرابع) ما هي قوة هذه الصلوات الكنسية وفاعليتها وما هي الشروط الضرورية لنيل ما نطلبهُ في الصلاة مطلقاً

(اجيب اولاً) عن القسم الاول من السوال ان للصلوات الكنسية المشتركة مفعولين خصوصيين وهما استحقاق نمو النعمة في المصلي وتقوية نفس المصلي ولهما علاوة على ذلك مفعولان آخران عامان يكتسبهما الكاهن بتلاوتها لجميع المومنين ولو كان في حال الخطاء المميت لانهُ يقدمها باسم الكنيسة وشخصها ومن المحال الا يستجيب الله صلوات عروسهِ (فاول) هذين المفعولين هو الوفاء عما يستحقهُ المومنون من العذاب لاجل الخطايا (والاخر) نيل نعم أُخرى جديدة

(اجيب ثانياً) عن القسم الثاني من السؤال فاقول ان الشروط الضرورية للصلاة اربعة (اولها) ان يكون الشيء المطلوب جيداً وضرورياً مما يناسب الخلاص (ثانيها) ان تكون الصلوة مقترنة بايمانٍ واتكال عظيم ويتوقف هذا الايمان على انا نعتقد اعتقاداً

متيناً بحقيقة الوعد الالهي (ثالثها) الاحترام والانضاع الواجب علينا ان نتصف بهما في حال صلاتنا (رابعها) المواظبة على الصلوة وتكرارها الى ان نبلغ المقصود

واعلم ان الله عزّ شأنهُ قد اعتادان يؤخرعن السائل نيل مطلوبهِ لاجل اسباب عادلة جيدة ومن ثم يجب علينا ان نكرر الطلب بلا ملل كما نصحنا السيد المسيح بمثال الارملة التي ما برحت تطلب من قاضي الظلم بالحاجة حتى ملكت اربها

(السؤال الخامس) ما هي الافعال التي تتضمنها الوصية بالصلوات الكنسيةالقانونية وقد التزم الاكليريكيون بامتثالها

(الجواب) ان الوصية الكنسية تتضمن نوعين من افعال الصلوة (النوع الاول) يتضمن افعالاً خارجة تختص بالصلوة اللفظية وهذه قائمة في لفظ الكلمات وفي بقية الحالات المتعلقة بالجسد كالوقوف والجلوس والانحناء وكشف الرأس والتهيب والاحتشام وامثال ذلك لان من واجبات كل اكليريكي بل كل مومن ان يلزم الاحتشام في وقت الصلوة . ويحفظ ما رتبتهُ الكنيسة في ذلك ومن ثمَّ يلزمهُ ان يقف ويجلس ويحني راسهُ ويكشفهُ ويركع في المحل المرسوم من الكنيسة (اما النوع الثاني) فيتضمن افعالاً باطنة تختص بالقوى الباطنة اي الفهم والارادة والمخيلةوالقوى الحساسة ايضاً واما هذهالافعال الباطنة فثلثة : النية والاصغاء والعبادة وهي لازمة كلها لاتقان ممارسة الصلوة وتكميلوصية الكنيسة بها

فالفعل الاول وهو النية في الصلوة مسندٌ الى الارادة وهذه النية قائمة باننا بالصلوة نقصد ان نخاطب الله واليهِ نوجه كلامنا طالبين منهُ احتياجاتنا والنعم الضرورية لنا . ومع ذلك يمكن ان نقرن مع هذه النية نيات اخرى افضل نقاوةً وكمالاً مثلاً يحسن بنا ان نقصد بصلاتنا فضيلة الطاعة بحفظ الوصية الكنسية وفضيلة التوبة لنفي بصلاتنا عن خطايانا . وفضيلة الرحمة بتقدمتنا صلواتنا عن الاحياء والاموات المحتاجين اليها وفضيلة الرجاء بطلبنا في صلواتنا النعم الدائمة . وفضيلة الشكر بتقدمة صلواتنا شكراً للحسنات الالهية وفضيلة التقوى بقصد ان نقدم لله بالصلوةالعبادة الواجبةلجلالهِ . وفضيلة المحبة نحوهُ تعالى بفعل ما يسرُّ بهِ . وغير ذلك من الفضائل . ومما تقدم ذكرهُ ينتج ان من يتلو الصلوة الفرضية بغير نية مخاطبة الله بل بقصد الدرس او صرف الزمان لا يكون قد تمم الوصية الكنسية القاصدة بوصية الصلوة التضرع الى اللهانيل ما ذكرناه وتسبيحهُ تعالى

والفعل الثاني اي الاصغاء بخص العقل .على ان الاصغاء والانتباه الى ما يفعل في الصلوة ضروريًّا جدًّا حتى ان الذي يشرد عقلهُ اختياريًا في صلواتهِ يخطا ولو لم يكن ملتزمًا بالصلوة الفرضية كما علم القديس توما اللاهوتي ومن صلى بطياشة عقلٍ اختيارية وكان ملتزمًا بالصلوة القانونية فلا يتم وصية الكنيسة ويلزمهُ ان يصلي مرةً اخرى قبل ان يمضي النهار .ولايضاح ذلك (اعلم) ان القديس توما اللاهوتي وغيره من الآباء قالوا ان الاصغاء ثلثة انواع الاصغاء الى الالفاظ والتأَمل فيها والانتباه اليها والاصغاء للمعنى الحرفي مثلاً اذا سمعنا او تلونا ابانا الذي في السماوات نذكر ان الله ابونا ومسكنهُ السماء والاصغاء الروحي وبهِ ننتبه الى معنى الالفاظ السري .وهذا الاصغاء يتضمن الانتباه الى حضور الله الذي نكلمهُ او الى الشيء الذي نصلي من اجل نيلهِ ولو لم تكن الفاظ صلاتنا تتكلم عنهُ كما علم القديس توما المشار اليهِ فاذ عرفت ذلك نقول ان من هذه الثلثة الانواع المذكورة من الاصغاء الاوَّل هو الضروري للجميع لانهُ خلوًّا منهُ لا يكمل الكاهن الوصية

اما الفعل الثالث الضروري للصلوة فهو العبادة التي تنتج عن حسن كمال الاصغاء حين تلاوة الفرض الكنسي وهي قائمة في انصباب الارادة وميلها الى ذلك العمل الذي تباشرهُ اكرامًا لله .وقد يوافق هذا الانصباب . عواطف اخر لينة صادرة من القوى الحساسة كالخشوع والدموع والابتهاج بخدمة الله وامثالها من العبادة الحسية . وبما ان العبادة المذكورة هي موهبة الروح القدس الذي بالهامهِ يضرم في الارادة عواطف جيدة صالحة فسبيلنا ان نلتمسها منهُ

(السوال السادس) تلزم الوصية الكنسية الاكليريكيين بتلاوة الصلوة الفرضية يوميًّا وفي اوقاتها المعينة

(اجيب اولاً) عن القسم الاول من (السوال) انهُ لقد التزم كل اكليريكي بقوة الوصية ان يتلو ويرتل يوميًّا على الدوام الصلوات المذكورة الى حين الوفاة ما لم يكن ممتنعًا عن ذلك بمرض ما ثقيل او معذورًا بحجة من الحجج الموردة في كتب المعلمين

(اجيب ثانيًا) عن القسم الثاني من السوال ان الذين يلتزمون بحضور الصلوة وترتيلها في الخورص يلتزمون بامر الوصية اكثر من غيرهم ان يتلوا الفرض في وقتهِ المرسوم حسب عادة الكنائس ما لم تضطرهم الى مخالفة ذلك ضرورة واجبة شرعية

(السوال السابع) هل يفي الفرض من يقلب نظام الصلوات وهل يستطيع الكاهن

ان يقدس قبل الصلوة الفرضية وقلما يكون قبل صلوة نصف الليل والسحرية

(اجيب على السؤال الاول) انهُ يفي فرضهُ لكنهُ اذا فعل ذلك خلوًا من سبب مقبول يخطأُ عرضيًا اما اذا اتفق دخول الكاهن الى الكنيسة وكان قد تُلي جزءٌ من الصلوة فيستطيع ان يصلي معهم . وفيما بعد يكمل ما فاتهُ كما نصّ العلماء (واما على الثاني فاقول) انهُ اذا كان ثمَّ سبب مانع حقًا فيمكنهُ ذلك والّا فقال بعضهم يخطأُ عرضيًا وقال آخرون يخطأُ مميتًا . ولنختمنّ هذا الفصل بثلث نصائح معتبرة مفيدة

النصيحة الاولى يجب على الاكليريكيين الملتزمين بحضور الصلوة انهم حالما يسمعون تنبيه الصلوة فليبادروا مسرعين الى الكنيسة ليكونوا في الخورص قبل ابتداء الصلوة معتقدين ان الله تعالى نفسهُ يدعوهم بطرق الناقوس وانهُ يُريدهم ان يطيعوه سريعًا بتدقيق خلوًا من تاخير باطل . لان الاكليريكي قد يخطأُ خطيئةً عرضيَّة ان ابطأ في مكانهِ او تاخر في الطريق بمذكراتٍ باطلة مع الناس لكونهِ ابطل جزءًا من الصلاة . واختلسهُ من الله واطاع ارادتهُ وفضَّلها على ارادتهِ تعالى

النصيحة الثانية ليحذر الراهب والاكليريكي ان يخرج من الخورص بحجة باطلة قبل انتهاء الصلوة . وليذكر ما كتبهُ القديس غريغوريوس عن شيطانٍ قد ظهر بشكل حبشيّ شنيع اللون وكان يسحب راهبًا من مكان الصلوة

النصيحة الثالثة يجب على الاكليريكيين حال الصلوة ان يظهروا كمال الاحتشام والتهيب في جميع حركاتهم ولا سيما في الخورص وامام المذابح الرهيبة حسب وصية الكنيسة لهم بذلك متذكرين ذلك الانتقام الرهيب الذي حل باحد القسوس لعدم تهيبهِ واحترامهِ الهياكل المقدسة

خبر جاء في سيرة القديس سمعان العامودي عن قس من بلاد العرب انهُ في بعض الايام كان جالسًا في صحن الكنيسة يقرأُ واذا بروحٍ نجسٍ قد ظهر لهُ وعبر قدامهُ بشكل سحابةٍ مظلمة ونقدم فضربهُ بعصًا كانت بيدهِ على دماغهِ ضربةً مؤلمة قاسية ففقد للحين بصرهُ مع عقلهِ وانحلَّت اعضاؤهُ كلها وامسك عن الكلام فجاء اهلهُ فوجدوه طريحًا كالميت فحملوه الى بيتهِ هكذا . ومكث في هذه العقوبة والضربة الرديئة تسعة اشهر ولم يكن يقدر ان ينقلب من جانبٍ الى آخر بدون ان يقلبهُ آخر غيره فاحضرهُ اهلهُ الى القديس فابرأه ثم قال لهُ : اعلم ان الله قد سمح للشيطان ان يقوى عليك لاجل امرين (اولها) لانك كنت تدخل المذبح المقدس بغير ورعٍ واحترام بل باحتقار وعدم احتشام .

(ثانيهما) لانك كنت تسمع بلذة اقوال اولئك الذين كانوا يوشون اليك بقريبهم و يدينونهُ خفيًا وكنت تفرح بهذا المحال كثيرًا وتمنع المدينين ظلمًا من القربان بغير ذنبٍ وتفرزهم فانتصح ذلك الكاهن من اقوال القديس ومضى صحيحًا فرحًا

الفصل الرابع

في اماكن الذبيحة اي الكنائس واقسامها الثلثة وايراد الاسباب التي لاجلها يصلي المؤمنون نحو الشرق ثم ايضاح السبب الباعث لاقسام الكنيسة

اعلم ان الكنائس وتدعى الهياكل ايضًا هي امكنة مكرسة يجتمع فيها المؤمنون لتقديم التسابيح والذبائح لعزتهِ تعالى . وكان المؤمنون يشيدونها قديمًا باشكال مختلفة كما اخبر لوقا المؤرخ . اما الان فالكنائس تعمل غالبًا بشكل مربع او مستطيل ولكنهُ موجه دائمًا نحو الشرق لكي نكمل بها صلواتنا ونحن ناظرون نحو المشرق . واما العادة الجارية عند المسيحيين بان يصلوا وهم متجهون نحو الشرق فقد اورد فيها القديس اثناسيوس ثلثة اسباب قال : ان السبب (الاول) هو لان السيد المسيح لما صعد الى السماء كان وجههُ نحو الى الشرق وسوف يأتي ايضًا من مشارق السماء ليدين العالم كما قال زخريا النبي « ونقف قدماهُ في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قبالة اورشليم من الشرق » (١٤ : ٤) السبب (الثاني) هو لانهُ تعالى يدعى في الكتب المقدسة ضياء وخالق الضياء والانوار . فلهذا يجب على مَن يُصلي ان يتجه وقت صلاتهِ نحو الشرق الذي هو مطلع الضياء والانوار . السبب (الثالث) هو لان فردوس عدن كان في الجهة الشرقية فنصلي ونحن متجهون الى الشرق اشارة الى التماسنا مكاننا القديم اي الفردوس الذي نصبهُ الله في ناحية الشرق . وقد اورد اخرون سببًا آخر قالوا ان السبب (الرابع) الذي لاجلهِ امرنا القديسون ان نصلي ونحن متجهون نحو الشرق هو لانهُ لما صُلِب السيد المسيح كان وجههُ نحو الغرب . وقفاهُ نحو الشرق . فلذلك نصلي باتجاهنا الى الشرق كأننا نشاهد وجه المسيح المصلوب . ومن ثم كانت هياكلنا تتجه شرقًا وصورة السيد المسيح فيها متجهًا غربًا . فمن رام ان ينظر اليها و يسجد لهُ ينظر الى الشرق ضرورة

ثم ان كلاًّ من الكنائس تحوي في ذاتها دائمًا ثلثة اقسام فالقسم الاول (بالنظام والرتبة لكن الاخير بالشرف) هو النرتكس حسب الطقس القديم لانهُ المكان الاسفل بالنسبة الى الهيكل ٠ والقسم الثاني صحن الكنيسة وهو المكان المتوسط بين الهيكل والنرتكس . اما القسم الثالث فهو الهيكل والحق ان هذا المكان هو الموقف الاول والقسم الاول من الكنيسة ٠ لان الهيكل المقدس هو المكان المدعو بقدس الاقداس خاصةً ٠ و يشتمل على السبنترون اي الكاتدرا التي يقف عليها رئيس الكهنة مع الاساقفة و يقف حولهُ الكهنة من الناحيتين يمينًا وشمالاً

وان قيل ما الباعث لهذه الاقسام (فنجيب) انهُ لما كان المسيحيون يمتازون في حين الصلوة الى ثلاث فرق اقتضى ان يكون لهم في الهياكل المقدسة ثلثة اقسام من الامكنة ولايضاح ذلك (اعلم) ان الترتيب الرئاسي الكنسي شأنهُ ان يماثل الترتيب الرئاسيّ الملاكي فنظام رئاسة القوات السماوية يقسم كما علم القديس ديونيسيوس الى ثلث مراتب وكل مرتبة تشتمل على ثلاث طغمات ٠ ولكل منها موقف مخصوص فمن ثم كان ايضًا نظام الرئاسة الكنسية يحوي ثلاث مراتب ٠ وكل مرتبة تشتمل على ثلث طغمات ٠ ولكل منها موقف ومكان مخصوص ٠ (الرتبة الاولى) من رتب الرئاسة الكنسية هي الرتبة المكملة و يراد بها جماعة الاكليريكيين ٠ وهي ثلث طغمات (اولها) طغمة رؤساء الكهنة (ثانيها) طغمة الكهنة (ثالثها) طغمة الشمامسة وانما دعي اصحاب هذه الرتبة بالمكملين لانهم يمنحون الاسرار الالهية و يعطى بهم للمؤمنين الكمال والتقديس كما اشرنا الى ذلك في الفصل الاول ٠ لان وظائفهم تقتضي منهم تطهير المؤمنين وتنويرهم وتكميلهم ٠ (الرتبة الثانية) هي رتبة المتنورين ٠ و يراد بها مرتبة المؤمنين الاطهار ٠ وتشتمل على ثلاث طغمات ايضًا (اولها) طغمة المتوحدين (ثانيها) طغمة المؤمنين (ثالثها) طغمة المسموح لهم بالوقوف مع الموءمنين ٠ (الرتبة الثالثة) هي رتبة المتطهرين السالكين في سبيل التنظيف ٠ و يراد بهم الحاصلين بعد في درجة التائبين وهي ثلثة طغمات (اولها) التائبون. (ثانيها) المفصولون وهم على نوعين الانام الذين كانوا معترين بالاسقام وشفوا ٠ واولئك الذين كانوا عائشين عيشًا بهيميًا ثم تابوا ٠ (ثالثها) طغمة الموعوظين ٠ و يراد بهم المؤمنين الغير المعتمدين ٠ وكانوا فرقتين : الاكملين وهم الجاثون على ركبهم والادنين وهم السامعون ودُعي اصحاب هذه الرتبة بالمتطهرين لاستمدادهم التطهير والتنوير

فاصحاب الرتبة الاولى لهم داخل الهيكل المقدس بما انهُ المكان الاشرف والقسم

الافضل ولم يكن يطأهُ احد سواهم ما عدا الملك الذي لم يكن يدخلهُ دائمًا بل في اوقاتٍ مخصوصة وذلك اذا كان القداس مقدمًا لاجلهِ لكي يتناول الاسرار الطاهرة لان الهيكل المقدس هو المكان الافضل والاشرف في الكنيسة كما قررنا فضفر لهُ قسطنطين المعظم شبكةً ذات صناعةٍ دقيقة ظريفة احترامًا لهُ وتوقيرًا كما اخبر اوسابيوس المؤرخ

واما اصحاب الرتبة الثانية اعني المتنورين فلهم المكان المتوسط الذي هو خارج الهيكل الاقصى لانهم مستحقون للمشاهدة والشركة الالهية فكانوا يثبتون في مكانهم الى انتهاء الخدمة الربية ولهم خاصةً يتجه قول الشماس الهاتف نحوهم بالثبوت بعد هتافهِ نحو الموعوظين بالخروج قائلاً «انتم يا مؤمنون ايضًا وايضًا بسلام من الرب نطلب» كما سنوضح فيما بعد

واما اصحاب الرتبة الثالثة اعني المتطهرين فكان لهم النرتكس وكان الموعوظون فرقتين السامعين والجاثين فالسامعون و يراد بهم الذين كانوا يتقدمون الى الايمان حديثًا وكانوا غير مكتملين بعد في السماع وهم الرتبة الدنيا في الموعوظين وكانوا يخرجون من الكنيسة الى النرتكس بعد قراءة الانجيل الالهي . اما الجاثون على ركبهم وهم فرقة الاكملين لانهم كانوا مكملين بالايمان وقابليهِ ومستعدين ومتأهبين للعمودية المقدسة فكانوا يلبثون في مكانهم اي داخل باب الكنيسة الى حين افشين صلوة الموعوظين وفي وقت تلاوتهِ سرًّا كانوا يجثون ساجدين على ركبهم ولذلك سموا بالراكعين او الجاثين الآ انهُ لما كان الشماس يهتف قائلاً «ايها الموعوظون اخرجوا» كانوا للحال يخرجون .

واعلم ان ما ذكرناه كان جاريًا حسب الطقس القديم .ولذلك تفاصيل كثيرة ورتب مختلفة عدلنا عن ذكرها

اما بقية ما تشتمل عليهِ الكنيسة (فالانبلن) المشيد باعلى باب الكنيسة ومعناهُ محل صعود فهو مثال الحجر المتدحرج عن باب القبر وانما أُقيم عاليًا لاجل التبشير والتعليم والوعظ كما جلس الملاك فوق الحجر و بشر النسوة . فالكنيسة والشمامسة يضارعون الرسم الملكي في التبشير بالانجيل المقدس (اما المذبح الاصغر) فهو مثال جبل الجلجلة لان فيهِ رسم الام المسيح التي تمت في جبل الجلجلة (واما المائدة) فهي شبه القبر وهي تمثلهُ لنا بالحقيقة كما نقرر ذلك في موضع اخر [1]

واعلم انهُ قد جرت عادة الكنيسة ان تكون المائدة حجرًا واحدًا لكي يحفظ هذا المعنى

١ قد تدل المائدة المقدسة ايضًا على المائدة التي عليها تناول المخلص العشاء السري مع تلاميذهِ

اي ان في المسيح اقنوماً واحداً واما بقية اجزاء الكنيسة فهي لاجل الصلوات ووقوف الشعب ولها تاويلات كثيرة يطول شرحها فان ثبت تأويلها بمعنى زمني فعليك بمطابقتها مع اورشليم الارضية وما كمل فيها من الاسرار من عهد تجسد المسيح الى موتهِ وقيامتهِ وصعودهِ وحلول روحهِ . وان شئت تأويلها بمعنى ابدي فعليك بمطابقتها مع اورشليم السماوية حيث الحمل الذبيح مسبح وممجد في ذلك الهيكل السماوي والقدس الغير المصنوع بالايدي لهُ المجد الى الابد امين

الفصل الخامس

في ايراد معنى الملابس الكهنوتية التي يتشح بها خدام الذبيحة

ان حلة الكهنوت المقدسة التي تتردَّى بها جماعة الكهنة حينما يقدسون الاسرار تشير الى امرين معتبرين جداً : الى ما يحتاجون اليهِ من الفضائل لتقدمة ذبيحة القداس كما يجب والى آلات آلام السيد المسيح

فهي تشير الى ما يحتاجون اليهِ من الفضائل لتقدمة الذبيحة المطهرة وذلك لان من الواجب عليهم ان يترديوا بكل الفضائل التي تتضمنها لفظة العدل كقول المرتل «ليلبس احبارك العدل» فيراد بالعدل حسب تفسير علماء بيعة الله المقدسة مجموع الفضائل التي يشار اليها بلبس اثواب الكهنوت المكرسة المملوَّة اسراراً . لكي يفقه كل حبرٍ وكاهن كيف يجب عليهِ ان يوشي نفسهُ بالفضائل المعبر عنها بتلك الاثواب . وهذه الاثواب الكهنوتية هي ✻ الاستيخاره والبطرشيل والزنار والاكمام والحجر والافلونية ✻ وهذه جملة اللبوس الكهنوتية المقدسة . فهات نورد ما تشير اليهِ وتعنيهِ من الفضائل والاسرار

(اقول اولاً) ان الثوب الاول هو الاستيخارة[1] وهي تشير الى نقاوة القلب وقداسة السيرة التي هي زينة النفس والى فرح النفس وابتهاجها بالرب الذي يجب ان تتصف بهِ حين التقدمة الالهية ولذلك يقول الكاهن وقتئذٍ «تبتهج نفسي بالرب لانهُ البسني ثوب الخلاص وسربلني حلة السرور ووضع عليَّ تاجاً كتاج الختن ومثل العروس زينني تزييناً» وهذه

---

1 استيخارة لفظة يونانية من فعل ستيخو اي مشى بترتيب وهي طويلة الى الاقدام فتجعل الكهنة يمشون بترتيب . وبمثل هذه الاستيخارة كان يتزين هرون الحبر وهي دلالة على لاهوت الكلمة

الاقوال ماخوذة من اشعيا النبي . ومن ثم يجب على الكاهن ان يشتهي و يرغب بكل عزمهِ ان يكون هكذا اي بريئاً من كل دنس روحي مستمراً في حال البر . فاذا كان الكاهن حاصلاً على هذا البر اقلهُ على البر الناتج من تطهير النفس من ادناس الخطية (لان البر الاول نادر الوجود) فلا شك في ان النفس تكون بذلك حاصلة على اعظم سرور وافضل زينة تفوق زينة العروسين بغير قياس لان البر المذكور يكون كتاج وسربال فكما ان الاستيخارة تغطي الجسد كلهُ وتزينهُ كذلك البر فهو كسربال جميل يواري عيوب النفس و يزينها كلها . فيضحي الكاهن نظير القديسين الاقدمين اي انقى من الثلج بنقاوة العفة التي من شأنها ان تبرد حرارة الشهوة . وابيض من اللبن لاجل لطافة الوداعة والبشاشة التي تضبط شراسة الخلق . وابهى من العاج القديم لما يضيء و يتلألأ فيهِ من قبل صبرهِ وشجاعتهِ . واجمل من الياقوت الازرق لاجل حسن بهاء وجمال سيرتهِ المتصفة بالمحبة وسائر الفضائل المتعلقة بهذه الفضيلة حتى ان مجموع هذه الفضائل كافةً يصير لهُ كقميص بهيّ يزين كل افعاله * واعلم ان هذا الثوب يكون عندنا بنوعين لانهُ تارةً يكون من الاقمشة المختلفة الالوان باشكالها وهذه للدلالة على الفضائل المذكورة وتارة يكون من الكتان الذي قد ابيض وقصر بكثرة الغسل والضرب ليدلنا على ان نقاوة النفس لا تكتسب الا بالاتعاب والدموع و بالصلاة المقترنة بالتقشف

(اقول ثانياً) ان الشيء الثاني المستعمل بعد الاستيخاره هو البطرشيل [1] الذي يضعهُ الكاهن في عنقهِ ثم يربطهُ بالزنار . فهذا يشير (اولاً) الى النعمة الالهية التي تسكب على الكاهن مثل انسكاب الدُّهن على هارون والبطرشيل عند الروم مستقيم ومقرون فهو مستقيمٌ للدلالة على الروح القدس الذي حل على التلاميذ باستقامة وهو مقرون للدلالة على ملئهِ الكل وحضورهِ في كل العالم كما فسر جرمانس * يشير (ثانياً) الى وجوب خضوع الكاهن لناموس الله وانما يدلَّى على الصدر اشارة الى وجوب وضع الكاهن تجاه نظره وذكره دائماً الطاعة والخضوع للناموس الالهي الذي سماهُ الحكيم طوقاً يجب على المؤمن ان يحملهُ في عنقهِ مفتخراً بخضوعهِ للرب وطاعتهِ لناموسهِ حاملاً نيرهُ بابتهاج

(اقول ثالثاً) ان الكاهن بعد ان يلبس الاستيخارة والبطرشيل يشد حقويهِ بالزنار

---

[1] البطرشيل تعريبهُ ما يوضع في العنق اما بطرشيل الشماس الانجيلي فيسمى اوراريون وتعريبهُ النظر — فاذ يتقلده بشكل اجنحة يماثل الترتيب الملاكي . وحينما يتزنر بهِ يماثل الشاروفيم الشاخصي الابصار وعلى الاوراريون يجب ان يكتب قدوس قدوس قدوس

قائلاً «تبارك الله الذي يزنر حقويّ بالقوة و يجعل طرقي بلا عيب الخ(المزمور ١٧ : ٣٢)
وقد ينتج من هاتهِ الاستيخونات الداودية ان هذا الزنار يشير الى فضيلة العفة الضروري
وجودها في الكاهن لانهُ كما قال القديسان الجليلان باسيليوس و يوحنا في بدء الافشين
الشاروبيمي «ليس احد من المرتبطين بالشهوات واللذات مستحقاً ان يخدم» او يا كل
هذا الخروف النبي الذي أمر الله اولئك الذين كانوا يستعملون رسمهُ با كلهم الخروف
الفصحي بان يكونوا مشدودي الحقوين . ومن ثم قال سيد الكل «لتكن احقاؤكم مشدودة
وسرجكم موقدة» (لوقا ١٢ : ٣٥) لان الذي لا يكون مشدود الحقوين يطردهُ العروس لا
حينما يأ تي للدينونة فقط بل حينما يأتي ليفتقدنا بالسر الالهي . وقال القديس ايرونيموس
في تفسيرهِ حلة الكهنوت القديم : ان جميع هذه الفضائل التي تشير اليها هذه الاثواب
الكهنوتية تكون باطلة ان لم تصحبها العفة وتزينها والى هذا كما يقول القديس المذكور يشير
الزنار الذي يشدّد الحقوين و يضبطها و يميتها

واعلم انهُ لقد اعتاد الروم ان يستعملوا من الذهب والفضة وامثالها مناطق معدنية
وقد تكون احياناً مرصعة بحجارةٍ كريمة وضفائرها منسوجة من انواع الغزل المصبوغ
بالوان مختلفة وذلك اقتداء با لسيد المسيح الذي ظهر ليوحنا في الرؤيا فيما بين
المناير الذهبية السبع وكان «متسربلاً بثوب الى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييهِ بمنطقة
ذهب» (رؤيا ١ : ١٢) واما استعمالهم الضفائر المناطة بها المعادن فاقتداء بالمنطقة الهارونية
التي كانت «من بزّ مشزور وسمنجوني وارجوان وصبغ قرمز» (خروج ٣٩ : ٢٨) فالذهب
يدل على المحبة التي يجب ان نتصف بها كهنة الله . والالوان يشار بها الى انواع الفضائل
المختلفة التي تكون للكهنة بمثابة نطاق يشدّهم و يربطهم مع الله دائماً . وقد اعتاد الكاهن
اللاتيني ان يشد المنطقة على ثدييه كما جاء عن المسيح في سفر الرؤيا . وذلك لا يخلو من
سرّ فان التمنطق على الثديين يدل كما قال القديس غريغوريوس الكبير على الشريعة
الجديدة وعلى الحقوين يدل على العتيقة . ويدل ايضاً كقول القديس المذكور لا على
لجم فعل الزناء فقط بل ايضاً على لجم شهوتهِ الكائنة في القلب ومع ذلك فان هذا
التمنطق يدل كما فسرت العلماء على وجوب استعداد الكهنة لخدمة الله اكثر من الجميع .
ورفع النطاق فوق الثديين يدل على زيادة ذلك الاستعداد . لان المنطقة التي تشد
الثياب مع الجسد وتثبتهُ او تعضدهُ تدلنا على التأديب المقدس الذي يرتب عقل الكهنة
ومخيلتهم واجسادهم وحركاتهم كلها و يكفهم عن الرذائل و يربطهم مع الله وشريعتهِ الالهية

(اقول رابعًا) ان الكاهن في تقديس الاسرار يستعمل الاكام وهي تشير الى الاسلحة الروحية المنيعة التي نحتاج اليها في الحروب الروحية ولا سيما الحرب التي تدهمنا من الاعداء الغير منظورين وقت التقديس فليكن اذًا ترسنا اتضاع المسيح وصبرهُ واتعابهُ . ويشار بها ايضًا الى فضيلة الغيرة التي هي توجع الانسان على خطاياهُ وخطايا الغير لاجل الاهانة الواصلة منها الى الله تعالى والمضرة الناجمة عنها للانسان . ومن ثم يظهر الكاهن بختم يديه بها كانهُ قد قوّى ساعديهِ بها ليقوى على هدم الخطايا وابادتها بافعال التوبة لكي تعده لتقدمة ذبيحة القداس باستحقاق

(اقول خامسًا) ان الحجر المربع الذي يتقلد بهِ الخوري ورئيس الكهنة يشبه الحجر الذي دحرج على باب القبر ويدل على ترقي الكاهن بحكمٍ خصوصي على بعض الناس فيتقلد بهِ كتقلد سيف الحكومة . ومع ذلك يشير الى فضيلة الشجاعة التي هي احدى الفضائل المتقدمة الضروري وجودها في الكاهن كل وقت ولا سيما حين تقدمة الذبيحة الالهية وانما يجب عليهِ ان يتمنطق بهذه الفضيلة الرئيسيّة وقتئذٍ ويتقلد بها كسيف بتار لكي يستطيع ان ينتصر بواسطتها على تجارب الشياطين المجتهدين حينئذٍ في منع ايصال اثمار الذبيحة لنفسهِ . وهكذا يبتر بها كسيفٍ ذي حدين كل نجس مسبب من الخوف المفرط من عزة الله تعالى الناظر الى تقديمهِ الذبيحة . ولا يفشل ولا يأ يس عند ممارستهِ عملاً ترتعد منهُ الارواح السماوية . ومع هذا فيمكن ان يكون مشارًا بالحجر ايضًا الى فضائل الحق والدعة والصدق المتضمنات في الالفاظ الداودية التي يتلوها الكاهن وقت تقلدهِ بهِ . لان وظيفتهُ المتجهة الى رعاية النفوس تقتضي منهُ ان يسلك مع الرعية المستودعة لهُ بموجب الفضائل المذكورة المقترنة بفضيلة الشجاعة

(اقول سادسًا) ان الافلونية التي هي ثوب الكاهن الاخير والافضل ثمنًا وقيمةً تشير (اولاً) الى الناسوت الذي تردّى بهِ لاهوت المسيح وهي مفتوحة عند اللاتينيين للسهولة والنشاط واما عند الروم فمسدودة وذلك حسب الطقس القديم كما قرر ايا كوبوس . تشير (ثانيًا) الى الفضائل المتضمنة في لفظة العدل كقول الكاهن حينئذٍ « كهنتك يارب يلبسون العدل وابرارك يبتهجون ابتهاجًا » ولما كانت فضيلة المحبة اعظم الفضائل كلها وبها يعود كل شيء كاملاً كانت الافلونية التي بها يكمل الملبوس الكهنوتي تشير الى هذه الفضيلة العظمى بنوع اخص . وبالوان هذا الثوب المختلفة الاشكال يشار الى عواطف المحبة المتنوعة كعاطفة الفرح واداء الشكر لله والندامة وغير ذلك من العواطف المقدسة التي

يجب على الكاهن ان يتزين بها عند تقدمة الذبيحة الالهية .هذا ما تشير اليهِ هاته الاثواب الكهنوتية من الفضائل فهات نورد ما تدل عليهِ من اسرار آلام المسيح

نقول انهُ يشار بهذه الاثواب ثانيًا الى آلات آلام المسيح التى استعملها اليهود والامم لكي يعذبوهُ بها و يهينوهُ (فالاستيخارة) التي هي الثوب الاول ترمز عن ذلك الثوب اللامع الذي البسهُ هيرودس للسيد المسيح هزءًا بهِ وسخرية وبعث بهِ الى بيلاطس كما اخبرنا لوقا البشير لوقا(٢٣ : ١١) او تدل كما قال البعض على قميص السيد المسيح المنسوج الذي نزعهُ اليهود عنهُ وقت صلبهِ كما ذكر يوحنا(١٩ : ٢٣) . (اما البطرشيل)فيشير الى الوثاق الذي ربطوا بهِ عنق السيد المسيح وهو حامل الصليب المقدس (والزنار) يشار بهِ كما قال البعض الى السياط التي جُلدَ بها السيد المسيح .وقال اخرون انهُ يشار بهِ الى الرباطات التي ربطوهُ بها لما مضوا بهِ موثقًا (يوحنا ١٨ : ١٣) من دار حنّان الى قيافا ومن عند قيافا الى بيلاطس القائد وهذه الامور من شأنها ان تزيد محبتنا نحو من احتمل هذه العذابات لاجلنا (يوحنا ١٩ : ١) وتسهل لدينا تعذيب اللحم الضروري لحفظ العفة وضبط الشهوة التي يشير اليها الزنار كما ذكرنا انفًا (والاكمام) تشير الى الوثاقات التي اوثقوا بها يديهِ المقدستين على العمود لما جلدوه (اما الافلونية) فتشير الى ذلك الثوب الارجواني الذي البسهُ اياهُ الجنود هزءًا بهِ كانهُ ملك كاذب [١] و [٢] . وزعم البعض انها تدل على ثوب المسيح المنسوج .وقال آخرون انها تدل على كفنهِ

هذا ما تشير اليهِ الاثواب الكهنوتية من اسرار الالام المقدسة التي ينبغي للكاهن تأمُّلها حينئذٍ ولنختم هذا الفصل بسؤالين (الاول) هل يمكن في حالٍ من الاحوال ان يؤذن بعمل القداس خلوًا من حلة الكهنوت

(الجواب) لقد اختلفت آراء العلماء في حل هذا المشكل وذهبوا فيهِ ثلثة مذاهب ذهب البعض الى انهُ يباح ذلك اذا كان ثمَّ خوفٌ عظيمٌ كخطر الموت وما شاكلهُ من الاخطار الثقيلة ولم يكن احتقار للدين وذهب آخرون الى انهُ لا يجوز ذلك البتة لعدم اكرام الذبيحة الالهية ولحدوث الشكوك وقال غيرهم وهو الارجح اذا اقتضت ضرورة لعمل القداس جاز عملهُ خلوًا من بعضها واما خلوًا منها كلها فلا يجوز لايقاع الشك

---

١ الصاكوس هو لبوس الاساقفة يراد بهِ قميص المخلص المنسوج من فوق الذي لم يجسر الجند ان يتزعوهُ ٢ الاموفوريون اي لبوس الكتف هو ايضًا ما يلبسهُ الاساقفة اجمالاً و يشار بهِ الى الخروف الذي ضل فوجده المخلص وحملهُ على منكبيهِ فرحًا وايضًا على خشبة الصليب التي عليها صلب

وعدم احترام السر

(السؤال الثاني) أيستطيع الكاهن ان يقدس بثياب غير مكرسة

(الجواب) لا ومن تجاسر على ذلك يأثم اثماً بسلب الاهليات كما نصت العلماء

الفصل السادس

في ايراد المعاني السرية التي تدل عليها الاواني المقدسة والاغطية

ان الاواني المقدسة المستعملة في كنائسنا الرومية هي ✻ الكاس والصينية والحر والنجم والكلمتان والستر الاكبر ✻ الذي تُغطّى بهِ الكاس والصينية معاً وهو يسمّى في النسخ «نافا لي» اي سحابة كما ذكر اياكوبوس . وهذه التسمية مأخوذة من هذه الكلمات التي كانوا يتلونها حينما يغطون الموضوعات بهذا الغطاء قائلين «سحابة منيرة ظللتهم بقوة الرب تشددت السماوات وبروح فيهِ كل قواتها» اما تسميتهُ الخصوصية باليونانية فهي «أيير» اي هواء لانهُ يحيط بالمواهب المقدسة كالهواء المحيط بالارض . هذا ما ذكرهُ المعلم اياكوبوس . ويلحق بذلك (الانديميسي) المكرس

اما الاسرار التي تشير اليها هذه الاواني والاغطية المستعملة في القداس الشريف فهي :

✻ الكأس ✻ تشير كما ذكر البعض الى ذلك الاناء الذي جمعت فيهِ مريم المجدلية ومريم البتول وبقية النسوة القديسات الدم الالهي الذي خرج من الجسد السيدي . وقال آخرون ورأيهم الارجح انها تدل بالمطابقة على تلك الكأس التي قدس السيد المسيح فيها دمهُ ليلة آلامهِ . وكانت من فضة ولها عروتان من فضة ايضاً تنقل بهما كما ذكر بارونيوس

اما ✻ الصينية ✻ فتشير تارةً الى مذود السيد المسيح . وطوراً الى نعشهِ . كما ذكر القديس جرمانوس البطريرك القسطنطيني في تفسيرهِ رتبة الذبيحة قال: انّا نتأملها كمذود يسوع حينما نتأمّل المسيح في وقت استعداد الذبيحة (اي المواهب) مولوداً من العذراء البتول ومعدّاً ليقرب نفسهُ لله ابيهِ ذبيحة عن الخطية . ونتاملها كنعشهِ اذ نرسمهُ تعالى مذبوحاً عن الخطية ومعدّاً للدفن

و✻ الحربة ✻ هي السكين التي جُعلت لافراز الخنم من القربانة وهي تشير الى تلك الحربة التي طعن بها جنب يسوع

اما ﴿ا النجم﴾ فيدل على حال طفولية يسوع بعد ميلادهِ من دلالة النجم عليهِ وحال كونهِ في مغارة ميلادهِ الجسدي وتربيتهِ في الناصرة وسكناه في كفرناحوم كما شرح القديس المذكور والمعلم اياكوبوس

اما ﴿الاغطية﴾ الثلثة التي تغطي بها المواهب فإن لاحظناها دالة على حياة المسيح فهي رمزٌ عن توارهِ تعالى واستتارهِ بعد ظهورهِ بواسطة النجم للمجوس عن معرفة الناس . واما ان تأمّلناها دالةً على حال موتهِ (فالغطاء الاول) الذي تغطى بهِ الصينية يشير الى السباني التي لفّ بها جسد المسيح (والغطاء الثاني) الذي تغطى بهِ الكأس يدل على المنديل الذي غطي بهِ وجه المسيح في القبر اما (الغطاء الثالث) الذي يغطى بهِ كلاهما فيشير الى الحجر الذي بهِ حفظ يوسف القبر وختمهُ

اما ﴿الانديمسي﴾ الذي هو بمنزلة مائدة صغيرة محمولة كما سنوضح ذلك فيشير الى ذلك الكتّان النقي الذي لفّ فيهِ يوسف ونيقوديموس جسد يسوع لما انزلاهُ عن الصليب وحنطاهُ . وفيهِ طبعت صورة جسد المسيح بقامتهِ الكاملة وكل اجزاء جسدهِ الاقدس باعجوبةٍ مذهلة العقول وهو محفوظ حتى الان في مدينة طورين (من ايطاليا) كما ان المنديل الذي مسحت بهِ تلك المرأة التقية فرونيقا المغبوطة وجه المسيح الملطخ بالدماء حينما كان ماضياً الى جبل الجلجلة وارتسمت فيهِ صورة وجههِ الطاهر لا يزال محفوظاً الى اليوم في مدينة رومية الكبرى كما ذكر بارونيوس

فهذا ما تشير اليهِ الاشياء المذكورة حسب تفسير الاباء كما قررنا . وبما انهُ يستعمل ايضاً في رتبة احتفال القداس اشياء اخرى ايضاً غير الاواني السابق ذكرها فلنورد في هذا الفصل استطراداً معانيها السرية قبل ايرادها في امكنتها حتى اذا انتبه العقل الى معانيها المسرودة هنا بنظام واتصال يفهمها باوفر سهولةٍ حيث يراها موردة متفرقة في امكنتها

ومما يستعمل في القداس ﴿المجمرة﴾ وهذه حسب قول القديس جرمانوس تدل على ناسوت المسيح ﴿والنار﴾ وهي تشير الى لاهوتهِ اما ﴿ا البخور﴾ فيؤخذ بالقداس للدلالة على ثلثة امور

١ً للدلالة على المر واللبان الذي قدمهُ المجوس للطفل

٢ً للدلالة على الطيب المقدّم من يوسف ونيقوديموس لدفن الرب

(٣ً) يستعمل رمزًا لتلك الطيوب التي مضت بها حاملات الطيب الى قبر واهب الحياة . اما القديس يعقوب اخو الرب فيقول في افشين البخور انهُ مثال المسيح الذي هو

الجمر المثنى . (واعلم) ان تقدمة البخور في تقدمة الضحية الالهية هي عادة قديمة في بيعة الله ووصية رسولية كما هو محرر في القانون الثلثين من قوانين الرسل . ولذلك قد استعملت هذه العادة في الكنيستين

اما ※ الشموع المنيرة والمصابيح ※ فهي للدلالة على النور المشرق في البيعة من قبل ظهور شمس العدل اعني بهِ السيد المسيح الضوء الحقيقي

اما ※ المرتلون ※ فهم رسم الشاروفيم الذين يرتلون التسابيح امام كرسي العظمة

اما ※ الشمامسة ※ الصغار فهم رسم الملئكة الذين تراءوا مسبحين يوم مولد المسيح في بيت لحم اما في الايصودن الكبير فيكونون للدلالة على اطفال العبرانيين الذين كانوا يؤدّون التسابيح بوجهٍ محسوسٍ للسيد المسيح حين دخولهِ الى اورشليم المشار اليهِ بالايصودن كما يأتي شرح ذلك

اما ※ الشمامسة الكبار الانجيلية ※ فللدلالة على امور متعددة لان الشماس في وقت استعداد الذبيحة واخذ الجوهرة من القربانة التي هي رسم بطن مريم العذراء ينوب مناب جبرائيل الملك المبشر البتول بالسر العظيم كما قال جرمانوس . او مناب يوحنا السابق الدال على حمل الله باشارة اليد ودلالة الاصبع كما قال اركوديوس ويماثل يوسف ونيقوديموس اذا اعتبرنا الصينية كنعش والكاهن يضع فيها جسد حمل الله الذبيح كما قال المغبوط جرمانوس

اما ※ الكاهن ※ فينوب حين استخراج الجوهرة من القربانة مناب الروح القدس الذي حلّ على البتول كما فسر القديس المذكور واما في وقت التقديس حين تلاوة الكلام الالهي فينوب مناب المسيح نفسهِ كما قال الذهبي فمهُ لانهُ يقدّس ويلفظ بشخص المسيح وبجسيما هو لابسهُ قائلاً خذوا فكلوا هذا هو جسدي . وهذا هو دمي

الفصل السابع

في ان رتبة ذبيحة القداس تتضمن اسرار سيرة السيد المسيح كلها وتمثلها تمثيلاً سرياً بثلثة اجزاءٍ تتضمنها هذه الذبيحة

انهُ لما كان قصد السيد المسيح بقولهِ (لوقا : ٢٢ : ١٩) « اصنعوا هذا لذكري » دوام

تذكرة سيرة حياتهِ كلها وعلى الخصوص «الاخبار بموتهِ» اي تمثيل موتهِ « الى ان ياتي » كما قال الرسول (كورنثوس ١١ : ٢٦) والنتيجة دوام تذكرة ذبيحة الصليب . وذلك لعلمهِ جلَّ جوده اننا اذا تذكرنا ما احتملهُ لاجلنا يصير لنا هذا التذكر المتصل مهمازًا يحركنا ويسوقنا الى محبتهِ وخدمتهِ ولا نكون مثل ذلك الشعب الذي اخبرنا عنهُ المرتل بقولهِ (المزمور ١٠٥ : ٢١) « ونسوا الاله مخلصهم الذي صنع العظائم في مصر» ولاسباب اخرى ايضًا جزيلة معتبرة سنذكرها في الفصل الاخير من خاتمة هذا الكتاب . فلاجل هذه الاسباب قصد الآباء القديسون ان يرسموا برتبة ذبيحة القداس الأشياء التي يعملونها من جهة تلك الذبيحة لكي يخبر الكاهن المقدس بالكلام ويظهر بالافعال اسرار تلك الذبيحة تتميمًا لامرهِ تعالى ووصيتهِ وبما ان ذكر ذبيحة المسيح يجب ان يتضمن ذكر بقية اسرارهِ من جملتها تلك الذبيحة الالهية رتب الآباء القديسون ولا سيما القديسين باسيلوس ويوحنا فم الذهب ان تحفظ في خدمة القداس رتبة هذه صفتها ترسم اسرار سيرة المسيح كلها . وهذا الامر قد قرَّره جيدًا المعلم الفاضل ايا كوبوس المقدم ذكرهُ في كتابهِ المعروف بتفسير رتب اليونانيين حيث يستشهد ايضًا بما حررهُ دورندوس في الفصل الاول من كتابهِ الرابع اذ يقول . ان القداس جميعهُ مرتبٌ ترتيبًا محكمًا بهذا المقدار حتى انهُ غالبًا يحوي الاشياء التي فعلها المسيح منذ نزولهِ من السما الى حين صعودهِ ويمثلها بشكل عجيب بالكلمات والاشارات . ولذلك القديسان باسيليوس وفم الذهب قد قصدا ان تحفظ في خدمة القداس هذه الرتبة حتى انهما اوضحا بالكلمات والاشارات المقدسة ميلاد المسيح وسيرتهُ والاشياء التي جرت لهُ بعد الموت بنظام عجيب حتى كانهما يظهرانها للاعين بتمثيل سري (١ه)

ولا ريب ان ذبيحة القداس تتضمن ذلك جميعهُ برتبتها المقدسة وتمثلهُ في اجزائها الثلثة لان الذبيحة تعتبر نظرًا الى ثلثة ازمنة اي نظرًا الى حالة كونها قبل التقديس وفي حال التقديس وبعد التقديس ومن ثمَّ تقسم الى ثلثة اجزاء وكل جزء منها يمثل لنا بعضًا من اسرار سيرة السيد المسيح ومجموعها يمثّل لنا جميعها (فالجزء الاول) الملاحظ في الذبيحة قبل التقديس يوضح لنا مبادئ سيرة حياة المسيح اي الاشياء التي فعلها في حياتهِ كتجسدهِ وميلادهِ وظهورهِ للعالم وتبشيرهِ واختيار رسلهِ وامثال ذلك . وهذا يبتدئ من ابتداء استعداد المواهب وينتهي في تقدمة التسبيح لله على الظفر (والجزء الثاني) الملاحظ في الذبيحة حالَ التقديس يبين لنا الاسرار المتوسطة من سيرتهِ لانهُ يمثل لنا موتهُ وقيامتهُ

وصعوده وهو يبتدىء بالتقديس نفسهِ وينتهي بتقدمة الذبيحة الاخيرة الغائية التي تتم برفع الكاهن الموضوعات يسيرًا اذ يقول « فالتي لك من التي لك الخ» كما نقرر ذلك فيما بعد . (والجزء الثالث) والاخير من الذبيحة المقدسة المعتبر فيها بعد التقديس يعلن لنا بقية سيرتهِ التي كملت بعد صعودهِ وهي موعد الآب اي حلول الروح القدس على الرسل ورجوع الامم بواسطة وعظهم وانذارهم وشركة الناس كلهم اجمعين في جسدٍ واحدٍ اي شركة جسدهِ السري اعني جماعة المؤمنين ابناء بيعتهِ المقدسة بجسدهِ المقدس . وهذا الجزء يبتدئ من دعوة الروح الذي يلتمسهُ الكاهن اذ يبتهل الى الرب بان يرسلهُ عليهِ وعلى مشاركيهِ بتقدمة تلك الذبيحة وعلى القرابين ايضًا وينتهي بانتهاء القداس الالهي وختمهِ . وهكذا تجد في هذا العمل المقدس جميعهِ صورة جسدٍ واحدٍ تتضمن كل اعمال الخلاص بين الناس وتضعها تحت النظر وتمثل جميع اجزائها متحدةً بعضها مع بعض

واعتبر هنا ان ما ذكرناهُ من سياق سيرة السيد المسيح في الرتبة المقدسة لا يحفظ بالتمام والنظام المتصل في الخدمة ولا سيما في استعدادها حيث تذكر بعض امور بخلاف الترتيب السابق وفي ادخال المواهب وقت الايصودن الكبير الصائر قبل التقديس الذي يدل على انزال السيد المسيح عن الصليب واخذهِ الى القبر كما سنذكر ذلك في محلهِ . الاَّ اننا اذا اعتبرنا الخدمة بوجه العموم فالامر هو هكذا كما لاحظ ارميا البطريرك القسطنطيني واثبت ذلك بطرس اركوديبوس وايا كوبوس كوار

وها نحن نبتدىء بايضاح ذلك جميعهُ ونشرحهُ في كتابنا هذا وذلك بثلثة اقسام وفق اقسام الذبيحة الثلثة المذكورة (فالقسم الاول) نشرح فيهِ كل ما يشتمل عليهِ جزء الذبيحة الاول اي كلما يعمل ويتلى في القداس من ابتداء استعداد المواهب الى انتهاء تقدمة التسبيح على الظفر (والقسم الثاني) نضمنهُ شرح كل ما يتضمنهُ الجزء الثاني من الذبيحة اي نوضح فيهِ مدلولات ما يعمل ويتلى فيهِ من حين التقديس الى انتهاء تقدمة الذبيحة الغائيَّة ثم نلحق ذلك ببعض فصول متضمنة اثبات التقديس بالكلمات الربية . (اما القسم الثالث) فنضمنهُ شرح ما يقال ويعمل من الوقت المذكور الى ختم القداس ثم نذيل هذا الكتاب بخاتمةٍ تشتمل على ثلثة فصول طالبين العون والارشاد من الروح الكلي قدسهُ مستغيثين بعروسهِ الطاهرة وجميع القديسين امين

القسم الاول

من شرح القداس الالهي

في الجزء الاول من الذبيحة وهو يتضمن قداس الموعوظين وجزءًا من قداس المؤمنين

اعلم ان هذا الجزء يشتمل على قداس الموعوظين وفيهِ يبتدئ ايضًا قداس المؤمنين وذلك لانهُ ما عدا الاجزاء الثلثة المذكورة المنقسمة اليها الذبيحة نظرًا الى ما تتضمنهُ من الاعتبارات المتقدم ايرادها يقسم القداس ايضًا من حيث اعتبارات أُخرى الى ثلثة اجزاء (اولاً) استعداد الذبيحة وقداس الموعوظين (ثانيًا) قداس المؤمنين (ثالثًا) استعداد قبول السر. هذه هي الاجزاء الرئيسية التي يقسم اليها القداس. (فالجزء الاول) منهُ المدعو قداس الموعوظين يبتدئ من اول القداس وينتهي بعد قراءة الانجيل. اي حينما يعلن الكاهن بعد تلاوة افشين الموعوظين قائلاً «لكي يمجدوا هم ايضًا معنا اسمك» ويهتف الشماس صارخًا باخراج الموعوظين وابقاء المؤمنين. ع̃ انهُ كان يسمح قديمًا للموعوظين ان يحضروا هذا الجزء من القداس فقط. ثم يخرجوا من الكنيسة الى النرتكس ولذا دُعي الجزء الاول من القداس قداس الموعوظين. وهو يشتمل على حث الموعوظين بالتوسل الى الله لاجل ذواتهم وحث المؤمنين ايضًا على التوسل والطلبة لاجل الموعوظين. اما (الجزء الثاني) من القداس المدعو قداس المؤمنين فيبتدئ بعد انتهاء رتبة قداس الموعوظين. اي حينما يهتف الشماس نحو المؤمنين قائلاً «اوسي بيستي الخ» اي انتم يامومنون قفوا لتشاهدوا الذبيحة الطاهرة وتقدّموها مكرّرين ايضًا بسلام الطلبات والتوسلات الحارّة السريّة وهذا الجزء يحتوي على ما يخص الذبيحة الى حين تناول السر فهو اذًا الجزء الاعظم والاخص في القداس اذ فيهِ تكمل الذبيحة نظرًا الى التقديس وتُقدَّم ويحضر الروح الكلي قدسهُ. وبالاجمال نقول انهُ يشتمل على اجزاء الذبيحة الثلثة بنوعٍ اخص. اما (الجزء الثالث) من القداس فيبتدئ من الصلوة الربية وينتهي بانتهاء القداس. ويتضمن تهيوء الكاهن الى تناول السر والشكر عن الاحسان المقبول وها نحن شارحون اجزاء الذبيحة هذه

بثلثة اقسام احدها هذا القسم المشتمل على شرح الجزء الاول من الذبيحة الممثل لنا مبادىء سيرة المسيح وهو ثلثة وعشرون فصلاً

الفصل الاول

في رتبة استعداد المواهب المدعوة عندنا بالذبيحة اصطلاحاً

ان الكاهن العازم على عمل القداس بعد اعداد نفسهِ قبل الشروع بهِ بالاستعداد الواجب منهيئاً كما يليق يجب عليهِ ان يحوّل نظرهُ العقليّ والحسيّ معاً الى إعداد القربان الذي يجب ان يتعين و يعد للذبيحة السرية بطقسهِ الخاص فيأتي و ينتصب امام الابواب المقدسة و بعد افتتاحهِ فاهُ بقولهِ « تبارك الله الهنا كل حين الخ » يسجد امام الايقونات السيدية مشيرًا بهذا العمل الى استقامة رأيهِ في جميع الاحوال وخضوعهِ لتراتيب المجامع المقدسة واوامرها باسرها وقدومهِ لتكميل عملٍ عظيم ترتعد منهُ الارواح السماوية . فمن ثم يطلب قبل الشروع بهِ المعونة من الله ومن السيد المسيح ووالدتهِ الطاهرة مصلّياً في ذاتهِ تلك الصلوة المعينة و يتقدم الى وسط الابواب المقدسة مبتهلاً بهذا الافشين السري ضارعاً نحو الله قائلاً « يارب ارسل يدك من علو مسكنك وقوني على هذه الخدمة الموضوعة الخ » ثم يدخل الى الهيكل و يجثو ثلثاً نحو المشرق و يتقدّم فيقبّل الانجيل المقدس والمائدة الطاهرة و يشرع حينئذٍ يلبس ثياب الكهنوت المشار بها الى زينة النفس باطناً بالفضائل متاملاً وقتئذٍ ما تعنيهِ من الاسرار و بعد تسربلهِ بالحلة الكهنوتية يغسل ثانية انامله التي يكون قد سبق فرحضها بغسل يديه قبل اتشاحه بالحلة المقدسة حسب الطقس العتيق الذي أمر الله بهِ هرون و بنيهِ ان يغتسلوا بالماء قبل ان يلبسوا الاثواب الكهنوتية ولا ريب ان هذا الغسل الخارج هو للتنبيه على وجوب الغسل الباطن . ثم يتوجّهُ ماضياً نحو المذبح ليعد الذبيحة حسب الرتبة

وهذه الاعمال وان كانت امرًا لازماً لابدَّ منهُ لعمل الرتبة فهي تشير الى امور سريّة معتبرة . لان دخول الكاهن الى الهيكل وقدومهُ ليلبس حلة الكهنوت يدلاَّن على قدوم ابن الله ودخولهِ الى هيكلهِ الحيّ اي مريم البتول التي لبس منها ثوب ناسوتنا البشري واتحد بهِ اتحاداً اجوهريًا اقنوميًا ليكمل بواسطتهِ ما سبقت فرسمتهُ الحكمة الالهية من السياسة والتدبير لمجدهِ وخلاصنا (اما تقبيلهُ) الانجيل فاشارة الى قبولهِ تعليمهُ المقدس وخضوعه

لهُ (واما تقبيل المائدة) فاحتراماً لله الذي لهُ وحدهُ أُقيم هذا المذبح وإكراماً لسر جسد المسيح ودمهِ اللذين سيوضعان على المذبح (اما رحض) الكاهن وقتئذٍ اطراف الانامل فقط فاشارةً الى ما ينبغي ان يكون متصفاً بهِ من النقاوة والطهارة بهذا المقدار حتى انهُ يجب ان يكون نقياً من ادنى واخفّ الزلات المعبر عنها باطراف الانامل ليكون بحالة توءهلهُ الى إكمال ذبيحة الحمل النقي (واما توجُّهُ) الكاهن نحو المذبح واتيانهُ اليهِ بعد تسربلهِ بحلّة الكهنوت لاعداد الذبيحة فاشارة الى اتجاه السيد المسيح ومضيّهِ بناسوتهِ الى تقدمة مذبح الصليب

فالكاهن الرومي اذاً بعد ان يعدَّ نفسهُ هكذا متاملاً هاته الاسرارَ يعود الى عمل الذبيحة المعبَّر عنها باستعداد المواهب. فيأتي و يسجد امام المذبح ثلث سجدات اشارةً الى الاقانيم الثلثة المقدَّمة الذبيحة لاسمهم وإكرامهم. وفي كل سجدةٍ يطلب الصفح من الله والغفران قائلاً مع العشار «يا الله اغفر لي انا الخاطي» (لوقا ١٨: ١٣) فالكاهن باظهارهِ نفسهُ كانهُ خاطيءٌ طالب الصفح والغفران يدل على ان المسيح حمل خطايانا ليفي عنها واراد من حبهِ لنا ان يظهر كخاطيءٍ ويحسب هكذا كقول النبي «وحسبناه ذا برصٍ ومضروباً من الله» (اشعيا ٥٣: ٤) فضلاً عن ان هذا القول يفيد لاصدار عواطف صالحة و يكتسب ايضاً الحل والغفران من الهفوات الطفيفة ثم يبتديء مكملاً خدمتهُ المقدسة بالبركة قائلاً «تبارك الله الهنا كل حين» التي يكون سبق الشماس فنبههُ اليها قياماً بوظيفتهِ التي هي مساعدة الكاهن بقولهِ «بارك ياسيد» ثم بعد التماسهِ البركة من الله يتناول القربانة بشمالهِ والحربة بيمناهُ ويختم بها القربانة ثلثاً قائلاً ثلث مراتٍ «لتذكار ربنا ومخلصنا يسوع المسيح»

قال ابا كوبوس: ان الكاهن الرومي في مدخل التقدمة التي منها يبتديءُ استعداد الرتبة يضع امام عينيهِ كالكاهن اللاتيني تذكار السيد المسيح وبقولهِ المذكور يشير الى ما امرنا بهِ السيد المسيح من صنع هذه الذبيحة تذكاراً لهُ بقولهِ «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢: ١٩) لاننا بواسطة «الخبز والكاس نخبر (مذيعين) بموت الرب (ابن الانسان) الى ان ياتي» كما قال الرسول في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنثس (١١: ٢٦) ولذلك باشارات الصليب الكثيرة التي يرسمها الكاهن على الجوهرة يذكر كثرة العذابات المختلفة والالآم المتنوعة التي تحملها السيد المسيح على الصليب حينما قدَّم ذاتهُ ذبيحة الفداء عنَّا وكما ان هاته الذبيحة قد ابتدأت بانتخاب جسد سيدنا يسوع المسيح من سيدتنا مريم العذراء واعدادهِ ليكون مهيأً الذبح عن الخطية هكذا الكاهن الرومي يذكر هذا السر اولاً بذبيحة

القداس و برسمهُ بانتخاب الخبز واخراجهِ من القربانة وبما ان الجزء الاول من الذبيحة يمثل لنا مبادئ سيرة المسيح كانت تقدمة الخبز والخمر الاولى على المذبح ترسم لنا باولى حجة ابتداء سيرة السيد المسيح ونصرّفهُ الاول بين الناس الذي كان بدؤُهُ انتخاب ناسوتهِ وتجسده من مريم العذراء ولذا قال القديس جرمانوس ان الخبز الذي يُقدَّم ليؤخذ منهُ الجسد السيديّ هو رسم والدة الاله (والختم) مثل جسد السيد المسيح (والكاهن) الذي يستخرج من الخبز المقدس ذلك الجزء هو رسم الروح القدس الذي حل على البتول . (والشماس) الخادم السر ينوب مناب جبرائيل رئيس الملئكة الذي بشر العذراء بالفرح و يرسم لنا ايضًا يوحنا المعمدان كما فسر اركوديوس اذ يشير بالزنار ناظرًا الى الموهبة كانهُ سابق ثانٍ يعدُّ الطريق للرب وليشهد قائلاً (يوحنا ١ : ٢٩) «هوذا حمل الله» وكتب ايضًا القديس جرمانوس «ان الخبز المقدس يوضع على المائدة المقدسة كانهُ في بيت لحم حيث وُلدَ المسيح ومع ذلك كانهُ في الناصرة» وقال ايا كو بوس ان مائدة التقدمة ترسم لنا ايضًا موضع سكناهُ في كفرناحوم . فالكاهن اذًا بهذا العمل الاول من استعداد هذه الخدمة يتامل باشارة الافعال انتخاب ناسوت سيدنا يسوع المسيح وولادتهِ في بيت لحم ثم يتامل باشارة الكلام والافعال معًا اتيان النجم ووقوفهُ حيث كان الصبي . ثم يذكر تقدمة المجوس لهُ القرابين بتقدمة البخور الذي يقدمهُ بعد اعدادهِ بقية الاجزاء . وعلى هذا النحو يرسم بنظام متصل ابتداء سيرة المسيح . قال بطرس اركوديوس ان الآباء القديسين قصدوا ان يتمموا وصية المسيح في الابتداء وفي استعداد الخدمة بالرسم فارادوا ان يكون فعل واحد من الرتبة دالاً على اشياء كثيرةٍ مثلاً على الميلاد وذبح الصليب وغير ذلك كما كتب القديس جرمانوس قائلاً الى شيءٍ واحدٍ مما يصير الان بالرسم ينسب شيآن او ثلثة اشياء من الامور التي صارت حينئذ . ومن ثم نقول مع المفسرين ليس بعجبٍ ان يقدّم آباء الروم القديسون لعقول المتأملين في مدخل الرتبة المسيح مذبوحًا باسم حمل راسمين بذلك ما هو عتيدٌ ان يكمل بالحقيقة . وهذا يرسمهُ الكاهن بالكلام والافعال معًا لانهُ اذ ينتخب الموهبة . اي اذ يخرج الجوهرة من القربانة بالحربة . يتلو هذه الاستيخونات المأخوذة من اشعيا النبي (اشعيا ٥٣) مخبرًا بها عن موتهِ قائلاً «كالخروف سيق الى الذبح وكالحمل امام الجزاز الخ» ثم بعد ان يقطع بالحربة الموهبة من جهاتها الاربع يخبر عن ارتفاع حياتهِ من الارض . و يرسم ذلك برفعهِ الموهبة قائلاً «قد ارتفعت من الارض حياتهُ» ثم يضع تلك الموهبة في الصينية متأملاً ميلاد المسيح في بيت لحم ووضع

ذلك وضعهُ في القبر المشار اليهما بالصينية

بما ان سيدنا يسوع المسيح قدّم جسدهُ منذ دقيقة ميلادهِ للذبح عن الخطية وكان معدًا لقبول الآلام حسبما يشهد الرسول عنهُ تعالى قائلاً : فلذلك يقول عند دخولهِ الى العالم « ذبيحةً وتقدمة لم تشأ لكنك البستني جسدًا ولم ترْضَ بالمحرقات ولا بذبائح الخطيئة حينئذٍ قلتُ هاءناذا آتٍ فقد كتب عني في راس الكتاب لاعملَ مشيئتك» (عبرانيين ١٠ : ٥ و٦ و٧) . فالكاهن الرومي يتامل ذلك ويرسمهُ بوضعهِ الموهبة ظهرها المطبوع شكل صليب الى تحت ووجهها المقطوع الى فوق كالخروف المستلقي على ظهرهِ للذبح . ثم يقول الشماس للكاهن (اذبح ياسيد) فكانهُ يقول : ارسم ياسيد بوجه محسوس ذبح سيدنا يسوع المسيح الذي كمل على الصليب و يكمل هنا سريًا فحينئذٍ يذبح الكاهن اي يرسم ذبح سيدنا يسوع المسيح بان يحزّ القربانة شكل صليب قائلاً (ليذبح حمل الله الخ) وانما يحزّ القربانة هنا شكل صليب لثلثة اسباب كما قال اياكوبوس : (اولها) لتذكار ذبيحة ابن الله على الصليب (ثانيها) لتقديس الخبز المكرم (ثالثها) ليسهل تقسيم الخبز اي الجوهرة المقدسة حين التناول . ثم يقلب الجوهرة وجهها المذبوح الى تحت وظهرها المطبوع رسم صليب الى فوق مشيرًا بذلك (اولاً) الي ان سيدنا يسوع المسيح لم يكن ناظرًا الى فوق بل منكسًا وجههُ الى الارض حاملاً صليبهُ على ظهرهِ كحمل لا عيب فيهِ مستعدًا للذبح والحمل من عادتهِ ان يمشي لا يكون راْسهُ الى فوق بل منكسًا (ثانيًا) لان السيد المسيح لما صلب كان الصليب في ظهرهِ لا من قدامه . ومن هذا علم ان وجه القطع في الموهبة يدل على وجهِ المسيح . والجهة الفوقية المطبوع فيها شكل صليب المرقومة بالكلمات تدلُ على قفاهُ

ثم لكي يكون الرسم شاملاً بقية اجزاء الذبيحة يقول الشماس للكاهن « اطعن ياسيد » اي ارسم ياسيد طعن سيدنا يسوع المسيح بحربةٍ في جنبهِ فحينئذٍ الكاهن يطعن الخبز بالحربة من ناحية اليمين قائلاً : « واذا بواحد من الجند طعنهُ بحربة الخ » و بهذا يتأمل الكاهن طعن جنب سيدنا يسوع المسيح ويرسمهُ . ثم يذكر ذلك الدم الذي خرج من الجنب السيدي ويرسمهُ بوضع الشماس الخمر والماء معًا في الكاس الموضوعة في الناحية اليمنى تلقاء الجهة المطعون بها الخبز . وذلك لكي يكون حقيقيًا في الغاية ما يكمل الآن بالرسم ولهذا توضع الكأس مقابل الجهة المطعون بها الخبز الذي هو رسم الجسد السيدي . اما مزج الماء مع الخمر فلهُ عدة اسباب : (السبب الاول) هو ما اوردهُ

يعقوب الرسول اخو الرب قائلاً : ان سكب الماء والخمر في الكأس دلالة على ما صنع المسيح في ذلك العشاء حيث صنع دمهُ من خمر ممزوج بماء وسقاهم . فالبيعة اذاً تمزج الماء بالخمر اقتداء بما فعل السيد حين قدّس . (السبب الثاني) تذكاراً للدم والماء اللذين خرجا من جنب يسوع حين طعنهِ بالحربة . (السبب الثالث) هو لان الشعوب يسمون في سفر الرؤيا مياهاً فبامتزاج الماء مع الخمر يشار الي اتحاد جماعة المؤمنين مع المسيح هامتهم ومن ثم يقول الشماس وقتئذٍ للكاهن بارك ياسيد هذا الاتحاد المقدس . (السبب الرابع) لانّ بامتزاج الماء بالخمر اشارة الى وجود طبيعتين في المسيح اما الارمن الاراطقة كما قال نيكوفورس المؤرخ فلا يمزجون الماء مع الخمر لئلا يلتزموا بهذا الفعل ان يعترفوا بوجود الطبيعتين المتحدتين في المسيح . فالبيعة اذاً بامتزاج الماء مع الخمر نشير الى وجود هاتين الطبيعتين في المسيح ضد الحاد هؤلاء * واعلم ان المجامع المقدسة قد اوصت بان يكون الماء الممتزج مع الخمر قليلا وذلك لامرين (اولها) لنعترف بذلك اننا كلا شيء تجاه العزة الالهية وحضرة السيد المسيح ربنا والهنا (ثانيهما) اشارةً الى هذا المعنى وهو ان في جميع المواد السيّالة ان امتزج بعضها مع بعض فان الاقوى منها يحيل الادنى والاضعف الى ذاتهِ و يشركهُ في خاصياتهِ فكذا نرجو نحن ان يكمل ذلك فينا على نوع سريّ بتناولنا السر الالهي اي ان عظمة المسيح تلاشي دناءتنا وان تحيلنا على نوع ما الى صفاتهِ الالهية . و بما اننا تقلدنا ان البتول الكلية النقاوة كانت في وقت الآلام واقفة عند الصليب المقدس نخرج لها جزءاً تذكاراً لها ونضعهُ من ناحية شمال الخبز المكرم من حيث هي اشرف في القداس كما قال ايا كوبوس دون ان يورد لمية ذلك . بل قال اخرون : بما انها الان ممثلة واقفة من عن يمين ابنها في القصر السماوي يقال عند وضع جزئها المكرم هذه الاستيخونات الداودية « قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوبٍ مذهب موشّى » (المزمور٤٤ : ١٠)

ثم لما كان من اعظم اللياقة والوجوب الاّ يكون ملك الملوك في هذا المذبح الكلي الكرامة بمفردهِ بل يجب ان يكون محفوفاً ومعظماً بجفل حضور القديسين المنتصبين لديه على مثال طغمات الملئكة التسع اعتاد الكاهن الرومي ان يخرج من القربانة تسعة اجزاء و يضعها من جانب الجزء الاكبر ذاكراً القديسين ومشبهاً مع ذلك بصفها وترتيبها وعدد صفوفها الطغمات السماوية ومراتبها . هذا ما اوردهُ ايا كوبوس عن بعض المفسرين المحدثين وضحك منهُ وقال اني اقرّ ان الآباء القدماء مثل ديونيسيوس وابيفانيوس قد

ذكروا اعادة الاجزاء الواجب اخراجها من الخبز في الرتبة على اسم القديسين الا ان ذلك لا لاجل هذا السبب بل لاجل اسباب وغايات اخرى جليلة معتبرة سنوردها في الفصل الثالث هنا

الفصل الثاني

في ايراد ما يعملهُ الكاهن بعد انتهائهِ من اخراج الاجزاء وفي تقدمة الذبيحة الاولى على المذبح الاصغر

بعد إخراج الاجزاء وترتيبها يبخر الكاهن النجم ويلتفت ايضًا متاملاً طفولية يسوع بعد ان رسم ميلادهُ واشار الى آلامهِ بتلك الاعمال والاشارات النبوية كما تقدم الانبياء ورسموا لنا عوارض آلام المسيح كافةً . هكذا هنا الكاهن الرومي اذ يتأمل ميلاده من البتول باخراجهِ الموهبة يشرع في الحال برسم آلامهِ والاشارات الى ذلك بالاقوال النبوية ثم يذكر حال طفوليتهِ حينما كان مُعدًّا للذبح السري بالكلمات السرية ويشير الى ذلك بقولٍ وعمل لطيف اذ يضع النجم على الاجزاء قائلاً «واتى النجم ووقف حيث كان الصبي» (متى ٢ : ٩) وقال في شرح ذلك المعلم اياكوبوس انهُ لئلا تمس الاغطية الجوهرة وتشوش نظام الاجزاء اخترع فم الذهب قوسين قصيرتين حتى اذا اسندتا على اطرافها كانتا على اشعةٍ تشابهُ اشعة النجم . فلذلك سميتا باسم النجم الذي ظهر في ميلاد المسيح ومن ثمَّ يقول الكاهن عند وضعها « واتى النجم الخ» وقد استحسن المعلم المذكور هذا الطقس المقدس وعدهُ في غاية المطابقة للدلالة على ما رسم لاجلهِ فقال : اننا نرى آباء الروم يطابقون احيانًا الاشياء والاعمال مع الكلمات المقدسة . كما انهم حين لفظهم هذه الكلمات وهي « وان واحدًا من الجند طعن جنبهُ بحربةٍ » يصبون في الكأس الخمر والماء معًا . وبا لعكس يطابقون احيانًا الكلمات مع الاشيا المقدسة كقولهم حين تغطيتهم الخبز المقدس بالقوسين المذكورتين القول المقدس «واتى النجم الخ» فمن ثم يتقدمون فيذكرون هنا اي على المذبح ميلاد المسيح بتمثيلهم الصينية كمذودٍ والمسيح يضجع عليها والنجم فوقهُ دالاً عليهِ والاشارة الى ذلك بالاقوال المقدسة . واذ يذكرونهُ مذبوحًا يمثلون الصينية كنعش المسيح مسجًّى عليها مائتًا مذبوحًا . والاشارة الى ذلك بالاقوال النبوية . وعلى هذا

النحو يذكرون حال طفوليته وآلامهِ وموتهِ باقوال وافعال لطيفة مطابقة جداً

فمن هذا التقرير علم ان الصينية تؤخذ للدلالة على امرين اي على مذود المسيح وعلى نعشهِ فمن ثم قال القديس جرمانوس اننا نتأمل الصينية تارةً كمذود المسيح وطوراً كنعشهِ حسبما نبهنا على ذلك في الفصل السادس من المقدمة فنتاملها كمذود المسيح حينما نتأمل المسيح مولوداً من البتول ومعدًّا ليقرب نفسهُ لله ابيهِ ذبيحةً عن الخطيئة . والشماس برسم يوحنا السابق مشيرًا الى حمل الله بيدهِ . ونتاملها كنعش اذ نرسم المسيح مذبوحاً عن الخطية ومعدًّا للدفن . والشمامسة تماثل يوسف ونيقوديموس وهكذا يتامل الكاهن المسيح بحسب هذين النوعين اذ يضع الاغطية الثلثة فوق المواهب. لانهُ ان لاحظ المسيح مولوداً يتأملهُ بالاغطية مختفياً مستترًا عن معرفة الناس بعد ظهورهِ بواسطة النجم . وان تأملهُ مائتاً فيذكر بالاغطية ما تدل عليهِ من الامور السرية المتجهة الى آلامهِ كما قررنا في الفصل السادس من المقدمة . وقد اورد سمعان سبباً اخر للاغطية قال : انهُ يشار بها الى ان يسوع لم يكن مشاهدًا منذ البدء ولما تجسد لم يكن ايضاً منظورًا من جهة لاهوتهِ . ويمكن ان يتامل الكاهن السيد المسيح بتقدمة البخور بحسب النوعين المذكورين على انهُ ان تامل السيد المسيح مولوداً والمذبح مغارة والصينية مهدًا يذكر بالبخور المر واللبان اللذين قدمها المجوس للسيد حينئذٍ . واذا تاملهُ مائتاً يذكر بهِ الطيب الذي قدمهُ يوسف ونيقوديموس لدفن الرب وتلك الطيوب التي مضت بها حاملات الطيب نحو قبر واهب الحياة ليضمخن بها جسد المسيح* واعلم ان البخور يقدم للحين بعد كمال التقدمة كما قال سمعان شكرًا للفعل الالهي وايضاً لاستدعاء روح القدس ومجيئه كما تشهد الطلبة القائلة «بخورًا نقدم لك . . . لرائحة عطر ذكية روحية الخ» . ثم ان الكاهن بعد تمامهِ هذا العمل بورع جزيل . يقدّم لله هذه التقدمة اعني المواهب تقديماً اوليًا قائلاً سرًّا افشين التقدمة المأخوذ من رتبة القديس يعقوب الرسول اخي الرب وبدؤُهُ « يا الله الهنا ارسل ربنا يسوع المسيح الخ» واعلم انهُ ما عدا هذه التقدمة التي تقدّم بها الذبيحة على مذبح التقدمة الاصغر تقدّم ايضاً تقدمتان أُخريان على مائدة التقديس الكبرى فتتقدم (اولاً) على المائدة المذكورة قبل تقديسها وذلك بعد نقلها من المذبح الاصغر الى المائدة الكبرى لانهُ بعد وضع المواهب يقدمها الكاهن قائلاً : هذا الافشين « ايها الرب الاله الضابط الكل الخ» وهذه هي التقدمة الاولى الابتدائية بنوع اخص كما سنقرر ذلك في موضع اخر. تقدّمُ (ثانياً) تقديماً غائيًّا بالفعل والقول معاً بعد تقديسها . وذلك حينما يمسّ الكاهن

الاواني المقدسة بمعارضة يديهِ شكل صليب رافعًا اياها قليلاً نحو السماء قائلاً « التي لك من التي لك الخ » ثم ان الكاهن بعد انتهائهِ من افشين التقدمة يتناول المجمرة ثانيًا و يبخر التقدمة . ثم يدور مكملاً خدمة البخور مبخرًا المائدة ثم الشعب . معلمًا ايانا بذلك ان نهيء ذواتنا لكي نرسل صلواتنا لله تعالى كرائحةٍ ذكية تاركًا التقدمة في الجهة الشما لية على المذبح رامزًا بذلك بان فضائل السيد المسيح قد خفيت في بدء كرازتهِ وانذارهِ عن كثيرين ولم تكن ظاهرة للكل . وهكذا كان مستورًا وغير معروف مدة ثلثين سنة من حياتهِ كما سبق تقرير ذلك . وفي حين تكميلهِ خدمة البخور يتلو قائلاً هذه الطرو بارية المعطاة من الله بواسطة ملاك سماوي ليوحنا الدمشقي كما هو مذكور في خبر قزما المنشي وهي « يامن كان في القبر بالجسد الخ » و بهذا القول مع خدمة عمل البخور تشير البيعة الى لاهوت المسيح وناسوته على انها تشير بالمجمرة ورمادها الى جسم المسيح الذي كان في الضريح والاشارة الى ذلك بقولها « يامن كان في القبر با لجسد » وتشير بالمجمرة الى نفسهِ المقدسة والاشارة اليها بقولها « وفي الجحيم بالروح » وتشير بالنار الى لاهوتهِ بقولها « وعلى العرش حصلت مع الآب والروح ايها المسيح »

تنبيه * ان استعداد الذبيحة الجاري بتهيئة المواهب على مائدة التقدمة كان يصير قديمًا في بيت داخل الكنيسة حسبما نبه على ذلك المعلم ايا كوبوس في كتابه السابق ذكرهُ ثم يقول ان الصلوات التي تقال الآن في اخر القداس على المائدة يقال في نسخٍ قديمة كثيرة انها كانت تصير في بيت الكنيسة

الفصل الثالث

في بيان سبب وضع الاجزاء الصغار وتقدمتها مع الجزء الاكبر في الخدمة المقدسة . وكيف تقدم للدلالة على غايات الذبيحة المتنوعة

من عهدٍ قديم جرت العادة في الكنيسة اليونانية (كما لحظ المعلم بطرس اركوديوس والفاضل ايا كوبوس . بل كما يتضح من كتاب الرتبة ايضًا والعادة الجارية بالاستعمال الآن) ان يوضع على مائدة التقدمة احيانًا قربانات كثيرة واحيانًا واحدة فقط من الخبز الخمير المعدّ بايدي العذارى الابكار كشكل قرص مستدير مطبوعًا في وسطهِ ختم مربع شكل صليب مرقومًا عليهِ اسم « يسوع المسيح الغالب » وهو حسب الرسم الذي

كان وضعهُ قسطنطين المعظم . كما ذكر عنهُ نيكيفورس المؤرخ قائلاً « ان الملك المذكور قد نصب في المدينة المتملكة ثلثة صلبان . فكتب على الاول « إيسوس » اي يسوع . وعلى الثاني « خريستوس » اي المسيح . وعلى الثالث «نيكا» اي يغلب وكل صليب منها كان يسمى بالاسم المرقوم عليهِ فعنهُ أُخذ ذلك ووضع في القربانة . وقال القديس ابيفانيوس في كتابهِ المسمى (انكومراتوس) ان القربانة يصنعونها شكلين مدورة الشكل ومربعة ايضاً . فالاول شكل الدينار . وهذا يقول المعلم دورندوس (في الفصل ٤١ من كتابهِ ٤) للدلالة على الدينار المدفوع من السيد المسيح لبيعتهِ ثمناً لفدائنا وهو جسدهُ الاقدس . واما الشكل المربع فللدلالة على امتداد هذه الذبيحة في اربعة اقطار المسكونة وتقريبها في جهات العالم كقول ملاخيا النبي « ولا مسرَّة لي بكم قال رب الجنود ولا ارضى تقدمة من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في كل الامم وفي كلّ مكانٍ تقرَّب لاسمي تقدمةٌ طاهرة . » (ملاخيا ١:١١) ولكن كيفما كان القربان المقدَّم على المذبح مدوَّراً او مربعاً ياخذ الكاهن القربانة الاولى ويرفع منها بالحربة الجزء الاكبر بشكل مربع دائماً ويقدمهُ لتذكار المخلص ويقيم جزءاً ثانياً اصغر مثلث الزوايا لاكرام الدائمة البتولية وتذكارها . وجزءاً ثالثاً ليوحنا السابق ورابعاً للرسل وهكذا سائر الاجزاء كما هو محرَّر في كتاب الرتبة

وان قيل اولاً على سبيل الاستفهام : لماذا تقدَّم اجزاء كثيرة لاجل والدة الاله وسائر القديسين بما ان الجزء الاكبر هو في غاية الكفاية لتذكار المسيح والقديسين ولمنفعة الاحياء والاموات

فنجيب مع اركوديبوس وإيا كوبوس قائلين : انهُ لما كانت ذبيحة الناموس الانجيلي واحدة فقط من حيث القربان المقرَّب ومن حيث الكاهن الخاص الاَّ انها متنوعة من حيث الغاية ومتفننة بالمفعول وحاوية جميع كمالات تلك الذبائح القديمة بوجهٍ شريف جدًّا اعتاد آباء الروم الكليو القداسة وخلفاؤهم من بعدهم المتعلمون منهم لكي يوضحوا هذه الغايات المتنوعة اشدَّ ايضاحاً ان يقرّبوا اجزاء كثيرة كلاًّ منهم لاجل واحد وهذه الاجزاء جميعها مع الجزء الاكبر تعدُّ ذبيحة واحدة الاَّ انها تشير الى غايات مختلفة تخص هذه الذبيحة الواحدة . واما بشأن هذه الغايات المتنوعة المختصة بالذبيحة فنقول ان الذبيحة بما ان بها يعبَد الله صانع جميع الاشياء وغايتها فهي «مادية العبادة» لله ونظير المحرقة تعود جميعها الى كرامتهِ . ومن حيث انها تقدَّمُ لرضى الجلال الالهي المسخط بخطايا الناس لتجعلهُ

غافراً اوروؤوفاً لهم فهي «رضوية» . وتدعى «وفائية» لانها تقدم لله بدل الخطيئة اي لنيل مغفرة الخطايا . ومن حيث انها تؤدّى لهُ مكافأة عن الخيرات والحسنات المقبولة فهي «شكرية» اي مقدّمة لله الشكر عن احساناتهِ لانها رُسمت لاسداء الشكر لهُ على ذلك . ومن حيث اننا بها نقبل نعماً من الله فهي «منيلة» لاننا نقدمها لنيل نعمٍ نبتغيها متوقعين احسانات اخرى جديدة . فهذه الغايات نفسها نراها ظاهراً بذبائح العهد العتيق التي كانت رسماً لذبيحتنا هذه . لانهُ كما يتضح في الاصحاح السابع من سفر الاحبار ان ذبائح العهد المذكور كانت تقسم الى ثلثة انواع (اولها) ذبيحة المحرقة وكانت تقدّم لله لتقدمة العبادة والكرامة الواجبة لعظمتهِ الالهية . وهذه هي الغاية الاولى (ثانيها) ذبيحة السلامة وكانت تقدّم (١ً) لاسداء الشكر لله على احساناتهِ . وهي الغاية الثانية (٢ً) لطلب النعم الالهية ايضاً . وهذه هي الغاية الثالثة (ثالثها) ذبيحة الخطيئة وكانت تقدّم لله لطلب المسامحة والاستغفار عن الخطيئة وهذه هي الغاية الرابعة . ولما كانت تلك الرسوم العتيقة تشير الى هذه الغايات المتنوعة وتقدم لاجلها بحسب رسمهِ تعالى وجب ان تكون ذبيحتنا هي الحقيقية المقصودة بتلك الرسوم مقدمة لاجل هذه الغايات ومشيرة اليها وموضحتها ابلغ ايضاح

فاذا فهمت ذلك جيداً فاعلم أن الآباء القديسين كما يقول المعلمان السابق ذكرهما اخترعوا كثرة الاجزاء ليدلوا على هذه الغايات والمفعولات المتنوعة بذبيحة واحدة اي بذبيحة العهد الجديد الواحدة التي هي عوض جميع تلك الذبائح المتعددة التي انما كانت رسماً لهذهِ . ولذلك ارادوا ان الجزء الاكبر المرفوع لذكر المخلص يشير الى ※ الغاية الاولى ※ وهي تقدمة العبادة لله لانهُ كالمحرقة يقدَّم لمجد الله ولاكرامهِ . واما الجزء الثاني المرفوع لتذكار والدة الاله و بقية الاجزاء المرفوعة لبقية القديسين فتشير الى ※ الغاية الثانية ※ وهي تقدمة الشكر لله لاجل خيراتهِ المصنوعة لوالدتهِ او بقية القديسين . واما بقية الاجزاء الاخرى التي تقدم لاجل الاحياء والاموات فتشير الى ※ الغايتين الاخيرتين ※ وهما الوفاء لله ونيل نعمتهِ ومعونتهِ . فهذا هو اذاً سبب وضع الاجزاء وما تدل عليهِ

ومن هذا التقرير علم ان ذبيحة القداس قد رسمت لاجل هذه الغايات الاربع السابق ذكرها على الخصوص اي (اولاً) لاكرام سلطان الله المطلق على كل الخلائق (ثانياً) لاسداء الشكر على احساناتهِ تعالى (ثالثًا) لنيل مغفرة الخطايا (رابعًا) لنيل بعض احسانات جديدة . و يزاد عليها (خامساً) غاية اخرى رسمت الذبيحة لاجلها وهي ذكر

آلام المسيح السيد واكتساب قوتها وقد يليق بكل كاهن ان يردد هذه الغايات بعقلهِ ويستحضرها حين تقدمتهِ هذه الذبيحة الطاهرة

وان قيل (ثانيًا) ان كان الجزء الثاني وبقية الاجزاء لتذكار والدة الاله وجميع القديسين مقدّمة للشكر على احسانهِ المفعول فلمَ يقال في الرتبة انها تقدم لتذكارهم واكرامهم كما ان الجزء الاكبر يرفع لتذكار المسيح * فنجيب عن ذلك المعلم اركوديوس . في الفصل ٨ من كتابهِ الثالوث . في القربان المقدس قائلاً : انهُ يوجد في الخدمة نوع متفنن في التكلم عن القديسين حينما تقرب الذبيحة . لان الكهنة يقولون لتذكارهم ولاكرامهم كما يقال عند رفع جزء والدة الاله : لتذكار ولاكرام الكلية البركة سيدتنا والدة الاله . ويقولون ايضًا تقرب لاجلهم كما يقال عند رفع جزء يوحنا المعمدان هكذا لاجل النبي الكريم المجيد يوحنا الخ . وهذا لا يضاد ما قررناهُ انفًا أن هذه الاجزاء تقدم للشكر لله عن القديسين . وذلك لاننا اذ نذكرهم مقدمين تلك الاجزاء لاجلهم نشكر الله على الخيرات التي قبلوها من جودهِ تعالى اي على غلباتهم والافعال الحسنة التي فعلوها بشجاعة وعلى سعادتهم الابدية لان التقريب لاجلهم اي لاجل مجدهم وطلب حمايتهم لا للصلاة لاجلهم (اذ انهُ من المبادي الجارية المسلمة في بيعة الله ذلك القول المشهور : ان من يصلي لاجل الشهيد يهين الشهيد) . فالتقريب اذاً لاجلهم انما هو لاجل ما ذكرنا . وهذا جميعهُ يرجع الى مجدهم الخارج العرضي وهو الغاية التي لاجلها نقدم لله الذبيحة الشكرية لاجل القديسين

وان قيل (ثالثًا) ألا يستطيع الجزء الواحد ان يبلغ هذه الغايات كلها اذا قدم لتذكار المسيح ولتذكار القديسين ولمنفعة الاحياء والاموات

نجيب بالايجاب . ولكن تقدمة الاجزاء بنوع متفنن نظراً الى تنوع الغايات توضح لنا هذا الامر المقصود اعظم ايضاحًا . وهذا هو غاية الآباء القديسين بتقدمة كثرة الاجزاء التي هي ذبيحة واحدة لاغير

وان سئل (رابعًا) لاي سبب يذكر القديسون في الذبيحة الالهية وما قصد الكنيسة بذلك نجيب ان لذلك اسبابًا متعددة اوردها الاباء القديسون (اولها) للدلالة على انهم لم يمتلكوا مجدهم وسعادتهم الّا بفضل استحقاقات ذبيحة سيدنا يسوع المسيح على خشبة الصليب المداومة بذبيحة القداس الالهي (ثانيها) لان القديسين هم اعضاء سيدنا يسوع المسيح وهو رأسهم . وبما انهُ تعالى يتمجد بهذه الذبيحة فلا بد من ان يفاض مجده على اعضائهِ الغير المنفصلين منهُ لان مجد الراس لابد من ان يشمل بقية الاعضاء ايضًا (ثالثها) لان جميع

القديسين متحدون مع سيدنا يسوع المسيح راسهم اتحاداً غير منفصم . فلذلك يقدمون انفسهم لله مع المسيح في ذبيحة القداس الالهي التي هي ذبيحة الجسد كلهِ اي الرأس وهوسيدنا يسوع المسيح . والاعضاء وهم جميع القديسين وفضلاً عن ذلك اننا نذكرهم اولاً لنفرح معهم لاجل سعادتهم وانتصارهم وامتلاكهم اكليل المجد السماوي الابدي ثانياً لكي يشفعوا بنا عند الله لاكتساب النعم اللازمة لخلاصنا لاننا ان ذكرناهم يذكروننا هم ايضاً في السماء و يتضرعون من اجلنا امام الخروف ليمنحنا صفحاً ونعماً * واما الاسباب التي لاجلها تقدم الاجزاء لاجل المؤمنين الاحياء منهم والاموات فمعروفة لايجهلها احد فتقدم لاجل الاحياء لغايات كثيرة اما لاجل الاموات فلكي يحصلوا على المشاهدة الالهية * فانتج اذاً ما تقدم ذكره من اول الفصل الى الان انهُ في ذبيحة المذبح كما قال القديس اوغسطينوس في الفصل السادس من كتابهِ العاشر في مدينه الله يشار الى ذبيحة عامة يقرب بها الله جسد سيدنا يسوع المسيح السري باسرهِ اي كل المدينة المنقذة بواسطة المسيح الكاهن العظيم . وبما انهُ ينسب الى رباط هذا الجسد القديسون القاطنون في السماء والتائبون الذين انتقلوا و يوجدون في المطهر والاحياء الماكثون على الارض يجب ان يذكر الجميع في ذبيحة المذبح كل منهم في رتبتهِ

الفصل الرابع

في بيان قدمية وضع الاجزاء المستعمل في رتبة استعداد الذبيحة

ان عادة انتخاب الاجزاء على اسم القديسين وسائر المؤمنين الاحياء والراقدين المستعمل في استعداد المواهب عندنا عادة قديمة جداً و بيان انها مقلدة من عهد الرسل و يتحقق صدق ذلك مما حرره القديس ديونيسيوس الاريوباجيتي في الفصل الثالث من كتابهِ في الخدمة الكنسية حيث يقول «اذا وضعت على المذبح المقدس والاشارات الواجب اكرامها التي يشار بها الى المسيح فيحضر للحين احصاء القديسين ورسمهم الدال على اقترانهم مع المسيح بالاتحاد المقدس الطاهر» وقد اورد هذه الشهادة الجليلة ايا كوبوس كوار باثبات قدم اختراع هذه الاجزاء في بيعة الله قائلاً : على اي شيء يدل قول ديونيسيوس احصاء القديسين ورسمهم الدال على اقترانهم مع المسيح الا على اشارات القديسين التي نقدم لذكرهم وتوضع مع اشارة المسيح للدلالة على اتحادهم المقدس معهُ . ثم

ان هذا المعلم الفاضل يستشهد ايضاً بقول ابيفانيوس في الفصل الثالث والخمسين من كتابهِ في الارطقات حيث يقول «نعمل تذكار الابرار والخطاة . اما لاجل الخطأة فنطلب رحمة الله . واما لاجل الابرار والشهداء والمعترفين والاساقفة والسياح وبقية الطغمة باسرها فلكي نفصل الرب يسوع المسيح من البشر بالكرامة التي نقدمها لهُ» . قال ايا كوبوس ما معني قول القديس ايبفانيوس «اننا نفصل بذلك الرب يسوع المسيح من البشر بالكرامة التي نقدمها لهُ» الا انا نفصلهُ من عبيدهِ ونميزهُ بالجلال الالهي اذ نمثل بوضع الاجزاء جماعة خدامهِ وحاشيتهِ التي تتبعهُ حسب عادة الملوك لكي نوضح الكرامة الواجبة لهُ بذلك الترتيب المحسوس . واما المعلم بطرس اركوديوس فقد فهم قول القديس هكذا : اننا بعملنا تذكار الابرار نشهد بعظمة الرب يسوع ونشير الى انهُ ليس احد يساويهِ من البشر . وذلك لاننا نقرب لهُ الذبيحة وننادي لهُ بالكرامة والعبادة المختصة بهِ بما انهُ الهٌ . اما القديسون فمن حيث هم خليقة لا نقرب لهم بل نقرب لاجلهم او من اجلهم شاكرين الله على انهُ منح اخوتنا تلك النعمة التي بها غلبوا العالم والشيطان وكللهم باكليل المجد والكرامة بعد تلك الغلبة . وعلى هذا النحو نميز فيما بين الرب يسوع وبين خدامهِ القديسين * فقد صح اذاً من قبل شهادة القديس ديونيسيوس المعاصر الرسل القديسين ان اختراع الاجزاء قديمٌ في بيعة الله وبالتالي اقدم من القديس باسيليوس ويوحنا فم الذهب . ويؤكد غاية التوكيد بشهادة ابيفانيوس التي يوضح بها انهُ يتكلم عن تقليد قديم لا محدث . كما يبان مما كتبهُ في اخر فصل في الارطقة ٧٧ ضد آريوس الارطوقي الذي كان يزعم انهُ لا فائدة بتقدمة القرابين والابتهالات لاجل الاموات قال : «ان الكنيسة تفعل هذا بتقليد قبلتهُ من الآباء» فاذاً من حيث عادة وضع الاجزاء هي قديمة في بيعة الله اعتاد آباء الروم القدماء الكليو القداسة حسب قول اركوديوس وخلفاؤهم المتعلمون منهم لكي يوضحوا غايات الذبيحة اشد ايضاح ان يقربوا اجزاء كثيرة كلاً منها لاجل واحد مع تقدمتهم الجزء الاعظم لتذكار المخلص . وهذا الامر يتممونهُ في الابتداء وفي استعداد الخدمة بالكلام ثم فيما بعد بالحقيقة . قال المعلم المذكور لا ريب ان المراد بآباء الروم الذين اعتادوا ان يقربوا اجزاء كثيرة القديسان باسيليوس ويوحنا فم الذهب على الخصوص كما يشهد دورندوس وايا كوبوس الذي اوردنا شهادتهُ في الفصل السابع من المقدمة قال : ان القديسين باسيليوس وفم الذهب دون غيرهما قصدا ان تحفظ في خدمة قداسيهما رتبة هذه صفتها حتى انهما اوضحا بالكلمات والاشارات المقدسة ميلاد المسيح

وسيرتهُ والاشياء التي جرت لهُ بعد الموت بنظام عجيب كانهما يظهرانها للاعين بتمثيل سري

وان قيل هل ترتيب وضع الاجزاء الذي يتم الان بصفها و تمييزها هو من عهد القديسين باسيليوس وفم الذهب

نجيب اننا ان نظرنا الى ترتيب وضع الاجزاء على النسق الجاري الآن فلا يعلم أكانت توضع بهذا الترتيب من عهدهما . اذ من الممكن ان خلفاءهما المتعلمين منهما يكونون وضعوا هذا النظام . اما اذا نظرنا الى انتخاب الاجزاء واعدادها وسائر الطقوس التي تكمل فيها فمن المحقق انها رتبة قديمة مرسومة من القديسين المقدم ذكرهما كما اتضح بشهادة اياكوبوس ودورندوس و بطرس اركوديوس الذي يشهد ايضاً في الفصل الحادي عشر من كتابهِ الثالث في القربان قائلاً عن الاجزاء المقدمة بهذه الرتبة هكذا « ان هذه الاجزاء يجب ان تقرب و يتضح ذلك ظاهراً من خدمات الآباء القديسين باسيليوس وفم الذهب وغيرهما ومن التقليد نفسهِ . وانا اقرُّ بذلك واتمسك بهِ برضىً وانها تقرب لمديح القديسين ولفائدة الاحياء والاموات . و يتضح ذلك ايضاً من ايضاحاتهم المملوءة من العلم » وقد اورد هذا المعلم نفسه شهادات كثيرة من فم الذهب تدل على قِدَم هذه الرتبة الذي يتضح ايضاً بشهادة اياكوبوس الذي يحقق ان فم الذهب نفسه هو الذي استنبط النجم الذي يوضع فوق الاجزاء حذراً من ان تمسها الاغطية وتشوش نظامها

فانتج اذاً مما تقدم ذكرهُ عدم صدق نقل من يقول ان رتبة وضع الاجزاء صنفت من فيلوتاوس البطريرك القسطنطيني سنة ١٣٤٥ . لاننا ما عدا ان ما اوردناهُ يوضح بالكفاية بطلان هذا النقل وكذبهُ نرى القديس جرمانوس الذي جمل الكرسي القسطنطيني قبل وجود فيلوتاوس وارتقائهِ اليهِ بستمائة سنة سبق ففسر هذه الرتبة اي رتبة الذبيحة المقدسة . وعنهُ اخذ كثيرون من مفسري رتبة الذبيحة . فكيف اذاً يصح القول ان فيلوتاوس اخترعها . فيجب اذاً ان نحسب هذا باطلاً لامحالة

تنبيه ٭ اعلم ان بعضاً من الروم انكروا تقديس الاجزاء في الذبيحة الطاهرة واول من علم بذلك سمعان رئيس اساقفة تسالونيكية في كتابهِ الذي ألفهُ في الاسرار كما اخبر بطرس اركوديوس في الفصل العاشر من كتابهِ الثالث في القربان . غير ان سمعان التسالونيكي المذكور قد كتب في آخر خطابهِ الذي بهِ ينكر تقديس الاجزاء انهُ لا يقول ذلك بطريق الاعتقاد بل بخضعة لحكم الكنيسة وهاك كلامهُ « اني لا اثبت هذا بطريق

الاعتقاد لاني اتبع الكنيسة دائمًا» الاَّ ان غفرئيل اسقف فيلادلفيا ارتأى هذا الرأْي عينهِ واقتبسهُ من سمعان المذكور. وانبثَّ كالسم في كثيرين من الروم وشرعوا يعلمون به فلذلك نهض المعلم بطرس اركوديوس لمقاومة هذا الراي الفاسد وكتب في دحضهِ وتفنيدهِ بفظنةٍ عجيبة اربعة عشر فصلاً واطنب فيها غاية الاطناب في كتابهِ الثالث في القربان المقدس. بل ان الشماس عبد الله زاخر قد كتب ما هو كافٍ لتفنيد هذا الراي وتحقيق ما يضادهُ في احدى رسائلهِ للبطريرك اثناسيوس التي شرح فيها معاني بعض طقوس ورسوم لرتبة الذبيحة الالهية. ولذلك لا يلزم ان نطيل الكلام في كتابنا هذا بايراد ما يخصها من اثباتٍ ودحض [1] بل فلنعتقد مع البيعة المقدسة ان هذه الاجزاء تتقدس مع الجزء الاكبر بقوة الكلام الجوهري الالهي الذي يحيل الموضوعات المتلو عليها حسب شهادة الذهبي فمهُ ويقوم من جملتها ذبيحة واحدة وسر واحد لا غير والذي يوءكد حقيقة الاعتقاد بتقديس هذه الاجزاء ذلك العجب المشهور الذي جرى في ايام الملك يوستينيانوس ومينا البطريرك في مدينة القسطنطينية بذلك الطفل اليهودي الذي اختلط مع اولاد المسيحيين وتناول معهم في الكنيسة جزءًا من هذه الاجزاء واذ علم به ابوهُ الكافر زجه في اتون النار المضطرم واستمر فيهِ ثلثة ايام مصونًا من الحريق في ذلك الاتون الزجاجي المتأجج بقوة ذلك الجزء الحاوي جسد الرب. كما اخبر نيكوفورس الموءرخ والقديس غريغوريوس اسقف طور

الفصل الخامس

في الصلوات والابتهالات المستعملة في القداس الالهي المنسوب ليوحنا فم الذهب التي وضعها هذا القديس والتي اتخذها من غيره

بيانًا لما نقصد ايضاحهُ في هذا الفصل بجلاءٍ لا بد من بسط مقدمة نورد فيها اسماء بعض مرتبي الخدمات المقدسة فنقول

---

(١) يتضح مما جاء بهِ الخوري يوحنا بن موسى الدوماني الدمشقي في كتابهِ التلخيص المنيف المنسوب انيقولاوس البلغري المطبوع سنة ١٨٧٠ في مدينة بيروت الصفحة ٣٥ ان هذه الاجزاء يتم تقديسها واستحالتها الى جسد المسيح وهاك قولهُ: والجزء الذي يوضع بقرب الخبز المقدس عن احد في وقت تقديسهِ وصيرورتهِ جسد المسيح يحصل لذلك الشخص تقديسًا لحين

ان الرسل القديسين في اوائل البيعة المقدسة كانوا عند كسر الخبز المفهوم بهِ عمل القداس الالهي يكملون طقسهُ هكذا اي انهم يتلون جزءًا من الكتب المقدسة ثم الصلوة الربية و يتبعون ذلك بالكلام الجوهري للتقديس و يتناولون . وهاك ما اخبر القديس غريغوريوس الكبير عن ذلك قال . « من البدء قبل ان يرتب الطقس الكنسي وقبل ان تكتب الاناجيل والرسائل انما كانوا يتلون الصلوة الربية و يلفظون حالاً كلام التقديس و يتممون الذبيحة بالتناول والقبول »

واستمروا على هذا الطقس الى ان رتب الرسل خدمات طويلة للقداس . فالقديس يعقوب اخو الرب الذي كان اول الاساقفة في اورشليم كان أول من رتب على ما قيل خدمة القداس بصلواتٍ وتضرعاتٍ طويلة ثم القديس بطرس هامة الرسل رتب خدمة وكذلك مرقس الرسول تلميذه والقديس اكليمنضوس . وقال البعض ان القديس ديونيسيوس رتب قداسًا وهو المدون منهُ بفصاحةٍ بليغة في الفصل الثالث من مقالتهِ في الرئاسة الكنسية . غير ان المعلم بلرمينوس و بطرس اركوديوس وغيرهما قالوا ان الخدمة التي كان يستعملها هذا القديس لا وجود لها الآن . ثم رتب غير الرسل والآباء المذكورين خدمات متعددة على ما قيل . وقد بطل استعمالها الان . لكن لا عند الطوائف كلها بل عند بعضها . فالشرقيون وخاصة الروم كانوا يستعملون خدمة القديس يعقوب ومرقص واكليمنضوس . ولا سيما خدمة القديس يعقوب . فلما ظهر القديس باسيليوس اختصر خدمة قداس يعقوب الرسول فنسبت اليهِ . ثم القديس فم الذهب اختصر ما اختصرهُ باسيليوس فنسب اليهِ ايضًا . ومن ثم قال القديس بركلس : بالهام الهي اختصر هذان الابوان القداس الطاهر لاجل توانى الانام ومللهم من طولهِ وشرعا فيهِ من عند (مباركة هي مملكة الاب . الخ) ومن ذلك الحين قل استعمال قداسات يعقوب اخي الرب ومرقص واكليمنضوس لكنهُ لم يبطل كليًا بل كان كل من كهنة المشرق يستعمل حسب ايثارهِ الخدمة التي يريدها من الخدمات المذكورة . واستمروا على هذه الحال الى ان عقد سنة ٥٥٢ مجمع قصر الملك فحددوا فيهِ ان يستعمل قداس باسيليوس عشر مرات في السنة . وعينوا الاوقات التي يجب ان تكمل فيها خدمتهُ . واما قداس يوحنا فرسموا ان يستعمل في سائر ايام السنة ما خلا صوم الاربعين المقدسة . فتمارس فيهِ خدمة قداس البروجيازمانا اي السابق تقديسهُ المنسوب للقديس

غريغوريوس الثاولوغوس او الكبير بابا رومية [1] كما سنورد ذلك في محل اخر . ومن ذلك الحين بطل كليًا عند الروم استعمال غير ذلك من الخدمات * اما بقية الطوائف الشرقية فتستعمل خدمات اخرى كثيرة فالنساطرة يستعملون ثلث خدمات زعموا انها للرسل ولكنها تنسب الى غيرهم . بل ان القداس الثالث منها ينسب الى نسطور واليعاقبة يستعملون خدمة القديس يعقوب اخي الرب . وقيل انهم يستعملون ايضًا خدمة الابوين باسيليوس وفم الذهب . والارمن يستعملون خدمة فم الذهب فقط . والاقباط والحبش يستعملون ثلثة قداسات الاول منسوب الى القديس باسيليوس والثاني الى القديس غريغوريوس والثالث الى القديس كيرللس . وقيل ان قداس الحبش ينسب الى اصحاب المجمع النيقاوي . وقال اخرون ان متى الرسول رتب قداسًا وهو الذي يستعملهُ اهل الحبشة . وزعم بعضهم انهُ لبرنابا الرسول والله اعلم * اما الموارنة فعندهم قداسات كثيرة يدعونها نافورات وهي مطبوعة في كتاب خدمتهم . منها قداس ينسب الى الرسل القديسين . وقداس الى القديس بطرس وقداس ينسب الى يوحنا الرسول . وقداس الى كيرللس و يستعملون ايضًا قداس القديس يعقوب . وقداس القديس يوحنا فم الذهب . لغير المذكورين . و يبلغ عدد النافورات المستعملة عندهم ثلثة عشر نافورًا * اما اهل المغرب فيستعملون قداس القديس بطرس هامة الرسل لكن يتخللهُ بعض ملحقات واضافات من رسوم الآباء والاحبار المتقدمين في الكرسي الروماني الا انهم في مدينة ميلان يستعملون خدمة قداس امبروسيوس احترامًا لهُ بما انهُ محل كرسيهِ . بل ان خدمة قداس اللاتينيين التي هي في الاصل للقديس بطرس تنسب الان الى امبروسيوس بنوع اخص

فاذ تقرر ذلك نقول : وان كان القداس المستعمل عندنا يوميًا غالب مدار السنة ينسب الى يوحنا فم الذهب فليس كل ما فيهِ مؤلفًا منهُ . لانهُ حينما اختصر قداس باسيليوس ألف بعضًا من الافاشين والطلبات واخذ بعضًا ممن تقدمهُ من مرتبي الخدمات ورتبها جميعها في قداسهِ ثم الحق بهِ الآباء القديسون بعض اضافات ورسوم وطقوس

---

[1] ذهب المورخون في نسبة الليتورجيا زمانا عدة مذاهب واستند الذين نسبوها الى القديس غريغوريوس الثاولوغوس او غريغوريوس الكبير على وجود عنوان هذه الليتورجيا في اكثر القناديق اليونانية القديمة والحديثة باسم القديس غريغوريوس . لكن لا وجه لاثبات هذا الرأي لان هذه الخدمة لو كانت لاحدهما لكانت بقيت او بقي اثرها في تآليفهما او ذكرها احد المعاصرين لهما . والراجح ان هذه الليتورجيا تنسب الى القديس ايفانيوس الذي وجدت بين تآليفهِ الخطية القديمة او الى قديمة غير معروفة

اخرى من افاشين وطرو باريات وامثالها من الطقوس التي زادتهُ جمالاً وبهاءً واحتفالاً

وإن قلت ما الذي منهُ . وما الذي اخذهُ من غيرهِ وأثبتهُ فيهِ وما الاضافات الملحقة بقداسهِ من بعدهِ *اجبتك ان هذا ما اقصدا يضاحه هنا على الخصوص مما كتبهُ الفاضل ايا كوبوس واركوديوس ومما اخبر بهِ غيرهما من الآباء والمعلمين الصادقين . فاقول مع المعلمين السابق ذكرهما : ان رتبة يوحنا فم الذهب المختصة بهِ تبتدئ من الجزء الثاني من القداس اي من قداس المؤمنين فصاعدًا . ما عدا بعض افاشين واضافات كما سيأتي . اما الصلوات والطلبات والطقوس التي قبل هذا الجزء فليست لهُ بل اخذها اما من رتبة القديس يعقوب الرسول اومن خدمة باسيليوس او غيرهما *فافشين التقدمة الذي يقال بعد كمال استعداد الذبيحة وبدؤهُ « يالله الهنا الخ » ليس لهُ ولا للقديس باسيليوس بل مأخوذ من خدمة يعقوب الرسول . ولم يكن يقال في انتهاء استعداد الذبيحة كما الان . بل كان يتلى بعد وضع الاسرار على المائدة فنقلهُ الابواب القديسان ووضعا مكانهُ خلافهُ كما هو محرر في خدمتهما . وكذلك التضرعات المختصة بالشماس المسماة ذايسيس اي طلبات (وانما سميت كذلك لاننا نقول في كل واحدة منها من الرب نطلب) لاتنسب الى احدهما بما انها مشاعة للرتبتين وتقال في كل يومٍ صباحًا ومساءً بل رتبها خدام الكلمة . ولذلك قال ايا كوبوس ان اكثرها يوجد في خدمة القديس يعقوب والقديس اكليمنضوس اما الصلوات المختصة بالكاهن وهي افاشين الانتيفونات الثلاث وافشين الايصودن الصغير فهي للقديس باسيليوس اتخذها منهُ القديس يوحنا ووضعها في قداسهِ والاولى ان يقال ابقاها * اما افشين التريصاجيون اي المثلث تقديسهُ الذي بدؤهُ « ايها الاله القدوس » فزعم يوحنا ما نويل في كتابهِ الذي شرح فيهِ رتبة قداس الروم انهُ للقديس بطرس ولكن قال غيرهُ وهو الاصدق كما ذكر ايا كوبوس انهُ لبركلس البطريرك القسطنطيني لانهُ في ايامهِ ابتدئ بترتيل تسبحة التقديسات الثلاثة قبل الرسائل وكذلك الافشين الذي يتلى سرًّا قبل الانجيل وبدؤهُ « ايها السيد المحب البشر الخ » قد وضع اخيرًا في الرتبة ونسب اليهِ ايضًا وانما وجد في بعض النسخ القديمة لا كلها كما قال ايا كوبوس *اما الطلبة التي تقال بعد الانجيل وهي « ايها الرب الهنا » فهي للقديس باسيليوس وكذلك افشين الموعوظين وهو « ايها الرب الهنا الساكن في الاعالي الخ » ولو نسب الى فم الذهب على انهُ لا يمكن الانكار انهُ اقتدى فيهِ بافشين القديس باسيليوس المختص بالموعوظين وما الفرق بينهما الا ببعض الفاظٍ جزئية * اما الاعلانات فهي تتبع

الطلبات فلا تنسب الى احدهما * اما افشين الايصودن الكبير فمأخوذ من خدمة القديس باسيليوس وما عدا ذلك فالجميع للقديس يوحنا . وتبتدئ خدمته من قداس المؤمنين فصاعدًا

اما ملحقات القداس المختصة باحتفاله و بهجته من الطرو بار يات والاراميس وغيرها من الاشياء المرتبة فيه فهي اضافات ملحقة به من آباء ومعلمين على تداول الزمان . فالتسبحة الشاروبيمية التي يصليها المرتلون بانغام مطربة قيل انها من القديس مينا بطريرك القسطنطينية في القرن السادس في عهد الملك يوستينيانوس الكبير . وهي هذه «نحن الذين نماثل الشاروبيم سريًّا ونرتل التسبحة المثلث تقديسها للثالوث المحيي لنطرحن عنا كل اهتمام عالمي بما اننا عتيدون ان نقبل ملك الكل محاطًا بصفوف من الملائكة بوجه غير منظور الليلويا » و بدل هذه التسبحة كانوا يرتلون قبلاً القول المسلم من يعقوب اخي الرب وهو «كل جسد بشري فليصغ و ينصت و يقف بخوف ورعدة الخ» وهذا يرتل الان في كنائسنا يوم السبت الكبير في القداس الالهي وقت الايصودن الكبير

اما الصلوة التي تقال في الانتيفونا الثانية (يا كلمة الله الابن الوحيد الخ) فقيلت يوم تدشين كنيسة اجيا صوفيا . وهي من آباء المجمع الخامس كما قال بعضهم . اما كدرينوس المؤرخ فيخبر في تاريخه بان الملك يوستينيانوس ألف هذه الطروبارية لانه جدد كنيسة اجيا صوفيا من اساسها وذكر غير هؤلاء انها من انشاء يوسف ونيقوديموس رتباها في حين احدارها جسد الرب الى ضريحه وطابق هذا جرمانوس في تواريخه الكنسية

اما (بواجب الاستيهال) فهي من قول الذهبي فمه الذي مدح به والدة الاله . وقزما المنشئ اسقف مايوما قال (التي هي اكرم من الشاروفيم)* اما (لك توجب السلام الخ) التي ترتل في قداس القديس باسيليوس فهي للقديس يوحنا الدمشقي . وكذلك الصلوات الثلاث التي تقال عند وضع الاسرار المنقولة من مذبح التقدمة الى المائدة السرية تنسب اليه ايضًا فالاولى (أن يوسف الحسن الشكل) والثانية (يا من كان في القبر بالجسد) والثالثة (ايها المسيح ان قبرك الواهب الحيوة)

واذ قد انتهى بنا الشرح الى هنا من ايضاح مدلولات استعداد المواهب المكرمة والتعريف بما تتضمنه هذه الرتبة الجليلة من الصلوات المرتبة من الرسل الاطهار والمحفوظة والمخترعة ايضًا من الآباء الابرار ولاسيما القديسين المعظمين باسيليوس و يوحنا فم الذهب المتنورين هات الآن ناخذ بايضاح معاني ما يتلى و يرتل و يعمل من الطقوس المقدسة

في القداس الالهي الشريف . من ابتدائهِ حتى انتهائهِ مستعينين بمؤازرة الروح الكلي قدسهُ و بشفاعة رئيسي كهنته باسيليوس العظيم النبيل و يوحنا الذهبي الفم الجليل ركني البيعة وقاعدتيها الراسختين بل معلميها وكوكبيها النيرين العظيمين مقدمين لهما مع البتول على الدوام هدية التحية والسلام

الفصل السادس

في بدء القداس الالهي ومنه نبتدئ بتفسير ما يتضمنه هذا العمل الشريف واولاً في ايضاح معاني ما يتلى في بدء القداس

لما كان لا شيء مما يمكننا ان نحويهِ في قلوبنا ونلفظهُ بالسنتنا ونسطرهُ في رسائلنا كما قال القديس اغوسطينوس ابهج واجمل والذّ من قولنا المجد لله او تبارك الله لانها كلمة تتضمن معرفة الجميل باحسان الله والشكر عليهِ كان الكاهن يبتدئ اولاً قداسةُ بها جاعلاً اياها اول لفظة من الفاظ الشروع بعملهِ هذا العظيم معلنًا هكذا «مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس الآن وكل اوانٍ والى دهر الداهرين امين» ومن ثم قال القديس جرمانوس يجب على الكاهن قبل كل صلوة ان يقدم تمجيدًا لله لان اول طقوس الصلوة والطلبة هو تمجيد الله . ومن هذا القبيل نرى انهُ في بدء كل صلوة من الصلوات المستعملة في كنيستنا يفتتح بتقديم تمجيد الله وتبريكهِ اذ يقال دائمًا (تبارك الله الهنا كل حين الخ) * واما ابتداء الكاهن قداسةُ بذكر الاقانيم الثلاثة لا بذكر توحيد الله كما صنع في بدء سائر الصلوات فاورد سببهُ السري القديس ديونيسيوس قال «كل عملٍ يكون الله غايتهُ يجب علينا قبل الشروع به ان نبتدئهُ باستدعاء الثالوث الاقدس الذي بقوتهِ نمارس هذا العمل العظيم المقدس» فلهذا يشرع الكاهن هنا في بدء عملهِ هذا العظيم المتجه لمجد الله الاعظم متفوهًا بذكر تثليث اقانيم الله لا بتوحيده اي لا يبتدئ قائلاً تبارك هو الله او مباركة هي مملكة الله كما يفعل في باقي الصلوات بل يذكر اقانيم متميزة بقولهِ «مباركة هي مملكة الاب والابن والروح القدس» على انهُ ولو كان الثالوث الاقدس حاضرًا ليس الجميع لهُ بمستحضرين حضورًا روحيًا الاّ حينما يدعونهُ باصغاء والحال انهُ يجب علينا ضرورةً ان نستحضرهُ متذكرين حضورهُ تعالى ما دام القداس اذ لهُ وحدهُ تقدّم هذه الذبيحة واليهِ خاصةً ينبغي ان نوجه نيتنا . هذا فضلاً عن ان ذكر الثالوث

الاقدس كما يقول احد العلماء الافاضل يساعدنا كثيرًا في ممارسة هذا العمل بالاصغاء والاحترام الواجب وفي مقاومة العدو المجتهد في ان يعدمنا اثمار هذه الذبيحة . فكما ان ابرهيم لما قدم ذبيحة لله هجمت الطيور على اللحم لتخطفهُ وكان ابرهيم يجتهد في طردها هكذا يتم الامر فينا اذ نقدم ذبيحة القداس الالهي . فان الشياطين يتراكضون مجتهدين ان يسجسونا بكثرة الافكار والهموم فيصدونا عن الاصغاء والاحترام الواجب علينا . ومن ثم يلزمنا ان نكون متحذرين مجتهدين دائمًا في مقاومة العدو ولا سيما باستحضار الثالوث الاقدس لاننا بواسطتهِ نحصل على فائدة عظمى . فلهذا اذًا يذكر الثالوث في بدء القداس .

اما القديس جرمانوس فقد اورد لذلك سببًا اخر قال « ان الكاهن يجعل اول القداس ذكر الاقانيم الثلثة لان معرفة الانام بتثليث اقانيم الله كانت من سر تجسد الرب فيجب عليهِ في اول الشروع بهِ ان يبشر بذكر الثالوث و يرفع الانجيل وحينئذٍ ليوضح ان بدء حياة سيدنا يسوع المسيح انما كانت بالكرازة والتبشير الانجيلي و بهِ اتضح عند العالم سر الثالوث الاقدس » * وكانوا قديمًا يبتدئون بالقداس هكذا « المجد للاب والابن والروح القدس الموحد بالتثليث المثلث بالوحدانية المنقسم بغير انقسام لان الثالوث الهٌ واحد ضابط الكل الذي تذيع السماوات بمجدهِ والارض بسيادتهِ والبحر بعزتهِ وكل الخليقة العقلية والجسدية تخبر على الدوام بعظمته لهُ ينبغي كل مجدٍ واكرامٍ وعزةٍ واقتدار وعظمة الآن وكل اوان والى دهر الداهرين » والشعب يقول (امين) التي معناها حقًا فليكن كذلك . وهذه اللفظة قديمة مسلمة من عهد الرسل القديسين لترتل في القداس الشريف ذكرها رسول الامم في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنثوس الاولى (١٤ : ١٦) قائلاً : « فانهُ اذا باركت بالنفس فكيف الذي يقوم مقام الاميّ يقول امين عند شكرك وهو لا يعرف ماذا يقول » و يريد بالبركة والشكر القداس الالهي وكذلك (كيرياليسون) هي من تقليدات الرسل كما قال غريغوريوس الكبير نقلاً عن القديس ايرونيموس

واعلم ان الشعب كلهُ قديمًا كان يجاوب الكاهن في القداس كما يخبر القديس ايرونيموس في رسالتهِ الى اهل غلاطية بقولهِ انهُ لما كان الشعب يهتف في الكنائس (امين) او (يارب ارحم) في حين القداس كان يسمع منهم هدير كصوت رعد و يثبت ذلك مما ذكرهُ القديس كبريانوس في كتابهِ المؤلف في الصلوة قائلاً : اذا صوّت الكاهن معلنًا ※فلنضع قلوبنا فوق※ فليجاوبهُ الشعب ※ها اننا رافعوها نحو الرب※ ولكن لاجل عظم الضوضاء والجلبة وتشويش المكان رتب الآباء الخورصين لكي يسمع الشعب فقط .

ويقبل بعقلهِ بكل صمتٍ وسكون

الفصل السابع

في ايراد معاني السينبتي الكبير والصغير وما يتضمنانهِ من طلب النعم

ان الكاهن بعد شروعهِ في عمل قداسهِ باستدعاء الثالوث الاقدس يبتدئ اولاً وقبل كل شيء بحث الشعب عموماً اما بذاتهِ واما بواسطة الشماس على طلب السلام قائلاً « بسلام من الرب نطلب» وهذا السلام هو ضروري جداً بهذا المقدار حتى انك تسمعهُ يصرخ بطلب وجودهِ في ضمير الشعب في جميع طلباتهِ هذه المدعوة (كرازة) وهي لفظة يونانية معناها صراخ لانهُ يصرخ بها نحو الشعب لكي يطلبوا من الله هذا السلام المرغوب من السيد المسيح لنستحق ان نقدم ذبيحة السلام المقدمة على عود الصليب. ولان السلام المطلوب هنا نوعان السلام السماوي العلوي وهذا الذي يجب ان يكون فيما بيننا وبين الله فادينا . والسلام الاخوي وهو الذي يجب ان يكون فيما بيننا مع بعضنا في هذا العالم فمن ثم تلتمس الكنيسة من الله بهذه الطلبات هذين النوعين من السلام . لانهُ كما قال ايسدروس في كتابهِ الاول لا يجب ان نحوي السلام فيما بيننا فقط بل يجب ان نحوي ايضاً سلاماً واتحاداً مع ربنا وسيدنا غير قابل الافتراق هاتفين نحوهُ : ايها الرب الذي وهبنا سلامة وموافقة فيما بيننا أعطنا سلامة لاتحادنا بك من غير انفصال لكي نحوي سلاماً بروحك القدوس ونلبث غير مفترقين عن محبتك. ولهذا نرى الشماس بعد طلبة السلام عموماً يقدم للحين الطلب لنيل هذا السلام العلوي قائلاً (من اجل السلام العلوي) ثم يطلب السلام الاخر قائلاً (من اجل السلام لكل العالم من الرب نطلب) *واعلم ان هذه الطلبات تدعى سينبتي اي مجتمعة لاجتماعها مع بقية توابعها في الطلب والتوسل من اجل العالم لان الشماس والكاهن يطلبان بها من اجل العالم باسرهِ كما ذكرنا. ومن اجل كنائس الله المقدسة ورئيس الكهنة وجميع الاكليروس والملوك وجنودهم واثمار الارض واعتدال الاهوية وصحة المرضى وحفظ المسافرين وانقاذ المأسورين والمدن والقرى الخ * فلذا لما تأمل هذا المعنى الذهبي فمهُ قال في كتابهِ السادس على الكهنوت : مالي اقول ان الكاهن يتوسلُ من اجل مدينةٍ او بلدةٍ والحال انهُ يتوسل من اجل كل المسكونة و يطلق هذا الكلام خصوصاً على تلك السينبتيات التي تدعى ايضاً (ايرنيكا) اي سلاميات بما انها

تبتدئ بالفاظ السلام وتسمى ايضًا (دياكونيا) بما انها تختص بالشمامسة و يقال لها طلبات وتوسلات لانها تكمل با لفعل حيث يقال في كل استيخن منها (نطلب) اي نتوسل الى الله . ولذلك الشعب يكمل هذا الطلب حينما يجاوب (كير يه ليسون او بارسخون كير يه) ثم لاحظ كيف هذه الطلبة المتضمنة الصلوة لاجل كل العالم تختم بثلاث لفظات تشبهُ اكليلاً مثلثًا مزدانًا بحجارة كريمة تحوي جمال كل لون شهيٍ وهي هذه الكلمات « اعضد وخلص واحفظ » اما لفظة ارحم فتفسرها خلص بما ان خلاصنا جميعهُ هو من رحمة الله التي لا تحصى وهذه الكلمات تشير ظاهرًا الى مواهب النعمة العظيمة الصادرة من الخزائن التي لا تفرغ فلنتخذها ونستعن بها ونخلص برحمة الله وتحفظ. فلهذا نسمع الكنيسة المقدسة تستعمل هذه اللفظات كثيرًا في محل القداس وفي بقية الصلوات والفروض هاتفةً « اعضد وخلص وارحم واحفظنا يالله بنعمتك » اذ بكل من هذه اللفظات يطلب موهبة و يشار الى نعمٍ مختلفة متنوعة لا نعمة واحدة فقط . فمن ثم يقتضي المقام ان نورد ماهية النعمة وانواعها لكي يفهم معنى هذه الكلمات جيدًا كما ترى في الفصل التالي

الفصل الثامن

في ماهية النعمة واقسامها

اعلم اولاً ان النعمة على الاطلاق و بالفساحه تحدَّد بانها « هبة ممنوحة مجانًا و بسخاء محض » وبحسب هذا المعنى تطلق النعمة على كل هبة ممنوحة مجانًا حتى العطايا الطبيعية الغير المفيدة للخلاص ككثرة الاموال والجمال وامثالها . وايضًا يفهم بها كل عطية خارجة مفيدة للخلاص كالتبشير بالانجيل المقدس لقوم يجهلونهُ وهذه تدعى نعمًا خارجةً بالنسبة اليهم . اما بالحصر فتعرَّف بانها « عطية فائقة الطبيعة باطنة معينة للخلاص » والمعنى الاخير هو المراد بها

اعلم ثانيًا ان الكتب المقدسة قد انبأت عن ماهية هذه النعمة الالهية ولاسيما القديس بولس في رسائلهِ موضحًا انها ليست سوى فعل من روح القدس معطٍ لنا الخلاص . وهذه النعمة متى منحت لنا ابرزت مفعولها . وقد جعل الفلاسفة لكل مفعول اربع علل يقوم منها ذلك المعلول و يوجد : (اولها) علة مادية . وهي على الخصوص ما

يتركب منها ذلك المعلول كالخشب مثلاً بالنسبة الى السرير (وثانيها) علة صورية. وهي التي تقيم الشيء في نوع وجوده. كهيئة نوع السرير واتقانه (وثالثها) علة فاعلية. وهي المبدأ والسبب الموجد لذلك المعلول. كالنجار بالنسبة الى السرير (ورابعها) علة غائية. وهي التي لاجلها يصير الشيء كراحة النوم بالنسبة الى السرير * ولما كان لكل من الاشياء الاّ بعضها هذه العلل الاربع طابق الفلاسفة الحقيقيون والحكماء الالهيون اي الآباء القديسون هذه الاربع العلل مع مفعول النعمة. فقالوا في نعمة التوبة ان (علتها المادية) هي افعال التائب. وعلتها الصورية هي النعمة عينها. اما (علتها الفاعلية) فهي الروح القدس المفيض كل المواهب. اخيرًا (علتها الغائيّة) هي التبرير والخلاص

اعلم ثالثًا اننا اذا لاحظنا النعمة نظرًا الى ذاتها نراها واحدة لا غير كما يتضح من تعريفها السابق. الاّ انها تختلف حقًا نظرًا الى مفعولاتها ولهذا قسمها الآباء والعلماء الى انواع مختلفة وسموها بتسميات كثيرة نوعية. وها نحن نورد هذه الاقسام مجموعةً ليقرب ويسهل فهمها فنقول

ان النعمة تنقسم الى قسمين يندرج تحتها جميع انواع النعمة اولها «النعمة المجانيّة» ثانيها «النعمة المبرّرة» اي التي تصيّر الانسان مقبولاً لدى الله

فالنعمة الاولى هي التي تعطى مجانًا لاجل خلاص الغير. كموهبة «الحكمة» التي هي قوة لتفسير الاسرار السامية كسر الثالوث الاقدس والتجسد الالهي والانتخاب الالهي السابق «والعلم» الذي هو قوة مسعفة لارشاد السامعين الى معرفة حقائق الايمان وغير ذلك من الحقائق الخلاصية «وشفاء الامراض. وفعل العجائب والنبوة. ومعرفة الالسن وترجمة الكتب المقدسة وتفسيرها» وهي بالعدد سبع كما ذكرها الرسول (في الفصل ١٢ العدد ٨ من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس)

والنعمة الثانية اي المصيرة الانسان مقبولاً لدى الله هي التي تعطى لاجل خلاص من ينالها. وهي نوعان «الملكيّة» و«الفعالة»

فالنعمة «الملكية» هي شيء مستقر. وتنقسم الى قسمين:

الاول يشتمل على نعمة التقديس التي يعطاها الانسان في العماد واذا فقدها ترد اليه بالتوبة. ولذلك تسمى النعمة الملكية المبررة والمحبة الملكيـة ايضًا نظرًا لكونها تصير الانسان مقبولاً لدى الله

القسم الثاني منها يشتمل اولاً على الفضائل الالهية الثلاث الفائقة الطبيعة اي

«الايمان والرجاء والمحبة» . ثانياً يشتمل على الفضائل الادبية المفاضة كالفضائل المتقدمة الاربع وهي «العدل والفطانة والشجاعة والقناعة» والفضائل الاخر الادبية «كالديانة والانضاع والحلم والعفة» وغير ذلك . ثالثاً يشتمل على عطايا الروح القدس وهي موهبة «الحكمة والفهم والعلم والمشورة والتقوى والشجاعة والمخافة»

اما (النعمة الفعّالة) اي النعمة المعطاة لممارسة الفعل الصالح الخيري الفائق الطبيعة كفعل محبة الله مثلاً وحفظ الوصايا والانتصار على التجارب فليست مستمرة كتلك بل عابرة . لانها تتوقف على الفعل وعلى حركة عابرة . وتقسم الى اقسام متعددة . وهي المقصودة هنا بنوع اخص

فتقسم اولاً الى (النعمة العاملة) وهي حركة فائقة الطبيعة غير اختيارية يصدرها الله فينا اي في فهمنا وارادتنا دون اختيارنا ويحثنا بها اما على ممارسة الخير اختيارياً او على الفرار من الشر اختيارياً . وتدعى (النعمة المحرِّكة) لان الله يحركنا بها وينهضنا من سبات التواني ويحثنا على الخير الفائق الطبيعة . كما انها تدعى عاملة لان الله يصدر هذه الحركة الجيدة فينا دون اختيارنا

تقسم ثانياً الى النعمة (العاملة معاً) وهي سعي الهي فائق الطبيعة يسعى الله بهِ معنا ويعيننا في كل افعالنا الاختيارية الفائقة الطبيعة لكي نريد الخير ونتممهُ . وتدعى النعمة (المسعفة) ايضاً . لانها هي التي بها يسعف الله الارادة المحرّكة لنرتضي اختيارياً بالخير الذي يسعى تعالى بهِ . وتدعى (المؤيدة) ايضاً لان الله يؤيد بها ضعفنا كما دعاها الرسول بقولهِ «كذلك الروح ايضاً يعضد ضعفنا فانّا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي ولكن الروح نفسهُ يشفع فينا بأنّاتٍ لا توصف» (رومية ٨ : ٢٦)

تقسم ثالثاً الى النعمة «السابقة المحركه» وتدعى هكذا لانها تسبق اما نعمة اخرى واما رضى الارادة الاختياري . وهي عين النعمة المحركة العاملة التي مرّ تعريفها في اول قسم من اقسام النعمة الفعالة

تقسم رابعاً الى النعمة «التابعة المسعفة» وهي التي تتبع . اما نعمة اخرى واما رضى الارادة الاختياري . وهذه لا تميز من النعمة المسعفة العاملة معاً . التي مرّ تعريفها في القسم الثاني من اقسام النعمة الفعالة

تقسم خامساً الى «النعمة الكافية» . وهي التي تمنح قوة كافية لفعل الخير وتحثنا عليهِ ولكن يمكن للارادة ان تقاومها بل تقاومها حقاً مراتٍ كثيرة وتدعها باطلة عادمة فعلها .

وهذه النعمة تعطى للجميع حتى الغير المؤمنين ايضاً كما يشهد القديس اوغسطينوس مثبتاً رأيه هذا بشهادات كثيرة من الكتاب المقدس كقول هامة الرسل «ان الله لا يريد ان يهلك احد بل ان يقبل الجميع الى التوبة» (بطرس ٣ : ٩) وقول رسول الامم ايضاً «ان الله يريد ان جميع الناس يخلصون و يبلغون الى معرفة الحق» (اتيموثاوس ٢ : ٤)

نقسم سادساً الى «النعمة الفعالة المستلزمة فعلها» وهذه هي التي تحركنا الآن لنفعل الخير ونحيد عن الشر. وقد تستطيع الارادة ان تقاومها غير انها لا تقاومها ابدًا . ولهذا تدعى نعمة مستلزمة فعلها . وقد تدعى ايضاً نعمة منتصرة . لا كأننا لا يمكننا ان نقاومها ونظفر بها . لان رأي جانسينيوس الزاعم بان الارادة لا تقدر ان تقاوم النعمة اصلاً بل تضطرها الى الارتضاء هو راي اراتيكي مرذول لمضادّتهِ الاختيار المعتق . بل يقال عنها هكذا لاننا لا نقاومها ولا نظفر بها ابدًا . كما يقال عن ملك مثلاً انهُ مظفر لا لانهُ غير ممكن ان ينتصر عليهِ احد بل لانهُ ما من احد يظفر بهِ . هكذا فعل هذه النعمة عظيم بهذا المقدار حتى ان القديس اوغسطينوس يدعوها القوة القاطعة الشديدة بقولهِ : لا ريب ان ما نفعلهُ نفعلهُ من ذواتنا (اي من اختيارنا) ولكن ذاك هو الذي يجعلنا ان نفعلهُ لانهُ يمنحنا قوة قاطعة شديدة

اعلم ان فاعلية هذه النعمة وقوتها . تتوقفان ان الله بمحبة خصوصية يمنح مجانًا نعمة مناسبة لحال نائلها . و يمنحها في اتفاق اعراض سبق الله وعرف ان تلك النعمة تبلغ فيها مفعولاتها لا محالة كما علم المعلم لويس مولينا اليسوعي خلافًا لما ذهب اليهِ التوماويون القائلون : ان النعمة المذكورة هي فيض الهي يسبق ويجذب الارادة جذبًا طبيعيًا لا ادبيًا فقط . مثلاً من يجتذب بيدهِ انسانًا يقال انهُ يحركهُ و يجتذبهُ بنوع طبيعي . اما الذي يجتذبهُ بالصوت والكلام فانهُ يحركهُ على نوع ادبي . واعتبر ان هذه النعمة المنتصرة والمستلزمة فعلها لانها تجتذب الارادة على نوع ما الى الارتضاءِ بهِ تبلغ مفعولها دائمًا لا محالة مع انها نستطيع ان تقاومها بسهولة واحيانًا كثيرة لا ترتضي بها الاّ بصعوبة

قد اوردنا بالاختصار ماهية النعمة وانواعها . فهات الان نورد ما يشار اليهِ من اقسامها بهذه الكلمات الثلاث «اعضد وخلص واحفظ»

نقول انهُ يشار بلفظة «اعضد» الى ثلثة انواع من النعمة الفعالة «النعمة العاملة المحركة» وهي القسم الاول من اقسام النعمة الفعالة «والنعمة العاملة المسعفة معًا» وهي القسم الثاني منها «والنعمة السابقة» وهي القسم الثالث منها * واما بلفظة «خلص» فيشار

الى النعمة المبررة الملكية المدعوة نعمة التقديس وهي احد قسمي النعمة الثانية المصيرة الانسان مقبولاً لدى الله . والى النعمة المسعفة ايضاً . على انهُ اذا وُجد الانسان حاصلاً على نعمة التقديس يكون مقبولاً من الله . ومن ثم يخلص بها . ولثباتهِ فيها يحتاج الى عون الهي فائق فلذلك يطلب هنا عون النعمة المسعفة * و بلفظة (احفظ) يشار الى النعمة التابعة المسعفة وهي القسم الرابع من اقسام النعمة الفعالة . والى النعمة الفعالة المستلزمة فعلها المنتصرة . وهي القسم الاخير منها . واما النعمة الكافية فانها تتضمن في جميع اللفظات وعلى موجب هذا التقرير يكون المعنى هكذا (اعضد) يا الله بالنعمة السابقة المحركة . وأيد بالنعمة المسعفة (وخلص) بالنعمة المبررة المؤيدة بالنعمة المسعفة (واحفظ) با لنعمة التابعة المسعفة . والنعمة الفعالة المنتصرة * فكأنَّ الكنيسة اذاً تهتف بهذه الطلبات قائلة : يا الاه الكل انت بتحريكنا ودعوتنا بواسطة النعمة السابقة تشاء أن تخلص بها جميعنا . واذا ادركتنا بالنعمة التابعة المسعفة تعيننا وتعضدنا . واذا قوَّيتنا هكذا بقوة نعمتك هذه تخلصنا فنسالك اذاً ونطلب منك اذ خولتنا الظفر ومنحتناه بالنعمة المنتصرة وادركنا بها خلاصنا ان تجدنا ولا تطردنا ولا تهملنا بل احفظنا الى الابد فلذلك لا ننكف من الهتاف نحوك بطلب نعمتك هذه قائلين «اعضد وخلص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك» مقدمين لك شفعاء لنيل مطلوبنا هذا البتول مريم وجميع القديسين . حتى اذا لم نكن نحن مستحقين ذلك لاجل آثامنا نستحق نيلهُ لاجل «ذات كل قداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة بكارتها مريم وجميع القديسين» الذين نقدمهم وسطاء . فهذا ما تلتمسهُ البيعة بهذه الكلمات واخيراً تحثنا ان نضع ذواتنا و بعضنا بعضاً و بقية حياتنا في ايدي الثالوث الضابط الكل لان لهُ ينبغي و يليق كل مجدٍ واكرام وسجود الآن وكل اوان والى ابد الدهور

ولاحظ هنا كيف راعت البيعة بهذه الطلبات براعة الاستهلال وحسن الختام لانها ختمتها كما افتتحتها فجعلت بدءها تسبيح الثالوث الاقدس وتمجيدهُ وتبريكهُ قائلة «مباركة هي مملكة الاب الخ» وختمتها ايضاً بتمجيده بقولها «لانهُ لك ينبغي كل مجد واكرام الخ» * واعلم انهُ لما كانت الاعلانات تحوي تسبيح الثالوث المتساوي الجوهر اعتادت البيعة ان تعلن بها دائماً بواسطة رئيس الكهنة او الكاهن بصوت عالٍ جهير

الفصل التاسع

في ايضاح مدلولات الانتيفونات والطروباريات في القداس الالهي

لما كان قصد مرتبي خدمات القداسات الطاهرة ان يشيروا بها لا الى ما تمَّ وكمل بعد تجسد المسيح فقط بل الى ما صار قبل تجسدهِ ايضًا من تنبوء الانبياء عنهُ وورود السابق وغير ذلك رتب الآباء ترتيل الانتيفونات للدلالة على انتظار الاجداد لهُ وتنبوء الانبياء عنهُ وورود السابق ولذلك حسب قول القديس جرمانوس كانت الانتيفونا من اقوال الانبياء الذين تقدموا و بشروا بحضور ابن الله على الارض من الدائمة البتولية مريم

ولكن بما ان السيد المسيح بعد حضورهِ الى العالم توارى مدة ثلثين سنة عن معرفة الناس ولم يعتلن لكثيرين كان ترتيل الانتيفونات في القداس من اقوال الانبياء لثلاثة اسباب سرية (اولاً) للدلالة على حضورهِ وتجسدهِ الآتي كما قال القديس جرمانوس (ثانيًا) للدلالة على حضورهِ حينما لم يكن اعتلن لكثيرين . لانهُ في ذلك الحين تنبغي لهُ اقوال الانبياء ايضًا (ثالثًا) للدلالة على زمن يوحنا المعمدان حين لم تكن حضرت بعد القرابين المقدسة الدالة على المسيح . بل كانت مستورة في ذاتها . وانما اختير في ترتيل الانتيفونات من اقوال الانبياء اقوال داود لسببين (اولها) لانهُ في عهد الرسل القديسين كان المؤمنون يتلون بعض مزامير قبل تقديس السر (ثانيها) لان الزبور كما قال القديس ديونيسيوس مختصر المدائح الالهية الموجودة في الاسفار المقدسة كلها

فانتج اذًا من ذلك : ان اقوال الانبياء السابق الاعلام بها التي تبشر بتجسد الاله تظهر بتراتيلها في القداس كمال النعمة . وان كلمة الله تجسد وفعل كل شيء لاجلنا . ثم ان المتأخرين اضافوا الى اقوال الانبياء المكارزمي مع الطروباريات المنبئة بتمجيد النعمة الجديدة . لان الطروباريات مع المكارزمي المرتلة من الاودية الثالثة والسادسة لا من غيرها تشير الى الساعة الثالثة التي انحدر فيها الروح القدس في العلية الصهيونية والى الساعة السادسة التي فيها صُلبَ هذا الحمل المذبوح المقدم . وهذا هو السبب الذي لاجلهِ رتبت الكنيسة ان يكمل القداس الالهي في ثالث ساعة من النهار غالبًا . وذلك كما قال متى الفلاسطاريس لان في هذا الوقت من النهار حضر المعزى فيما بين الرسل وكملهم بالنور المثلث الضياء الحالِّ عليهم وعلمهم اتمام الاسرار و بذلك علمنا نحن ايضًا انهُ في هذه الساعة

التي هي سمية الثالوث الالهي تقدم الخدمة الالهية الكاملة للاهوت المثلث الاقانيم بايضاح

وان قيل اولاً على سبيل الاستفهام من اوجد هذه الانتيفونات ورتبها في القداس . ولمَ كانت ثلثة لا اكثر ولا اقل

(اجيب اولاً) عن القسم الاول من السؤال : ان اول من اوجدها القديس اغناطيوس كما قال فوتيوس القسطنطيني في تاريخهِ . اما فيلون العبراني فيذكر في تاريخهِ انهم في ايامهِ كانوا يرتلون الانتيفونات في الاسكندرية قبل ان يشرع القديس اغناطيوس في انطاكية . وقال القديس ديونيسيوس ان هذه الطقوس كانت تصير في الهيا كل مع البخور والتراتيل الداودية في جميع الكنائس لاجل حسن ترتيب الطقوس الكنسية وزينتها

(اجيب ثانياً) عن القسم الثاني من السؤال : ان الانتيفونات كانت ثلاثاً رسماً لازمنة الشرائع الثلاث الشريعة الطبيعية والشريعة الموسوية العتيقة وشريعة النعمة الجديدة . وايضاً لثلاثة ازمنة اسرائيل اي من ابرهيم الى داود ومن داود الى سبي بابل ومن سبي بابل الى المسيح المخلص

وان قيل ثانياً : ان كانت المزامير والانتيفونات ترتل رسماً لانذار الآباء والانبياء وهي رسم للازمنة الثلاثة كما مرَّ فلمَ يرتل ايضاً في ذلك الحين «يا كلمة الله الابن الوحيد الخ» التي تحوي حضور المسيح وتجسدهُ

اجيب ان ذلك اشارة الى ان هذا المبشَّر بهِ والمتنبأ عنهُ بتلك الاقوال النبوية هو هو الذي تصدق عليهِ هذه الصفات المتضمنة بهذه الطروباريات اي عن يسوع الذي بحسب ولادتهِ من الازل هو ابن الله الوحيد الجنس . واما بحسب ولادتهِ من البتول في الزمان فهو الاله والانسان معاً . وهو احد الثالوث القدوس الذي يسجد لهُ مع الآب والروح ويمجد معهما فمن ثم ترتل هذه الصلوة مع المزامير المبشرة بتجسد ابن الله اظهاراً لكمال هذه النعمة المشار اليها بالاقوال النبوية وتمامها . ولهذا تقدم الكنيسة في الانتيفونا الاولى شفاعة البتول . وفي الثانية شفاعة القديسين . واما في الثالثة فتستغيث بابن الله من غير توسط قائلة لهُ بغاية اللياقة والوجوب «يا ابن الله خلصنا» اشارة الى ان هذا المنتظر قد حضر فلذلك توجَّهُ اليهِ الخطاب لا لغيرهِ

وان قيل ثالثاً : انك قد نوهت فيما تقدم ان الكنيسة رتبت ان يكمل القداس في ثالث ساعة من النهار ذكراً لحلول الروح على التلاميذ في هذا الوقت فلماذا عُدِلَ عن هذا التعيين و يصير القداس قبل هذه الساعة المرسومة او بعدها كما ترى جارياً في ايامنا

هذه في كل الكنائس شرقًا وغربًا

اجبتك بما انهُ لم يصرْ منع وتحديد لذلك من المجامع المقدسة ولا سيما الكبار سمحت الكنيسة لاجل احتياج الشعب وضيقة الاوقات للمسيحيين قاطبةً ان يكملوا خدمة هذا السر العظيم حسب الممكن لئلاَّ يعدم المسيحيون مثل هذه النعمة العظيمة . ومن ثم جرت العادة ان تصير قداسات سحرًا شرقًا وغربًا . وتصير في الساعة الاولى والثانية والثالثة والرابعة وهلمَّ جرًّا الى نصف النهار . اما في عيد البشارة فقد عين التيبيكن ان يصير القداس بعد الساعة التاسعة وقس عليهِ يوم الخميس الكبير و يومي البارامون السابقين الميلاد والظهور الالهي

وإن قيل رابعًا ان كانت العادة قد سوَّغت عمل القداس قبل الساعة المذكورة او بعدها أفلا يوجد تحديد لهذه القبلية والبعدية

اجبتك ان العلماء قالوا : انهُ لا يجوز الشروع قبل الفجر المتفق عليهِ من اكثرهم انهُ قبل طلوع الشمس بساعة ونصف ساعة . ومن ثم جوَّزوا ان يبتدأ بالقداس قبل الشمس بساعتين لكي يكمل عند اشراق الفجر . هكذا جرت عادة الكنيسة . وكذلك لا يجوز الشروع في القداس عقيب الظهر حسب مألوف العادة الاَّ فيما ذكرنا من الايام . وماعدا ذلك . فقد يسمح بصير ورتهِ قبل التحديد المذكور لاجل حجة من الحجج الموردة في كتب العلماء

تنبيه ☆ اعلم انهُ يجوز عمل القداس كل يوم من ايام السنة . الاَّ نهار جمعة الآلام ومن قدس في ذلك اليوم يخطأ خطأً مميتًا كما قالت العلماء . لان النهي في ذلك قديم . ولا يؤذن فيهِ بمناولة القربان المقدس الاَّ للمرضى فقط . وقد جرت العادة في كنيسة الروم ان يمنع عمل القداس في ايام صوم الاربعين المقدسة [1]

الفصل العاشر

في ايضاح ما يشار اليه من الامور السرية في الايصودن الصغير

حينما تكون الكنيسة قد أشارت بترتيل الانتيفونات الى حضور المسيح الآتي او حضوره

---

[1] يستفاد من العادة المتصلة الينا بتقليد قديم ومن كتاب التيبكون ان عمل القداس اي تقدمة الذبيحة الكاملة لا السابق تقديسها ممتنع في الكنيسة الرومية كلها فيما عدا ايام السبوت وعيد البشارة اما آحاد الصوم ففيها تصير خدمة القديس باسيليوس العظيم كما مر بك بيان ذلك في الفصل الخامس من القسم الاول

المستتر . وذلك باقوال الانبياء الصارخة والطالبة بحرارة الشوق المتقد مجيئهُ وظهورهُ للعالم لكي يظفر باركونهِ المبيد تنبع ذلك بالايصودن المكتمل بالانجيل المقدس الذي يرسم لنا مجيء ابن الله وورده المعتلن اليهِ . والكاهن يرفع وقتئذٍ الانجيل الذي تاويلهُ بشارة حسنة ويصلّب فيهِ اشارةً الى ان لا بدَّ من انتشارهِ في اربعة اقطار العالم . ويهتف بصوتٍ عالٍ «صوفيا اورثي» اي ها هوذا الحكمة المستقيمة [٢] مثلما دل الصابغ عليهِ باصبعهِ قائلاً «ها هوذا حمل الله» ولهذا اذ يقال في الايصودن وقت رفع الانجيل في الوسط «صوفيا اورثي» اي حكمة مستقيمة حقيقية وهذه الحكمة ليست الاَّ المسيح نفسهُ بما ان الانجيل المقدس يحوي تعليمهُ يعلن رئيس الكهنة حالاً التسبيح على الظفر اي على ظفر المسيح وانتصارهِ المشار اليهِ برفع الانجيل وقتئذٍ الى فوق وغلبة كرازة انجيلهِ الذي انبث بين الاضطهادات الكثيرة ومقاومة المغتصبين لهُ . هاتفاً باعلى صوتهِ في حين دخولهِ الى المذبح قائلاً : «ذفته بروس كينيسومن الخ» اي هلمَّ نسجد ونركع للمسيح خلصنا يا ابن الله وهذا حسبما قال الرسول (عبرانيين ١ : ٣) حين يدخل البكر الى المسكونة ثانية يقول «لتسجد لهُ جميع ملئكة الله» وكما سبقت النبوة الداودية في المزمور ٦٥ : ٤ «جميع الارض تسجد لك وترنم لك ترنم لاسمك ايها العليّ» ومن ثم قال القديس جرمانوس اننا نحني ركبنا كمخصومين طالبين منهُ الغفران المحتاجين اليهِ كما تفوه مكسيموس العظيم في تفسير مقالات ديونيسيوس الاريوباجيتي

ثم يعلن رئيس الكهنة او الكاهن قائلاً «لانك قدوس انت يا الهنا الخ» فكانهُ يقول انك لتستحق يارب ان نسجد لك ونترنم لاسمك طالبين منك الصفح والغفران والتطهير من ادنى دنس زلاتنا لانك قدوس ونحن بانتظارك لنلتمس منك هذه النقاوة والقداسة لاننا لايمكننا ان ننالها بدونك ولا يستطيع ان يهبها لنا احد غيرك. ولا يصيرنا قديسين سواك . ثم يتبع قولهُ هذا بارسال المجد والشكر للثالوث الاقدس الذي منَّ علينا بحضور الابن الوحيد الذي بحضورهِ حصلت لنا كل الخيرات . لان سر التجسد وان كان يعزى الى الروح القدس بنوع اخص لانهُ من اعظم افعال الجودة والمحبة المنسوبة الى الاقنوم فهو من الافعال الخارجة المشتركة بها الاقانيم الالهية ولذلك تقدم الكنيسة المجد والشكر للاقانيم الثلثة بالاجمال عن هذا الاحسان العظيم قائلة بواسطة الكاهن او رئيس الكهنة

---

٢ وفسرها بعض المدققين الحكمة فلنستقم اي ها هوذا الحكمة فلننتصب وقوفاً لاستماعها وهذا التفسير ارجح كما سترى

«ولك نرسل المجد ايها الاب والابن والروح القدس» وحينئذٍ يبارك رئيس الكهنة الشعب (بالتريكاري) المشتمل على قاعدة واحدة وثلثة مغارز (و بالديا كاري) ايضًا ذي القاعدة الواحدة والمغرزين

فهذا الطقس المقدس يشتمل على ثلثة اشياء تشير الى ثلاث قضايا سرية (اولها) الختم بالبركة وهو يشير الى الكوكب العظيم يوحنا السابق الذي كان خاتمة الانبياء . و يدل ايضًا على ختم الاقوال النبوية التي سبق التخبير بها عن المسيح وعلى تحقيقها وكمالها بحضور المسيح بالجسد (ثانيها) الشموع المضيئة وهي تدل على وضوح هذه المقولات النبوية (ثالثها) التريكاري المثلث والديا كاري المثنى وهما يشيران الى السرين العظيمين سر التثليث والتوحيد وسر التجسد الالهي . وذلك لان البركة بالتريكاري المثلث المشتمل على قاعدة واحدة وثلاث شَمعات مضيئة تشير الى ان المسيح لما ورد من السماء منحنا شعاع الثالوث ونورهُ و بركتهُ الالهية . وان هذا الثالوث موجود باللاهوت وهذا اللاهوت مثلث بالاقانيم . واما البركة بالديا كاري المثنى ذي القاعدة الواحدة والشمعتين فيشار بها الى تأنس يسوع المثنى بالطبع والموحد بالاقنوم وانهُ بتجسده على الارض انار البشر والملئكة ايضًا

واعلم ان بعض مفسري الرتبة المقدسة ذكروا ان لفظتي «صوفيا اورثي» تتضمنان خطاب الحاضرين فقالوا ان معناها هو : انتم ايها الحاضرون استعملوا الحكمة اي لنقف مستقيمين وندع عنا الكسل والتهاون ونسهر ونتنصب في الخدمة الالهية مستعدين بحكمة الافعال المستقيمة لاستقبال الحكمة الازلية والاقنومية القادم الينا بتواضع جزيل * ووافق هذا التفسير العلاّمة كوريسيوس الذي كان معلمًا للكنيسة العظمى قال : ان الكاهن في حين هذا الكلام يسدل الافلونية الى اسفل و ينحني يسيرًا مشيرًا بذلك (اولاً) الى ان المسيح بتجسدهِ لبس الانسانية كلها (ثانيًا) يشير بانحنائهِ الى تواضع المسيح الغير المحدود بتجسده الالهي الذي بهِ «اخلى ذاتهُ» كما قال الرسول (فيلبي ٢ : ٧) واتضع اتضاعًا بليغًا اذ بالايصودن كما سبق القول يشار الى ورود ابن الله متجسدًا الى هذا العالم واعلان حضوره فيهِ

الفصل الحادي عشر

في ترتيل التقديسات الثلاث ومتى ولاي سبب وضع ترتيلها في الكنيسة

قد قررنا فيما تقدم ان الكنيسة بعد ما اشارت بالاقوال النبوية المرتلة في الانتيفونات الى ورود المسيح الآتي بسر تجسده او وروده المستتر الى العالم ثم اشارت بالايصودن الصغير با لانجيل الى مجيئهِ الى العالم واعتلانهِ بهِ تاخذ هنا ترتل التقديسات الثلاث. فترسم كيفية ظهورهِ واعتلانهِ بعد ورودهِ. واختفائهِ مدة ثلثين سنة. وعلى الخصوص ترسم مع طريقة اعتلانهِ للعالم اعتلان الثالوث الاقدس وظهورهُ الذي لم يكن معروفًا عند الناس. بل كان مشارًا اليهِ في العهد القديم بالرموز والتلميح. لا بالايضاح والتصريح. فهذا جميعهُ تشير اليهِ الكنيسة بترتيل التسبيح المثلث التقديس. و بما ان ابتداء ظهور الثالوث المتساوي الجوهر للعالم بالايضاح والتصريح كان من عهد يوحنا السابق الذي سمع الاب شاهدًا لابنهِ يسوع الحبيب قائلاً «هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت» (متى ٣: ١٧) ونظر الروح بهيئة حمامة منحدرًا عليهِ وثابتًا. فالكنيسة تشير اولاً الى يوحنا او انذارهِ وصراخهِ بايضاح الثالوث بالطروباريات اليومية التي ترتلها صارخة بها في هذا الحين ولهذا السبب نقدم ترتيلها الدال على نقدم يوحنا وانذارهِ بالثالوث على ترتيل التسبيح المثلث الدال على اللاهوت المثلث الاقانيم جاعلة هذا تلو ذاك لمطابقة الرسم بالحقيقة حسب التقدم والتأخر. ثم بما انهُ بورود المسيح الى العالم قد صار الصلح والاتحاد بين السماويين والارضيين كما شهد الرسول يصير ترتيل التريصاجيون خارج الهيكل في الخورصين وداخلهُ من الكهنة المقدسين ايضًا اشارةً الى هذا الصلح والاتحاد. اي اتحاد الملائكة مع البشر واتفاقهم معهم. وانهُ قد صار بالمسيح كنيسة واحدة للملائكة والبشر

واما ترتيل التريصاجيون قبل الرسائل فقد قبلتهُ الكنيسة من السماء كما يذكر ثاوفانوس في تاريخهِ قائلاً: في زمن القديس بركلس بطريرك القسطنطينية صار في المدينة المذكورة زلازل عظيمة دامت متوالية اربعة اشهر. فخاف اهل المدينة جدًا وخرجوا منها الى الفضاء. وكانوا مثابرين مع رئيس الكهنة على الصلوة والبكاء نحو الله. ففيما كانت الارض تتموج في احد الايام وكان جميع الشعب يهتف بغير فتور يارب ارحم خُطِفَ صبيٌّ بغتةً بقوة الهية الى الجو وسمع صوتًا الهيًا يأمرهُ بان يخبر رئيس الكهنة وبقية الشعب

ان يرتلوا هكذا «قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا» من غير زيادةٍ اصلاً. اما القديس بركلس فلما نال هذا الامر امر الشعب بان يرتلوا هذه التسبحة وللحين وقفت الزلزلة. واما الملكة القديسة بلخاريا واخوها الملك ثاوضوسيوس الصغير الحسن العبادة فابتهجا وسرَّا من هذا العجب وحكما بان يرتل هذا التسبيح كل يوم وهذا العجب انما صار لابطال تجديف القائلين بالافتراء ان اللاهوت تألم لانهم كانوا يقولون بسوء كفرهم ان ابن الله تالم بلاهوتهِ فلذلك كانوا يزيدون على هذه الثلث التقديسات: قدوس الله الذي صلب عنا * وقال نيكيفوروس (في الراس ٤٦ من المجلد ١٤) من تاريخهِ: ان كنيسة المسيح قبلت هذا الامر اي التسبيح المثلث التقديس على مثال ما سمع في السماوات ولا تتلوهُ في وقت القداس فقط بل على الاطلاق. وفي بدء كل صلاة وتسبيح لله يبتدأ بهذا التسبيح بلسان فصيح قبل كل شيء وبعدهُ ايضًا* وقال اخرون ان صلاة هذه التسبحة المثلثة التقديس قديمة في كنيسة الله ورتبها القديس اغناتيوس المتوشح بالله * وبعضهم ذهب الى انها مؤلفة من آباء مجمع نيقية ولا سيما القديس ملاتيوس بطريرك انطاكية ردًّا على اريوس وصافاليوس المجدفين على الثالوث الاقدس. غيران ترتيل هذا التسبيح قبل الرسائل كان في عهد بركلس. لاجل ما ذكرنا. وفي وقت ترتيلهِ يتوسل الكاهن الى الله بتلاوة الافشين المنسوب الى القديس بركلس ليقبل من افواهنا هذا التسبيح المعطى من الله. كما يقبلهُ من القوات السماوية

الفصل الثاني عشر

في ايضاح مدلولات تلاوة الرسائل والانجيل المقدس

ذكرنا انفًا ان الرسل في اوائل الكنيسة حينما كانوا يجتمعون لكسر الخبز المفهوم بهِ عمل القداس كانوا يتلون جزءًا من الكتب المقدسة ثم الصلوة الربية. ويلفظون كلمات التقديس. ويتممون الذبيحة

اما لما كتبت الاناجيل والرسائل المقدسة فيشهد القديس يوستينوس في اجابتهِ الثانية التي كتبها لانطونينوس قيصر سنة مائة واربع وستين للمسيح ان ذبيحة الافخارستيا كانت تكمل حينئذٍ على هذا النظام والترتيب قال: اننا في جميع التقدمات التي نقدمها اولاً نبارك ونسبح. وحينما تشرق الشمس يجتمع جميع المؤمنين من القرى والضياع وغيرها

من الاماكن المسكونة في موضع واحد ونقرأ حينئذ مصنفات الرسل الاطهار ومن اسفار الانبياء الابرار . وحين يسكت القارئ يعظ المترئس على الجمهور و يرشدهم ويحثهم على الاقتداء بالامور الحسنة . ثم ننهض كلنا ونتلو الطلبات كما ابتدأ نا . و بعد تكميلها يقدم الخبز والخمر ويجيء المترئس ايضاً و يتلو التضرعات حسب الامكان و يترنم بالشكر . والشعب يصرخ بفرح وابتهاج . امين . و بعد ان يكمل الشكر وصراخ الشعب يتناول كل الحاضرين الذين تلي عليهم الشكر . اما الغائبون فيرسل لهم مع الذين نسميهم شمامسة انجيليين . وهذا الماكل يدعى عندنا شكراً

فالكنيسة التي تقلدت هذا من الرسل وخلفائهم لم تزل متمسكه به حتى الان ولذلك بعد ترتيل التسبيح المثلث التقديس يقرأ جزء من اعمال الرسل او من رسائلهم ثم الانجيل الشريف يتخلل تلاوتها بعض صلوات وتراتيل . و بهذا الترتيب تشير الكنيسة الى الافعال التي فعلها السيد المسيح بعد ظهوره للعالم المشار اليه بالايصودن كما ذكرنا . على انهُ تعالى شرع بعد ذلك ينذر ويعلم . واختار رسلاً وارسلهم للكرازة والانذار والتبشير بالانجيل . فالكنيسة اذاً تذكر هذه الافعال وتشير اليها بتلاوة الرسائل والانجيل و بما يتخللها ايضاً من الصلوات والتراتيل * (فالرسائل) تدل على انتخاب الرسل وعلى ارسالهم لجميع الامم . وتبشيرهم بالانجيل الشريف بكل العالم . كما قال يوستينوس الشهيد . والتقدمة اي البروكيمنون الذي يتقدم فيقال قبلها من المزامير يدل على تعليم العهد القديم . وذكر نبوات الانبياء وسابق التخبير بها عن ورود المسيح . وعلى تعليم يوحنا السابق ايضاً . و يتقدم هذا التعليم بمنزلة وعظ وتهيوء لتعليم الانجيل . ولذلك يتقدم الشماس فيقول (بروسخومن) اي فلننصت . فكانهُ يقول : فلنضع عقولنا بهذه الاقوال ولنصغِ اليها بصمت او كما قال جرمانوس : ان معنى بروسخومن لنفهم ونصغِ باجمعنا بعقل هادٍ . ومن ثم قال القديس غريغوريوس الكبير ان ما يتلى من اقاويل الرسل انما يسمى رسالة لا لانهُ يقرأ حينئذ جزء من رسائل الرسل فقط . بل لان الكنيسة تريد ان نسمع ما يتلى علينا في هذا المحل باصغاء ونقبلهُ كرسالة مرسلة الينا من الله ليعرفنا بها ارادتهُ ايضاً * اما الانجيل فيدل على بذار التعليم الانجيلي الذي قد بذر من الزارع الحقيقي سيدنا يسوع المسيح . وايضاً على امتداد التبشير بهِ في جميع اقطار العالم بواسطة رسلهِ الاطهار . وظهور تعليم الكلمة في المسكونة كلها . ولذلك يرتل فيما بين الانجيل والرسائل « الليلويا » ومعناها اللهاتي فظاهراً سبحوهُ ومجدوهُ . لانها انما تقال هنا للدلالة على ظهور الاله الكلمة والتبشير

بانجيلهِ . وترتل بتمهل وتلحين حسن لكي يكون للشماس وقت ليبخر جميع الهيكل والشعب .
وهذه اللفظة ترتل في كل الكنائس باللغة العبرانية . لان يوحنا الحبيب قال في الاصحاح
التاسع عشر من رؤياهُ انهُ هكذا سمع ترتيلها من الملئكة المغبوطين في السماء وقال طوبيا
الشيخ : في كل شوارع اورشليم السماوية يلحن ويرتل هكذا . واما اشتقاقها من العبراني
فقيل ان معنى «الليلو» سبحوا ومجدوا ومعنى «ايا» الله . وقال آخرون ان معنى «ال»
انهُ يأتي ظاهرًا . ومعنى «ايل» الله او سبحوا ومجدوا . ومعني «ايا» الله* واعلم ان هذه
اللفظة تدل على الفرح والابتهاج ولذا ترتلها الكنيسة السماوية المنتصرة وتشيد بها مترنمة .
واقتداء بها تستعملها الكنيسة المحاربة على الارض حتى ان الكنيسة الغربية لا تستعملها الا
للدلالة على الفرح اي في ايام المواسم والاعياد . واما الكنيسة الشرقية الرومية فتستعملها
دائمًا الا انها ترتل هنا للدلالة على الفرح الحاصل في النفس من قبل ظهور المسيح ونور
تعليم انجيلهِ مع دلالتها على ظهور الكلمة* اما البخور في هذه الساعة فيدل على اريج طيب
الروح القدس المستمد من التعليم الانجيلي ومن حكمتهِ المقدسة الحقيقية التي يجب ان
نصغي لها وقوفًا رافعين عقولنا نحو السماء كما يصوت الشماس قائلاً «بحكمة مستقيمة
فلنسمع (قراءة) الانجيل المقدس» اي بالحكمة التي هي ابن الله المقول عنهُ في الانبياء
والذي سبق التبشير بهِ في اناجيلهِ المقدسة وظهر وقد سمعناهُ ونظرناهُ باعيننا حكمة الله
وكلمتهُ نؤمن بهِ باجمعنا هاتفين وقائلين «ذوكصا سي كيريه ذوكصاسي» اي المجد لك
يا الهنا المجد لك

(وان سئل) لماذا اعتاد المؤمنون ان يسمعوا الانجيل وهم مستقيمون وقوفًا*

الجواب انهم يسمعونهُ هكذا اي مرتقين الى العلاء ومرتفعين عن الارض اوفر ارتفاعًا
لإسباب (اولاً) اشارة الى ما ينبغي ان نتصف بهِ من الارتقاء باذهاننا وافعالنا عن
الارضيات الى السماويات (ثانيًا) للدلالة على ما يجب ان يكون فينا من الاستعداد لسماع
ايضاح الصالحات (ثالثًا) اظهارًا للطاعة والخضوع لاوامرهِ واقوالهِ . ولهذا السبب اعتاد
رئيس الكهنة ان ينزع عنهُ في حين تلاوة الانجيل الاموفوريون ويدفعهُ للشماس مشيرًا بهذا
كما قال جرمانوس الى التواضع والخدمة التي يقدمها تعبدًا منهُ لابن الله المبشر بهِ (رابعًا)
احترامًا لحضور ابن الله الذي ظهر لنا لا في الغمام ولا بواسطة احلام كما ظهر للانبياء قديمًا
بل ظهر انسانًا بالحقيقة ومشاهدًا منا عيانًا وتكلم معنا لا بالرموز كما خاطب موسى قديمًا
بواسطة اصوات وابواق وبروق وسحاب . بل كلمنا بذاته مشافهةً . وفي هذا قال الرسل

الاهي . «ان الله الذي كلم الآباء قديمًا في الانبياء كلامًا متفرق الاجزاء مختلف الانواع كلمنا اخيرًا في هذه الايام في الابن الذي جعلهُ وارثًا لكل الاشياء» (عبرانيين ١:١ و٢) فلنفقهنَّ اذًا بان الذي يكلمنا الآن ويخاطبنا ما هو موسى ولا ملاك ولا نبيٌّ من الانبياء بل الابن الوحيد الذي اخذ من عقل الاب اسرار الحكمة الالهية وهو الحكمة الازلية الاقنوميه عينها وكلمة العقل الالهي نفسها العليمة بكل شيء فهو هو هنا في الانجيل ينطق بفيهِ متكلمًا . ويفيض الاسرار المحجوبة منذ الازل المصورة برسوم عديدة في الناموس والانبياء فلهذه الاسباب يسمع الشعب الانجيل منتصبين على اقدامهم بل يسمعونهُ ورؤوسهم مكشوفة اشارةً الى الاحترام الواجب لكلمة الرب . ثم توقد شموع جديدة . دلالة على ان الانجيل هو نور العالم او شمس العدل الذي اتى بهِ المسيح الى العالم كقولهِ «انا نور العالم» وليس ذلك الاَّ بواسطة الانجيل الذي اشبه بمنزلة النور لينير بهِ العالم

تنبيه

اعلم ان عادة ايقاد الشموع حين قراءة الانجيل قديمة في الكنيسة سبقت ايام القديس ايرونيموس الذي قال في كتابهِ ضد نفاق ويجلنتيوس المبتدع المظلمة بصيرتهُ والمتعامي عن هذه الانوار . ان الشموع التي توقد حين قراءة الانجيل كالعادة المألوفة في بلاد الشرق وكنائسهِ كلها ليست لطرد الظلام بل دليل على الفرح والحبور كما كانت مصابيح اولئك العذارى الانجيليات مضيئة جدًّا ليظهر تحت شكل النور الجسدي ما قيل في الزبور «كلمتك مصباح لقدمي ونورٌ لسبيلي» (المزمور ١١٨ . ١٠٥)

الفصل الثالث عشر

لماذا كانت الاناجيل اربعة لا اكثر ولا اقل

يسأل اولاً لمَ انحصرت الاناجيل في العدد الرباعي

اجيب لقد اورد علماء بيعة الله اسبابًا كثيرة لذلك . فذهب (اولاً) القديس اوغسطينوس الى ان الاناجيل اربعة لوجود اربعة اقسام المسكونة التي يكرز فيها بالانجيل وتنتشر الكنيسة جماعة المسيح (ثانيًا) قال غريغوريوس الكبير ان الاناجيل اربعة بمنزلة اعمدة اربعة يقوم عليها بناء الايمان كائنة على صخرةٍ مربعة لان البناء المربع أثبت توطيدًا من غيرهِ . ولذلك قيل ان اورشليم السماوية كانت مربعة (رؤيا ٢١:١٦)

(ثالثًا) ذهب جمهور الآباء ورايهم هو الارجح الى ان الاناجيل انما هي اربعة لان كتابها الاربعة قد دلّ عليهم سابقًا الحيوانات الاربعة التي رآها حزقيال . كما ترى في الفصل الاول من نبوتهِ (العدد ٥) ويوحنا الحبيب . كما هو مكتوب في الفصل الرابع من جليانهِ (العدد ٦) ومن ثم شبه هؤلاء الحيوانات الاربعة باربعة تشابيه تدل على صفات ابن الله الاربع . وهي الدرجة الملكية . والرتبة الكهنوتية . والطبيعة الانسانية . والطبيعة الالهية . وذلك لان هذه الحيوانات كان لها اربعة اوجه ولكل واحد اربعة اجنحة فالوجه الاول شبه ❊ اسد ❊ وهذا يشير الى ملك المسيح ورئاسته لانهُ يدل على بطشهِ الملكي الذي اظهرهُ خاصةً في قيامتهِ من الاموات . وكما ان الاسد ملك الوحوش كلها كذلك المسيح ملك المؤمنين بل البشر والملئكة كافةً . والثاني شبه ❊ ثور ❊ وهذا يشير الى كهنوتهِ الذي مارسهُ وكملهُ حين قدم ذاتهُ للآب على الصليب ضحية ومحرقة . والثالث شبه ❊ انسان ❊ وهذا يدل على ناسوتهِ الذي اتخذهُ من مريم العذراء وعلى اقوالهِ وافعالهِ . والرابع شبه ❊ نسر ❊ وهذا يدل على لاهوتهِ وصعودهِ الى السماء ولذلك قال روبرتوس : ان المسيح انسان بمولدهِ وثور بموتهِ واسد بقيامتهِ ونسر بصعودهِ

يسأل (ثانيًا) لِمَ ينسب الانسان لمتى . والاسد لمرقص . والثور للوقا . والنسر ليوحنا نجيب مع القديس ايرونيموس وغيرهِ من المعلمين ان وجه نسبة الانسان لمتى لانهُ افتتح بشارتهُ بذكر تواليد المسيح الانسانية . لان حفظ النوع الانساني يكون بتناسل الجنس * والاسد يضاف الى مرقص لان فاتحة انجيلهِ كانت ذلك المقال النبوي الذي هتف بهِ ذلك الاسد الزائر اي يوحنا الصارخ « اعدوا طريق الرب واجعلوا سبلهُ قويمة » (مرقص ١ : ٣) * والثور للوقا لانهُ ابتدأ انجيلهُ بذكر زكريا الكاهن ابي يوحنا المعمدان وكانت الثيران قرابينهُ * واما النسر فينسب الى يوحنا الانجيلي لانهُ اتخذ اجنحة النسر . وارتفع باقوالهِ من الارض الى اعلى السماء لانهُ انشأ في ابتداء انجيلهِ ذلك القول الالهي المرعد « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة » فهذه المعاني السامية مضاهية لحال النسر الذي لا يزال يطير مرتفعًا نحو العلو * واعلم ان نظام كتابة الاناجيل كان هكذا ان متى كتب اولاً ثم مرقص ثم لوقا . واخيرًا يوحنا فمن هؤلاء الاربعة متى وحدهُ قيل انهُ كتب انجيلهُ بالعبرانية [1] والثلثة الباقون كتبوهُ باليونانية

---

١ وقيل انهُ كتبهُ بالسريانية الكلدانية بل ذهب البعض ايضًا الى انهُ كتبهُ باليونانية وهذا غير سديد

الفصل الرابع عشر

في ايراد ما يتلى في القداس بعد قراءة الانجيل الشريف من الافاشين والطلبات

ان الكاهن بعد ان يكون رسم بما قدمنا ذكرهُ مجيء المسيح الى العالم وانتخابهُ رسلهُ الذين بشروا بعد صعودهِ بانجيلهِ. وبثوا في العالم حقيقة الايمان بسر تجسدهِ وتثليث اقانيم الله. يشرع هنا بتلاوة ما يدل على ما صنعهُ بتعليمهِ في السنين الثلاث الاخيرة التي اعلن فيها ذاتهُ للعالم. فلهذا وان كانت الافاشين والطلبات التي تقال بعد الانجيل الى الشارو بيكون هي لاجل الموعوظين والمؤمنين فهي ايضًا للدلالة على تعليم ربنا يسوع في السنين الاخيرة من حياتهِ. كما ذهب القديس جرمانوس. على انهُ لما كان تعالى قد جذب بتعاليمهِ وبآياتهِ المفعولة منهُ في هذه السنوات الثلاث كثيرين الى الايمان بهِ. واعدَّ ايضًا للايمان كثيرين آمنوا بهِ بعد قيامتهِ وصعودهِ كان ما يتلى لاجل فائدة المؤمنين في هذا المحل اشارة الى الذين آمنوا بهِ. وما يتلى لاجل الموعوظين للدلالة على الذين كانوا عتيدين ان يؤمنوا بهِ. لاننا قد علمنا ان السيد المسيح ورسلهُ قد ابتدؤوا البشارة الانجيلية باعتناء جزيلٍ وحرارة غاية في الاتقاد ولذا الكنيسة المقدسة رأت ان تشير الى هذا العمل العظيم بتلاوة الكتاني الكبيرة. وهي ✽ فلنقل من كل انفسنا ومن كل نياتنا الخ ✽ وانما سميت (كتاني) التي معناها اليوناني امتداد واستطالة لانها طلبة مستطيلة ومقروءة بالاعتناء. والقديس باسيليوس يسميها الطلبة الممتدة ومتوديوس يدعوها توسلاً وكذلك ايسيشيوس. وقد وصفت بهذه الاوصاف لا لاجل استطالتها فقط. بل بالحري لانها تتلى بمجاهرةٍ وشوقٍ واعتناء جزيل لان ابتداءها من كل النفس ومن كل النية بغير فتور. والكاهن او الشماس يطلب هكذا قائلاً ✽ نطلب منك فاستجب وارحم وايضًا نطلب منك فاستجب يارب وارحم ✽ والشعب يقول ثلث مرار كيرياليسون فهذا هو اشتداد الطلبة وامتدادها. ثم يوجه القول نحو الموعوظين ويهتف قائلاً ✽ صلوا ايها الموعوظون للرب ✽ فاولاً يحث الموعوظين على التوسل والابتهال الى الله لاجل ذواتهم لانهُ كما قال القديس اوغسطينوس: ان الذي خلقك بدونك لا يخلصك بدونك. ثم

يحث المؤمنين ايضاً على التوسل والطلبة لاجل الموعوظين بما اننا ملتزمون كلنا ان نبتغي خلاص القريب كما نشاؤه لذواتنا * ثم يتبع بالافشين متوسلاً لله العظيم المواهب ان يمنحهم تعاليمهُ المنيرة ويعيد ولادتهم بحميم الميلاد الثاني الذي هو المعمودية المبرّرة . وان يمنحهم غفران خطاياهم. ويحصيهم مع رعيتهِ المختارة المقدسة التي هي الكنيسة الجامعة المستقيمة الرأي ثم يعلن قائلاً * لكي يمجدوا وهم معنا اسمك الكلي الاكرام العظيم البهاء الخ * وهذا الاعلان متعلق بالافشين السري المقول قبلهُ كمكمل فكان الكاهن يقول : احصهم يارب بالمعمودية المقدسة مع رعيتك المختارة لكي يمجدوا معنا هم ايضاً اسمك الكلي الاكرام الخ وذلك باشتراكهم معنا بتقدمة ذبيحة ابنك الوحيد وتناولها السري * ثم يبسط الكاهن الانديمسي على المائدة ليقبل عليهِ التقدمة وهو مثال الكفن الذي لف بهِ جسد سيدنا يسوع المسيح . ولذلك يكون مصوَّرًا فيهِ المسيح مائتًا منزلاً عن الصليب . وتوجد فيهِ قطعة اسفنجة كالتي بلّوها بالخل والمرارة واعطوهُ ليذوقها . فالكاهن بعد بسطهِ الانديمسي يقبل الاسفنجة اقتداء بالسيد المسيح الذي ذاقها بشفتيهِ الكريمتين . وبما ان يوسف ونيقوديموس لما انزلا السيد عن الصليب كانا سبقا فهيّأا السباني اولاً وبسطاها لكي يكفنا جسدهُ الكريم . فلذلك الكاهن يبسط الانديمسي لكي يكون مهيأً حينما ينقل الكاس والصينية ويضعها فوقهُ بدورة الايصودن المرموز بها عن جناز المسيح كما سيأتي . وحينئذٍ يهتف الشماس باخراج الموعوظين بما ان قداسهم قد انتهى . ومن هنا فصاعداً يبتدىء قداس المؤمنين

الفصل الخامس عشر

في ان الموعوظين كانوا يخرجون من الكنيسة ويطردون خارجاً منفصلين عن المؤمنين في بدء هذا الجزء من القداس المدعو قداس المؤمنين وفي ايضاح ما يدل عليه هذا الطرد

اعلم ان هذا الجزء هو الاخص والاعظم في اجزاء القداس الشريف . كما قلنا في افتتاح هذا القسم لاشتمالهِ على استحالة السر الرهيبة . وحضور الروح القدس . وتقديس المؤمنين . ولهذا كان الموعوظون والتائبون يطردون من الكنيسة في مثل هذه الساعة بما

انهم غير مستحقين لذلك . وكان المؤمنون فقط يلبثون داخل الكنيسة وقوفاً في الصلوات والطلبات . اما الموعوظون فكانوا يخرجون في حين يهتف الشماس في هذا المحل باخراج الموعوظين و بابقاء المؤمنين قائلاً «ايها الموعوظون جميعًا اخرجوا لا يلبث احد من الموعوظين بل انتم يامؤمنون» اي بل ابقوا انتم يايها المؤمنون الحاضرون وامكثوا مستمرين لتشاهدوا وتشتركوا بذبيحة القداس الطاهرة وتطلبوا انتم لا الموعوظون ذلك السلام المضاعف الذي سبق التماسه في بدء القداس مكررين ايضاً ومعيدين التوسل الى الله بشأنهِ والحصول عليهِ ولاسيما في هذا الوقت الذي هو بدء الشروع بتقدمة ذبيحة السلام بنوع اخص قائلين ايضاً هنا كما سبقتم وقلتم وطلبتم قبلاً هناك ✻ ايضاً وايضاً بسلام من الرب نطلب ✻ . فهذا هو معنى هذه الطلبة وهذه حقيقة تأويلها وحالما كان يهتف بها الشماس كان الموعوظون يخرجون من الكنيسة . وتحفظ الابواب لثبات المؤمنين الذين يبتدئون من ذلك الوقت يحثون انفسهم على العبادة و ينزعون عنهم كل اهتمام عالمي معترفين بانهم عتيدون ان يقبلوا ملك الكل . وقد اخبرنا اياكوبوس . ان المؤمنين الاولين بعد ما كانوا يخرجون الموعوظين والتائبين اذا اتفق ان ياتي احد المؤمنين الى الكنيسة ما كانوا يفتحون لهُ ليدخل . لان الشمامسة الانجيلية كانوا ساعتئذٍ يقفون في الابواب التي من جهة الرجال . والابوديا كونية في الابواب التي من جهة النساء لئلا يخرج احد ونفتح الابواب لاحد . آخذين ذلك من الفرائض الرسولية . ولذلك يهتف يعقوب اخو الرب بصوت عظيم قائلاً : لا يدخل احد من الموعوظين ولا من الغير الطاهرين ولا من الذين لا يجوز لهم الصلاة معنا . فليفحص بعضكم عن بعض . وقفوا في الابواب

اما فصل الموعوظين من المؤمنين الذي تفعلهُ الكنيسة وقتئذٍ فيشير الى انفصال الاشرار من الاخيار في اليوم الاخير . كما أول ذلك التسالونيكي قال : ان الموعوظين يخرجون للحين والمؤمنين يؤمرون ان يلبثوا داخلاً . لان هذا الوقت رسم للغاية الاخيرة لانهُ تعالى يقول بعد ان يبشر بالانجيل في العالم كلهِ يأتي الانقضاء وفي ذلك الحين يرسل ملائكتهُ فيميزون الاخيار من الاشرار . فهذا تفعلهُ الكنيسة لانها تفصل ما بين الفريقين هاتفةً فليخرج الموعوظون وليلبث المؤمنون فقط

الفصل السادس عشر

في ما يتلى من الصلوات من ابتداء قداس المؤمنين الى الايصودن

قد سبقنا فنبهنا مرّات : ان ابتداء قداس المؤمنين يكون من عند ابتداء ترتيل اوسي پستي الني معناها انتم يامؤمنون قفوا لتشاهدوا الذبيحة المقدسة وتشتركوا بها . وتقدموا طلبات حارة سرية . وكما يبتدئ من هنا قداس المؤمنين كذلك من هنا تبتدئ خدمة فم الذهب كما رأيت* ثم لاحظ هنا كيف تجعل الكنيسة افتتاح هذا الجزء من خدمة القداس الالهي ما سبقت فجعلتهُ افتتاح الجزء السابق منهُ ففي قداس الموعوظين لا تقدم شيئًا بعد تسبيح الثالوث سوى طلب السلام بقول الشماس بسلام من الرب نطلب هكذا هنا الآن لاتقدم شيئًا في قداس المومنين الاَّ طلب هذا السلام عينهِ . اذ فيهِ تقدم ذبيحة السلام . ومن ثم قال الذهبي فمهُ في تفسيرهِ مثل الابن الشاطر مخاطبًا الذين يريدون الاقتراب لتناول هذا القربان وتقريب هذه الذبيحة «ان كان لك غيظ على احد فاطرحهُ عنك . اشفِ الجراح . حل العداوة . لكي تنال الشفاء من المائدة المقدسة . لانك قادم على ضحية رهيبة فاحتشمها ها المسيح طريح مذبوح . وانما ذبح لكي يهب السلام للسماويين والارضيين» فلذلك ترى الكنيسة لا تفتران تلتمس من الشعب هذا السلام قائلة «انتم يامؤمنون ايضًا وايضًا بسلام من الرب نطلب» فارضةً على بنيها هذه الطلبة في الاول والوسط والانتهاء ومن هذا القبيل تجعل طلب السلام في هذا العمل الالهي هو الاول في كل شيء منهُ والبدء في كل جزء من اجزائهِ . كما انهُ يكون ختمة عند انتهائهِ

واعلم ان جميع ما يتلى من هذا الوقت الى حين الايصودن هو متضمن التوسل الى الله بقبول الطلبات والتضرعات والتماس نعمة التأهيل لتقريب الذبيحة . وفيهِ ايضًا يكرر الطلب لنيل النعم الالهية المقدم ذكرها في (الفصل هنا) لان الكنيسة لا تزال تلتمسها ولا تمل من طلبها حسب قولهِ تعالى «صلوا ولا تملوا» (لوقا ١٨ : ١) تكرر هذه التضرعات قائلةً «اعضد وخلص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك صوفيا» اي بحكمة . فكانها اذًا تقول اعضدنا يا الله واحفظنا وصنّا بحكمة نعمتك هذه حتى اذا كنا محفوظين ومصونين بها كل حين نرسل لك المجد ايها الآب والابن والروح القدس الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين

الفصل السابع عشر

في الايصودن الكبير اي دخول المواهب المقدسة وانتقالها من المذبح الصغير الى المذبح الكبير باحتفال عظيم والى مَ يشار بانتقالها بهذا الاحتفال

لقد احسن واصاب المعلم بطرس اركوديبوس بقولهِ ان الآباء القديسين لما ارادوا ان يتمموا وصية المخلص بالذبيحة الطاهرة و يشيروا بترتيبها الى جميع افعالهِ ارادوا ايضاً ان يكون فعلٌ واحدٌ من الرتبة دالاً على اشياء كثيرة . وقد اتضح هذا مما تقدم شرحهُ في افعال الرتبة . وسوف ياتي مثلهُ في بقية افعالها . ولكن سيبين و يتضح باجلى بيان في الايصودن الكبير الذي مع كونهِ فعلاً واحداً من افعال الرتبة يؤخذ للدلالة على عدّة امور سرية . كما يبان فيما نوردهُ من اراء الشارحين لهُ فنقول:

زعم قوم اولاً ان طواف الايصودن يرسم هيئة مرور القديسين والصديقين واجتيازهم جميعاً محتفين بالذي هو قدوس القديسين . وتجنازا ايضاً معهُ القوات الشاروبيمية ومعهم روح القدس ظاهراً وعقلياً باشارات النار والبخور وقتام الدخان الذكي العرف

ثانياً ذهب سمعان التسالونيكي في تفاسيرهِ عن الهيكل والقداس قائلاً : ان الايصودن يضاهي حضور المسيح الثاني الذي يوافي بمجد . ولذلك يتقدم الاموفوريون صحبة الصليب . دلالة على علامة يسوع العتيدة ان تظهر من السماء للبشر . وعلى يسوع نفسهِ . و يتقدم الشمامسة مع العلامة مكملين طقس الملئكة . اما المراوح فهي الاجنحة كما كنى بها ديونيسيوس . ثم يتبع هؤلاء المذكورين الكاهن والشماس حاملين المواهب الطاهرة ومعهما بقية الخدام . وهؤلاء جميعهم يطوفون بالكنيسة و يدعون الشعب . ثم يدخلون الهيكل متوسلين كلهم لاجل رئيس الكهنة . ولا يذكرون في هذا الايصودن صلوة اخرى سوى التماس ملكوت الله . اما رئيس الكهنة فانهُ يعلم الجميع و يوضح لهم بما يعلنهُ بقولهِ عند اخذهِ الموضوعات من الشماس «يذكر الرب الاله جميعكم في ملكوتهِ السماوي » انهُ بعد انفصال المرذولين من الصديقين وظهور المخلص ليس للمؤمنين ميراث الاّ ملكوت الله . وهذا الملكوت هو المسيح الذي تواضع حتى الموت موت الصليب وذبح لاجلنا والتمتع بمشاهدة جسدهِ المحيي

الظاهر بالجراحات

ثالثًا قال القديس جرمانوس ان الايصودن الذي هو نقل المواهب المكرمة من مائدة التقدمة الى المائدة الكبيرة يمثل لنا امرين إما ورود المسيح قبيل الامهِ من بيت عنيا الى اورشليم اذ كان الفتيان العبرانيون مع ذلك الجم الغفير يقدمون لهُ التسبيح حسيًا بما انهُ الملك الغالب الموت وحينئذٍ يمثلهُ لنا اتيًا الى الآلام ليقدم نفسهُ عنا ذبيحة لله الآب في اورشليم . و إمّا يمثلهُ منزلاً عن الصليب ومحمولاً من يوسف ونيقوديموس الى القبر المعد لهُ لان المائدة الكبرى ترسم لنا الضريح الفائض الحياة واما المذبح فهو مثال جبل الجلجلة* فهذان الوجهان هما اخص مما تقدمها لان الرتبة تقتضيهما وتشير اليهما . وفي بيان ذلك نقول

ان الكاهن لما كان يتأمل سيدنا يسوع المسيح في رتبة استعداد المواهب اولاً مولودًا ومعدًّا للذبح ورسمهُ بتلك الافعال والاشارات ثم تاملهُ مذبوحًا عن الخطيئة ومطعونًا في جنبهِ بحربةٍ . واشار الى ذلك بالاقوال النبويَّة والاعمال المقدسة حسن به الان ان يتاملهُ بحسب الوجه الاول راسماً لنا اتيانهُ من بيت عنيا الى اورشليم بهذا الايصودن الكبير . فكما ان المسيح وافى من بيت عنيا الى اورشليم ليقدم نفسهُ لله ابيهِ ذبيحة عن الخطية هكذا يأتي الكاهن الذي ينوب مناب المسيح بالتقدمة التي ترسم لنا جسد المسيح ليقدمها ذبيحة سرية لله الآب عن خطايا العالم . فمن ثم يشير بهذا الاحتفال والتسبحة الشاروبيمية (اولاً) الى تلك الكرامة والتسبيح الحسي الذي كان يقدم لسيدنا يسوع المسيح من فتيان العبرانيين كملك وغالب الموت (ثانيًا) يشير بذلك الى التسبحة المثلث تقديسها التي كانت تتقدم لهُ من الملئكة بوجه غير محسوس . هكذا فسر القديس جرمانوس . ومع ذلك فالكاهن يتاملهُ ايضًا بحسب الوجه الثاني . اي بجسما هو مذبوح وميت عن الخطية في جبل الجلجلة . فلذلك يمثل لنا بهذا الايصودن نزول جسد سيدنا يسوع المسيح من على خشبة الصليب . وانتقالهِ من الجلجلة الى القبر في حين كانت تتبعهُ القوات الملكية هاتفةً بوجه غير منظور « الليلويا » كما فسر ايضًا القديس المذكور* وقال بطرس اركوديوس كما ان جسد المسيح المائت حمل بجناز من جبل الجلجلة الى القبر كذلك ايضًا تحمل التقدمة من المذبح الصغير الذي هو مثال الجلجلة لان فيهِ رسمت آلام المسيح التي تمت في جبل الجلجلة الى المذبح الكبير الذي هو شبه القبر بالحقيقة . وقال هنا سمعان « ان الحامل وقتئذٍ على راسهِ الصينية المحتوية على القربان يماثل صورة يسوع مائتًا عريانًا » ولهذا اذ يضع الكاهن التقدمة على المائدة المقدسة التي ترسم لنا ضريح المسيح الفائض

الحيوة يقول هذه الطروبارية «ان يوسف الحس الشكل الخ» ثمَّ يرسم حنوط دفن المسيح التي ابتاعها نيقوديموس ليحنط بها جسد يسوع وذلك بالبخور الذي يبخر بهِ اولاً التقدمة والهيكل والشعب . وبعد انتهائهِ من تلاوة افشين الشاروبيكون يبخر ثانياً بعد وضع التقدمة على المائدة وسترها بالغطاء الاكبر الذي هو رسم الحجر الذي ستر بهِ يوسف القبر القابل الحيوة مشيرًا بهذا البخور الثاني الى تلك الطيوب التي قدمتها حاملات الطيب وأتين بها الى القبر

وكاني بهذا الطقس المقدس يشير بلسان الحال الذي هو افصح من لسان المقال: ها المسيح قد صلب . والحيوة دفن . والقبر أُغلق . والحجر ختم . واثبت هذا القديس جرمانوس بقولهِ : ان هذا الايصودن الكبير يشير بلسان حالهِ نحونا قائلاً هكذا اتى المسيح . وهكذا مات . وهكذا طعن جنبهُ بحربةٍ . وهكذا افاض الدم والماء من جنبهِ المطعون . وهكذا حمل من يوسف ونيقوديموس . وهكذا دفن . ولهذا السبب حينما يستعد الكاهن يصنع ايصودن الاسرار الالهية قبل ان تصير جسد المسيح ودمهُ يصلي في ذاتهِ هذا الافشين معترفًا بدموعٍ قائلاً «ليس احد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدية . مستحقًا ان يقدّم او يدنو منك او يخدمك ياملك المجد لان الخدمة لك عظيمة هي ومرهوبة من القوات السماويين انفسهم الخ» والمرتلون يبتدئون بغاية الورع والتهيب بترتيل التسبحة الشاروبيمية المذكورة في الفصل الخامس من هذا القسم التي بها تحث الكنيسة جميع المؤمنين الحاضرين ان يتهيبوا بالورع والعبادة وينزعوا عنهم كل اهتمام عالمي معترفين بانهم عتيدون ان يقبلوا ملك المجد مزفوفًا من الملئكة . ومن ثم ترى البعض في هذه الساعة المقدسة يقفون بانسحاق وخضوع مصلين في ذواتهم المزمور الخمسين . والبعض ينحنون متضرعين . وآخرين يصلون صلوات اخرى مما يلهمهم بهِ الله

وانما يتأهب الشعب ويستعد مثل هذا الاستعداد الذي ليس بعادة محدثة بل قديمة من عهد القديس يعقوب اخي الرب لسببين (اولها) لانهُ عتيد ان يقبل باشارة ذلك الطقس والتقدمة ملك الملوك ورب الارباب ليذبح ويعطى طعامًا للمؤمنين . وقولنا باشارة ذلك الطقس والتقدمة . لانهُ لا يقبلهُ حقيقة بذلك الايصودن اذ خبز التقدمة ليس حينئذٍ جسد المسيح لكنهُ يرسم لنا جسد المسيح ويمثلهُ تعالى اتيًا للذبح (ثانيها) لان الشعب بهذا التأهب يتحرك بحرارة العباده نحو هذه الاشارات الدالة على هذه الاسرار المقدسة اسرار فدائنا الواجب لها السجود . ويقدم الكرامة لهذه التقدمة التي تمثل جناز

المسيح وحملهُ الى القبر واتيانه من بيت عنيا الى اورشليم لاحتمال الالام متخشعاً من هتاف الكاهن « يذكركم الرب الاله الخ» لان الكاهن يعلن بذلك انهُ ذاهب لتقديم هذه الذبيحة لله ليعطفهُ الى رحمة الشعب الحاضر وذكره ولذا يجيب وقتئذٍ كل من الشعب قائلاً : اذكرني يارب في ملكوتك

الفصل الثامن عشر

في ان هذا الاحتفال والتكريم الصائرين من الشعب عند انتقال المواهب عادة قديمة من عهد يعقوب اخي الرب

ألمعنا في الفصل السابق الى ان هذا التكريم الذي يصير للقرابين الالهية من الشعب بالخوف والورع واستقبالهم اياهُ برعدةٍ وسجودٍ ليس بعادةٍ محدثة في الكنيسة بل قديمة تسلمناها من يعقوب الرسول اخي الرب . وهذا يتضح من قول يعقوب نفسهِ الذي كان قديماً يرتل في هذا المحل بدل التسبحة الشاروبيمية وهو «فليصمت كل ذي لحم بشري وليكن بخوف ورعدة ولا يهجس في ذاتهِ في شيء ارضي لان ملك الملوك وسيد السادات متجهٌ ليذبح ويعطى طعاماً للمؤمنين * انهُ تتقدمهُ اجواق رؤساء الملئكة مع السلاطين والقوات كافةً . الشاروبيم الكثيرو الاعين والسيرافيم ذوو الستة اجنحة المغطون الوجوه والمرتلون التسبحة صارخين الليلويا » وقد استمرت البيعة ترتل هذا القول الى زمان تملك يوستينيانوس المستقيم الرأي ابن اخي يوستينيانوس الكبير وخليفتهِ كما اخبر كدرينوس المؤرخ قائلاً : ان الشاروبيكن الذي يرتل الان في دورة الايصودن العظيم كان ابتداؤهُ في ايام تملك الملك المذكور . وقال تسالونيكس في شأن هذا الاكرام والاحتفال : ان الذي يعملهُ الان الانوغنسطية والشمامسة بالمصابيح والاواني المقدسة المتقدمة امام القرابين انما يصير اكراماً لها لانها عتيدة ان تكمل فيما بعد . كما اذا انتدب احد ليصير ملكاً يستعدُّ القوم للذهاب بهِ الى الكنيسة ليتوجوهُ كالعادة القديمة وفي حين اجتيازهِ يحتف بهِ اكابر دولتهِ مع الشعب و يقدمون لهُ كل نوع من الاكرام . فعلى هذا المثال قس هذا الاكرام الصائر للقربان في حين الايصودن المقدس

واما بشان الاحتفال والاكرام اللذين كان الملوك المؤمنون يقبلون بهما هذا الايصودن المقدس فاسمع ما اخبر بهِ الكوروبالاتيس مورخ الكنيسة العظمى في تاريخهِ قائلاً : ان ملوك القسطنطينية الحسني العبادة كانوا يتقدمون امام هذا الايصودن باحتفال ووقار عظيم . و يقول ايضاً في تاريخهِ عن منصبي البلاط « في حين ابتداء ترتيل الشارو بيكن كان يتقدم كبير شمامسة الكنيسة و يدعو الملك . فيأتي بصحبة كبراء دولتهِ الى قرب المذبح حيث الضحية موضوعة و يلبس فوق اثوابهِ رداء اخر مذهباً و يضبط في يمينهِ صليباً حسب عادة الملوك . لانهم حينما كانوا يضعون التيجان على رؤوسهم كانوا يضبطون بيدهم اليمنى صليباً وفي اليسرى صولجان الملك . وكان يتقدم امام الايصودن مزفوفاً من كبراء الدولة حتى اذا وصلوا الى الباب الملكي كان الجميع يقفون و يدخل الملك وحدهُ من الباب الآخر فيجد البطريرك واقفاً في الابواب المقدسة . فيحني كل منهما هامتهُ للآخر كمحيين بعضهما بعضاً البطريرك من داخل والملك من خارج واما الشماس فكان يضبط بيدهِ اليمنى المجمرة وعلى اليسرى الاموفوريون المختص بالبطريرك و يبخر الملك . محنياً هامتهُ وقائلاً بصوت عظيم « يذكر الرب الاله عزة ملكك في ملكوتهِ السماوي كل حين الخ » ومثلهُ يقول بقية من في الايصودن واحداً فواحداً في حال دخولهم الى الهيكل . ومثل ذلك يذكرون البطريرك قائلين « يذكر الرب الاله رئيس كهنوتك الخ » . ثم يسلم البطريرك والملك احدهما على الآخر و يرفع البطريرك عن الملك ذلك السربال المذهب فيتناولهُ خادم الكنيسة حسب العادة . اما الملك فيعود الى محلهِ و يجلس ولا يقف الا في اوقات معينة »

واعلم ان رتبة هذا الاحتفال والتكريم والعبادة التي تصير نحو المواهب المزمَّعة وقتئذٍ لم يمدحها فقط معلمو الكنيسة الشرقية فقط الذين اخترعوا هذه الرتبة المقدسة لمعانٍ اوضحناها فيما تقدم ابتغاء تحريك الشعب بها الى العبادة والخشوع والتقوى وتشرفت بتفاسيرهم وايضاحاتهم . بل قد مدحت ايضاً من معلمي الكنيسة الغربية الذين فحصوا بتدقيق كلي وعلم بليغ في هذه الرتبة وغيرها حسب شهادة المعلم اللاهوتي ايا كوبوس القائل ان هذا التكريم للمواهب المقدسة يمدحهُ الكتبة اللاتينيون بما انهُ مقدم لاشياء مفروزة من الاستعمال المألوف . وللقربان القريب تقديسهُ وليس الا لتكريم الله واحترام السيد المسيح

الفصل التاسع عشر

في ما يتلى من الصلوات بعد الايصودن في ترتيل الشماس فلنحب بعضنا بعضاً · وفي تقدمة القرابين بعد الايصودن · وكيف وبأَي روح يجب ان نُقدَّم الذبيحة

بعد وضع المواهب المعدة للتقديس على المائدة يشرع الشماس بالطلب والتوسل الى الله قائلاً ✻ لنكمل طلبتنا للرب من اجل هذه المواهب المكرمة الموضوعة من الرب نطلب ✻ وهذا القول انما هو طلبة واستعداد لاجل الاسرار العتيدة ان تكمل فيما بعد بالكلام الالهي الفاعل الذي هو صورة السر الاقدس . لان الكنيسة قد اعتادت ان تتلو ما عدا كلام الصورة صلوات اخرى لائقة تقال قبل وبعد تدعى سوابق ولواحق ✻ فالسوابق ✻ تصير استعداداً للكاهن وللشعب قبل التقديس وقبل تكميل السر . بها يتوسل الكاهن الى الله ان يرسل عليه نعمته الالهية ويجعله كاهناً وخادماً مستحقاً لاتمام هذا السر . وتسمى ايضاً الصلوات المتقدمة على الصورة تقديم الكلام كما دعاها مجمع قرطاجنة المقدس . ✻ اما اللواحق ✻ التي تقال بعد التقديس وعقيب تكميل السر . فيتوسل بها الكاهن الى الله مثلاً في القربان الالهي والذبيحة الطاهرة ليكونا صفحاً للخطايا او عربوناً للحيوة الابدية . ولتظهر في الكاهن والمؤمنين مفعولات السر الالهي . وغير ذلك من المامولات الحسنة . ومن ثم يدعى الجزء الثاني من القداس المختص بالمؤمنين . قداس الذبيحة ايضاً . لا لتقديم الذبيحة فيه فقط بل لانه يشتمل ايضاً مع الجزء المقدم عليه على ما ينبغي للكاهن والشعب من الاستعداد الواجب والتهيؤ اللائق . ليمكنه ان يقدم لله الذبيحة باستحقاق وذلك حينما يكون الشماس متوسلاً بهذه الطلبات طالباً من الله قبول القرابين الموضوعة يكون الكاهن ايضاً شارعاً بتلاوة هذا الافشين السري المعنون بافشين التقدمة . وبدؤه في خدمة فم الذهب ✻ ايها الرب الاله الضابط الكل القدوس وحدك ✻ اما في خدمة باسيليوس الكبير فهذا بدؤه ✻ ايها الرب الهنا يا من خلقتنا وادخلتنا الخ ✻ وهذان الافشينان يتضمنان تقدمة القرابين ثانيةً . وقولنا ثانيةً هو بالنسبة الى التقدمة التي كملت اولاً على مذبح التقدمة الاصغر بعد الانتهاء من استعداد المواهب بتلاوة افشين

التقدمة . والّا فالحق ان التقدمة التي تتم في هذا المحل بعد وضع المواهب المكرمة على المائدة الكبرى هي التقدمة الاولى الابتدائية كما سياتي ومن ثم فذلك الافشين الذي يتلى الآن بعد الذبيحة كان يتلى في خدمة القديس يعقوب في هذا المحل . لكن لما نقلهُ الابوان في خدمتيهما الى حيث هو مرتب الآن ووضعا مكانهُ هذين الافشينين المذكورين صارت التقدمات ثلاثًا ولم يكن للآباء قصد اخر بذلك الاّ زيادة احتفال الذبيحة وتجميلها كما قال اركوديوس في كتابهِ الثالث

وان قيل ما هو سبب تقديم ذبيحة القداس بالاقوال والافعال مع انها تقدم وتقرب بالتقديس نفسهِ تقديمًا مضمرًا لان التقديس يتضمن تقدمةً وتقريبًا مستترًا ثم تقدَّم قبل القداس مع انها تقدم ايضًا بعدهُ

اجيب اولاً عن القسم الاول من السؤال مع اركوديوس ان الموضوعات كانت تقدم على المذبح بقوة التقديس نفسهِ فتقرَّب وتقدم لله بهِ فقد شاءَت الكنيسة ان تكرر ذلك وتصنعهُ بكلمات فصيحة لكي تكرر صنع المسيح وتثبتهُ ظاهرًا

اجيب ثانيًا عن القسم الثاني من السؤال ان الذبيحة تقدم قبل تقديسها لسببين (اولهما) لانهُ في الناموس العتيق كان الكاهن يقدم لله الحيوانات بطقوس مختلفة قبل ان يذبحها (ثانيهما) وهو الاخص لكي يماثل الكاهن سيدنا يسوع المسيح لان القداس لما كان صورة حياتهِ تعالى وموتهِ كان لا يليق ان يترك هذا الجزء المتضمن ذكر مبادئ حيوة المسيح بدون تقدمة . اذ كان من الموكد انهُ تعالى قبل آلامهِ وموتهِ بل منذ مبادئ حياتهِ قدَّم نفسهُ ذبيحة لابيهِ الازلي حينما قال كما اخبر عنهُ الرسول بهذه النبوَّة الداودية المذكورة سابقًا ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ لكنك البستني جسدًا ولم ترضَ بالمحرقات ولا بذبائح الخطيئة حينئذٍ قلت هاءنذا آتٍ لاعمل بمشيئتك يا الله (رسالة العبرانيين ١٠: ٥و٦و٧) واما تقديم الذبيحة بعد التقديس فذلك لمعنىً سري سنذكرهُ في محلهِ * اما هنا فناخذ في بيان كيفية تتميم الكاهن هذه التقدمة الابتدائية فنقول: ان الكاهن (اولاً) يوجه هذه التقدمة لا الى اقنوم واحد من الاقانيم الالهية الثلثة بل يوجهها لها جميعها . ومن ثم تراهُ لا يلفظ باسم خاص يختص باقنوم دون اقنوم بل يلفظ اسمًا عامًّا يطلق على جميعها و يشملها حيث يقول ※ايها الرب الاله※ وهذا الاسم يعمُّ الثلثة الاقانيم . والسبب هو لان الذبيحة تقدم لاكرام الثالوث بجملتهِ * (ثانيًا) يقول ※ الضابط الكل الواحد القدوس ※ وبهذا يشير الى سلطانهِ المطلق على الخلائق الناطقة . والى اهتمام عنايتهِ الابوية فيها . فمن حيث انهُ ضابط

الكل فلهُ السلطان المطلق . ومن حيث انهُ قدوس فلا تدعهُ قدوسيتهُ وصلاحهُ وحريتهُ ان يهمل عبيدهُ . بل تصيرهُ ان يهتم بهم اهتمامًا ابويًا* (ثالثًا) يقول* القابل ذبيحة التسبيح من الذين يدعونك من كل قلوبهم* فقولهُ ذبيحة التسبيح اشارةً الى الصلوات والابتهالات والتضرعات. على ان هذه تدعى ذبائح ايضًا . ومع ذلك فيشير بقولهِ هذا وما يليهِ من القول اي بقولهِ من الذين يدعونك من كل قلوبهم الى نوعي العبادة الخارجة والباطنة . وذلك لان فضيلة العبادة الواجبة التي هي احدى افعال التقوى تتضمن نوعين من العبادة

النوع الاول هو مادي . وهو كل شيء خارج يمكننا ان نظهر بهِ الاعتبار والاحترام والخضوع الواجب لعزة الله كالسجود المنظور . والصلوات الظاهرة وما شاكل ذلك من سائر افعال التقوى الخارجة المنتسبة الى عبادة الله الواجبة وتدعى ذبائح خارجة منظورة

النوع الثاني هو صوري . وهو ممارسة افعال الاعتبار والخضوع لله باطنًا بواسطة فعل ما من افعال العبادة الخارجة وهذا الشيء الصوري هو اكمل ما يوجد في فضيلة العبادة و بالتالي في فضيلة التقوى التي ليست هي سوى فضيلة تجعل المؤمن يعبد الله بعبادة واجبة .وتدعى افعال هذا النوع ذبائح باطنة روحية ومن يمارس الافعال الاولى الخارجة المنتسبة الى التقوى خلوًا من هذا الروح الباطن المشار اليهِ بافعال النوع الثاني فهو يمارس كما قال الرسول« الرياضة الجسدية التي تنفع قليلاً » (تيموثاوس٤ ٠٨) لكونها خاليةً من « الروح والحق » (يوحنا ٤ : ٢٤) اللذين يريد الله من عبيدهِ ان يعبدوهُ بهما

فالكاهن اذا بصلوة التقدمة المذكورة يرغب ان يقدم افعالهُ هذه بحسب هذا الروح ومن ثم تراه يلتمس من الله ضارعًا ليقبلها منهُ كما يقبلها من الذين يقدمونها لعزتهِ بحسب هذا الروح القلبي الباطن وهم المشار اليهم بقولهِ الذين يدعونهُ تعالى من كل قلوبهم . فان هذا هو المراد بالدعاء من كل القلب . ولذلك تراهُ هنا بقلب منسحق متخشع متواضع موصوف من النبي بعدم الرذالة من الله فيقول* رابعًا* « اقبل منا نحن الخطاة طلبتنا وقدمها لمذبحك المقدس » ثم بعد هذا التضرع الوديع الصادر من تذلل القلب يشفعهُ بالتماسهِ من الله نعمة التأهل لتقدمة القرابين . فيقول (خامسًا) * واجعلنا كفوءًا ان نقدم لك قرابين وذبائح روحية من اجل خطايانا وجهالات الشعب* وبهذا القول يعترف الكاهن بعظمة الله و بخضوعهِ لهُ . على ان الخطايا من شانها ان تخضع

الانسان لله بحجة جديدة لا لخضوع المجبول لجابلهِ فقط بل لخضوع المذنب لحاكمهِ ايضاً . ولما كانت هذه التقدمة الصائرة وقتئذٍ ليست هي التقدمة الحقيقية الغائية التي تتم بعد التقديس بل هي بالحري استعداد لتلك التقدمة الاخرى التي هي افضل شرفاً لم يقل هنا على الاطلاق : نقدم . بل يقال : اجعلنا كفوءًا لان نقدم . والقديس باسيليوس يقول في خدمتهِ اقبلنا لكي نصير مستحقين ان نقدم لك الذبيحة النطقية والغير الدموية . ولا ريب انها لا تدعى نطقية الاّ بعد التقديس حين يقدمها الكاهن بالقول والفعل معاً . كما سنقرر ذلك في محلهِ . وانما دعا الذهبيُّ فمهُ هنا الذبائح والقرابين روحية مع انهُ يراد بها ذبيحة الافخارستيا . فذلك تمييزًا لها عن الذبائح الدموية . على انهُ وان كان اسم الذبيحة يطلق على الصلوات وعلى كل عمل صالح وبهذا المعنى قال المرتل « ان الذبيحة لله روح منسحق » (المزمور ٥٠: ١٩) الاّ ان ذلك بالفساحة اي حسب معنى الذبيحة العام . اما بحسب معنى الذبيحة على حصر الكلام فانما يطلق على القرابين المقدسة . اذ انهُ عليها وحدها تصدق شروط الذبيحة التي اوردها علماء اللاهوت . حسبما نقرر ذلك في الفصل الاخير من مقدمة هذا الكتاب . فمن هذا القبيل كانت هذه الذبيحة الحقيقية الحاوية جميع كمالات الذبيحة القديمة بوجهٍ شريفٍ جدًّا . كما قررنا في الفصل الثالث من هذا القسم . حيث اوضحنا انها هي ذبيحة المحرقة لاننا نقدم بها لله الآب كمحرقة المسيح كلهُ وذلك في التقديس والتناول ايضاً الذي بهِ يعدم المسيح حينئذٍ وجودهُ السري ويفنى بفناء الاعراض ويتلاشى على نوعٍ ما . وهي ذبيحة السلام . لاننا بها نطلب من الله السلام اي سائر الخيرات والنعم ونستميحها منهُ ونؤدّي لهُ شكرًا على حسناتهِ المقبولة . اخيرًا هي الذبيحة المرضية الوفائية التي نقرب عن الخطية . لانها تستمد لنا من الله غفران الخطايا العرضية . وترك العقوبات المترتبة على الخطايا المميتة المغفورة . بل تستميح لنا غفران المميتة ايضاً لكن بواسطةٍ لانها تستمد من الله النعمة السابقة والانسحاق التام الذي يمحوها كما علم المجمع التريدنتي في الفصل الثاني من الجلسة الثانية والعشرين . والى ذلك يشير قول الكاهن في صلوة التقدمة : نقرب لك ذبائح وقرابين من اجل خطايانا وجهالات الشعب* (سادساً) واخيرًا يتضرع الكاهن فيما بقي من صلوة التقدمة الى اخرها و يطلب منهُ تعالى (اولاً) ان يجعلنا مستحقين لان نجد نعمة امامهُ بواسطة الذبيحة . وهذه هي غاية الذبيحة الثالثة المنيلة (ثانياً) يتضرع لتكون ذبيحتنا مقبولة لديهِ بحسبما هي مقدمة منا لا بحسبما هي في ذاتها . لانها نظرًا الى الحيثية الثانية تتضمن الابن الوحيد المحبوب منهُ في

غاية المحبة . فكيف لا نقبل منهُ بحسب ذلك . وعلى هذا النحو يجب ان تفهم مثل هذه العبارات الموردة في غير ذلك من الخدم (ثالثًا) يطلب ان يفيض على القرابين المقدمة وعلى جميع الشعب نعم الروح الكلي قدسهُ وهذه الابتهالات هي من السوابق التي يستعملها الكاهن استعدادًا لهُ وللشعب قبل التقديس

فيجب اذًا على الكاهن عند تقدمة ذبيحة القداس وممارسة هذا العمل الذي هو اعظم افعال الديانة والتقوى ان يلاحظ ما قررناهُ ما تتضمنهُ صلوة التقدمة المذكورة و بالتالي يجب ان يضع تجاه اعين عقلهِ الباريَ تعالى متاملاً عزتهُ الفائقة على كل عظمة وكل ادراك مخلوق وليخضع لها ذاتهُ بالكلية و يلاشيها . و يتلو مثل هذه الصلوات بتأنٍ واصغاء وذوق روحي لا كعابر سبيل او كمن لهُ غرض يروم ان يقضيهُ ويبلغ غايتهُ كيفما اتفق . آه ما اكثر الكهنة الذين سوف يحاسبون في محكمة العدل الالهي لاجل ممارستهم مثل هذا الفعل العظيم الذي ترتعد منهُ الملئكة وتهابهُ بروح التلهوج والسرعة الخارجة عن الحدود الواجبة

❊خبر❊ اخبرونا عن احد الآباء الفضلاء انهُ حضر يومًا قداس كاهنٍ يباشر هذه الوظيفة بسرعة وتلهوج انسان مستصعب طول العمل . فلم يطق الاب الفاضل هذا الافتراء على العزة الالهية بل نهض بقلب متقد بنار غيرته لمجد الله ودنا باحترام عظيم من المذبح وشرع يقوّم شمعة موقدة كانت منحنية وفي غضون ذلك التفت الى الكاهن الماسك الجوهرة الالهية بغير احترام وخاطبهُ بصوت هادىء خارج من قلب ملتهب قائلاً لهُ : عاملهُ يا أخي باكرامٍ جزيل لانهُ حقًا ابن لابٍ وامٍ يستحقان الاكرام الكلي

وقد استفاد الكاهن من هذه النصيحة ✲ فان كان اذًا البشر العابدون لا يحتملون ذلك وهم ناظرون هيبتهُ تعالى في القداس باعين الايمان فقط فكيف يحتمل ذلك الملئكة الناظرون عزتهُ الالهية عيانًا . بل كيف يحتملون جسارة من يمارس هذا العمل العظيم الالهي اي القداس الذي يدعوهُ المجمع التريدنتي ذبيحة رهيبة بروح عادم العبادة كليًّا وكم تكون شدّة دينونتهِ ودقة حسابهِ

❊خبر❊ اخبرونا عن احد الكهنة انهُ بعد ما ارتسم كاهنًا قدس قداسًا واحدًا لاغير وتوفي . فسأَل عنهُ بعد موتهِ احد الاتقياء مستخبرًا : أَ قدّس بعد ارتسامهِ ام لا . لانهُ كان علم بارتسامهِ . ولم يعلم ان كان بعدئذ قد مارس القداس . وذلك لسرعة موتهِ عقيب الرسامة . فاخبروهُ انهُ قدّس مرةً واحدةً . فقال حينئذٍ بقلب متأَوّه فاذًا قد اصحب معهُ مادة تكفيهِ للمداينة والفحص عنهُ في المحكمة الالهية العادلة

الفصل العشرون

في التوسلات التي ترتل بعد التقدمة . وفي ما تقصده الكنيسة من المؤمنين بترتيل ❊ فليحب بعضنا بعضاً ❊

لما كان الوقت الانسب والاقرب لنيل مرغوباتنا الصالحة هو الوقت الذي تقدم فيهِ ذبيحة الابن الوحيد المحبوب من ابيهِ السماوي القائل بفمهِ العزيز كل ما تسألون الآب باسمي فانا افعلهُ (يوحنا ١٤: ١٣) كانت الكنيسة المقدسة تغتنم هذه الفرصة لتطلب من الله فيها طلباتٍ وافرة ضرورية . وهذا ما تشتمل عليهِ الطلبات المتلوَّة من الشماس او الكاهن بعد التقدمة المذكورة . وهذه تتضمن توسلات عديدة فكأَنها بدء لتكميل ما تقدم من الطلبات والتوسلات من الرب . ولذلك يبتدئ القول بها ❊ لنكمل طلباتنا للرب ❊ و بعد التضرع والطلب لاجل قبول القرابين منا وثبات البيت المقدس المقدمة فيهِ القرابين . ولاجل الداخلين اليهِ . لكن لا مطلقاً . بل الداخلين اليهِ بامانةٍ وورعٍ وخوفٍ وعبادةٍ . ناخذ بطلب نجاتنا من جميع الاحزان والرجز والشدائد اجمالاً . ثم نشفعهُ بطلب بعض خصائص مفصلاً وقبل الجميع نطلب ان يحفظنا الله و يصوننا بنعمتهِ لكي نكمل نهارنا جميعهُ مقدساً وسالماً بغير خطية اذ ان الخطية هي اعظم الشرور كلها . ثم نضرع ان نعطى ملاكاً مرشداً لانفسنا وحافظاً لاجسادنا . ونلتمس صفحاً لخطايانا . وصلاحاً مفيداً لانفسنا . وسلامةً لكل العالم . وهدوّاً في بقية حياتنا . لكي نجيزها بسلامةٍ واعترافٍ وتوبةٍ واما انتهاء حياتنا فنتضرع ان يكون مسيحياً . خالياً من كل نصبٍ . وحزنٍ وشدةٍ وان يكون بغير خزي . وعلى الخصوص نبتهل ان نعطي جواباً حسناً امام ذلك المنبر الرهيب . ملتمسين ذلك جميعهُ من الله لا لاجل برٍّ فعلناهُ . بل لاجل ذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم . واستحقاقات جميع القديسين . واخيراً نودع حياتنا كلها . و بعضنا بعضاً للمسيح الهنا . اما الشعب فيجاوب على كل طلبة من المذكورات قائلاً ❊ استجب يارب ❊ كانهُ يقول : اعطنا يارب ما نطلبهُ مستجيباً . والكاهن يقول ❊ لاجل رافات ابنك الوحيد الخ ❊

وان سئل ما معنى طلب الكنيسة هنا ملاك السلامة فانّا منذ بدء حياتنا قد خُصِّص

كل منا بملاك بحرسهُ حسبما استنتجت ذلك علماء بيعة الله من هذا النص الانجيلي المقدس «احذروا ان تحتقروا احد هؤلاء الصغار فاني اقول لكم ان ملئكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه ابي الذي في السماوات» (متى ١٨ : ١٠)

نجيب : ان معنى الطلب هنا لا التماس ملاك حافظ بل ان يكون ملاك السلامة فاعلاً فينا ما يخصهُ وحافظًا ومرشدًا ايانا الى الطريق المستقيم والمنهج القويم . وهذا واضح من نفس الفاظ الطلبة عينها . اما الذهبي فمهُ فقد اورد معنى اخر لهذه الطلبة في مقالتهِ الثامنة من تفسيرهِ رسالة كولوصايص قال «اننا نتوسل طالبين ملاك السلامة . لانهُ يجب ان نطلب السلامة في جميع الاحوال . اذ لا يوجد بالكلية شيء يساويها»

ولذلك تقول الكنيسة للحين ❊ ابريني باسي ❊ اي السلام لجميعكم . واما الشعب فيجيبهُ قائلاً ❊ ومع روحك ❊ و بهذا الفعل يجدد الكاهن والشعب رباط المحبة المشتركة و يوثقانهِ . لكون الكاهن عتيدًا ان يطلب من اجل نفسهِ ومن اجل المؤمنين البركات السماوية . والحال ان الله عزَّ وجل يسد اذنهُ و يحوّل نظرهُ عمن صيرتهُ البغضة ان يحول نظرهُ عن شخص ما فمن ثم يجب على الكاهن والشعب المسيحي ان يقدما هذا السلام بروح المحبة نحو القريب . بقلبٍ يبتغي كل خير للكل . وقد سمى القديس ديونيسيوس هذا السلام سلامًا سماويًا جزيل القداسة . واما القديس جرمانوس فلقبهُ بزمام السلام . وهذا السلام يدل على التقبيل كما قال بلصامون . وهو قديم ومحرر ايضًا في خدمة القديس اكليمنضوس . وذكر القديس ديونيسيوس في الراس الثالث من كتابهِ في الرئاسة الكنسية قائلاً : في حين اقتراب رفع الغطاء عن خبز البركة وكاسها لتعط القبلة الالهية . ولذلك يسمي القديس يعقوب اخو الرب هذا التقبيل مقدسًا . ومن هذا القبيل يشفع الكاهن في الحال كلامهُ السابق بهتافهِ ❊ فليحب بعضنا بعضًا لكي نعترف بنية واحدة ❊

و بهذا القول يحث الكاهن الجميع على اتفاق بعضهم مع بعض واتحادهم برباط الحب وعلى الاعتراف بايمانٍ واحدٍ . ولاحظ هنا كيف يتقدم الحث بالحب والاتحاد لاجل الاعتراف بالايمان . فقد قال الرسول الالهي ولو كان لي الايمان كلهُ حتى انقل الجبال . ولم تكن في المحبة فلست بشيء (اكورنثوس ١٣ : ٢) لان الايمان بدون المحبة باطل والصلوة سدي . والشكر عبث . وقد ذهب القديس جرمانوس الى ان هذا القول يدل على محبتنا للجميع ولذواتنا ايضًا . وعلى الاتحاد الصائر مع الله وجميع الحواس واظهار الامور العقلية وتناول اسرار الله الجديدة . وقانون الايمان المقدس

تنبيه * اعلم ان العادة قد جرت قديمًا انهُ في حين ترتيل هذا القول يقبل الجميع بعضهم بعضًا . فالاسقف يصافح الكنيسة قائلاً نعمة الله مع جميعكم . والاكليروس يقبل الاسقف . واما الشعب فيبتدئون بتقبيل بعضهم بعضًا فالرجال كانوا يصافحون الرجال والنساء النساء وقد استمرت هذه العادة سنين كثيرة في الكنيسة كما هو مذكور في مجمع اللاذقية . وقد اخبر كوروبالاتيس المؤرخ : ان الملوك المؤمنين كان من عادتهم انهم حينما كانت الكنيسة تهتف قائلة ❊ فليحب بعضنا بعضًا ❊ كانوا يدعون الذين تحت طاعتهم الى تقبيلهم . فكان الملك يجلس على سدةٍ . والدمنيكوس الكبير حاملاً سيفًا . والاكابر يدخلون واحدًا فواحدًا حتى اخرهم فيقبلون رجل الملك ثم يمينهُ ثم يصافحونهُ وينصرفون

اما الان فقد بطل هذا الطقس لاسباب واجبة . ولم يعد يصير الا فيما بين الاكليريكيين اي فيما بين رؤساء الكهنة والكهنة وسائر الشركاء في الخدمة . ويصافح رئيس الكهنة شركاءهُ في الخدمة لاجل التواضع طالبًا في مثل هذه الساعة الرهيبة الصلوة من الجميع محنيًا ذاتهُ مرتعدًا من هذا الامر الخطير مرتاعًا في نفسهِ متذللاً مكملاً الامر الرسولي القائل ❊ اعترفوا بعضكم لبعض بزلاَّتكم وصلوا بعضكم لاجل بعض ❊ ومن ثم يقول لمصافحهِ ❊ اوخريستوس ان ميسو ايمون ❊ اي المسيح فيما بيننا . فيجيبهُ مساهموهُ في الخدمة قائلين ❊ هو كائن و يكون لان الله محبة هو ❊ وقولنا طقس التقبيل قد بطل الان اشارةً الى التقبيل الذي كان يصير في حين القداس الشريف عند ترتيل ذلك القول لا التقبيل الصائر لظفر قيامة المصلوب . لان هذا لم يزل مستمرًّا في الكنيسة الى زماننا هذا . وحتى الان تعيد الكنيسة بفرح وحبور لمصافحة ❊ خريستوس انيستي الفائقة ❊

الفصل الحادي والعشرون

في ايراد الاعتراف بالايمان وايضاح ما يدل عليهِ رفع الستر فوق الموضوعات حين قراءة قانون الايمان

انهُ لما كان رباط المحبة يتبعهُ الاقرار بالايمان لاق اننا بعد هذا الارتباط والاتحاد المقدس الذي اظهرناهُ بالطقس المحرَّر في الفصل السابق باشارة الاقوال والافعال نشفعهُ باقرار الايمان كانهُ غايتهُ . والنتيجة الصادرة عنهُ . ومن ثمَّ يصوّت الشماس حينئذٍ قائلاً

☼الابواب الابواب بحكمة فلننصت☼ وبهذا القول تحرض الكنيسة الشعب لكي يصغوا بصمت وسكون لقراءة قانون الايمان من ابواب الهيكل الى ابواب الكنيسة . و يقفوا بخوف وخشوع مقربين بايمانٍ واحدٍ ولهذا يتبع القول حالاً ☼فلنقف حسنًا الخ☼ لكي يتشبهوا كالملئكة السماويين في دوام التسبحة والتقديس لئلا يسقطوا كالملئكة المرذولين* فينتج اذًا انهُ وان تبين ان هذا الامر بالصمت هو لتنبيه الشعب كلهِ الذي في الكنيسة من الابواب المقدسة الداخلة حتى الخارجة بالسكون والهدو وازالة الجلبة الواجبة الصادرة من قبلة السلام فان الكنيسة تقصد بهِ مع ذلك ارتفاع حواسنا الباطنة والظاهرة المشار اليها بالابواب الى علو الحكمة الالهية المتضمنة في قانون الايمان فكانها اذًا تقول : اننا اذ قد اتحدنا وارتبطنا بالحب المقدس لنرفعنَّ افكارنا وضمائرنا الى الحكمة الالهية . ولنصغِ سمعًا الى حكمة قانون الايمان مصغين اليهِ بصمتٍ وسكونٍ جميعًا من الابواب الى الابواب * وقال احد الشارحين هنا : ان البيعة تأمرنا بقولها هذا ان نرفع بهذه الحكمة كل الابواب ثم تقول : افتحوا افواهكم بها . اي بهذه الحكمة التي هي قاعدة الايمان ودستوره المقدس المعروفة بالاجزاء الاثني عشر التي تركب جسد الايمان المقدس الارثوذكسي وهي ☼نؤمن باللهِ واحد اب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يرى وما لا يرى . الخ☼

وقد اعتاد الكاهن في حين تلاوة هذا القانون المقدس ان يرفع الغطاء عن القدسات و يرفرف بهِ فوقها . واما على ماذا تدل هذه الرفرفة فنقول :

لقد ذهب في ذلك مفسرو الرتبة المقدسة مذاهب مختلفة واوردوا لهُ اسبابًا سرية كثيرة . فذهب قوم (اولاً) الى ان رفع الستر يدل على سمو معتقدات الايمان المستقيم التي تتلى في هذا القانون الالهي . و بحركة الكهنة بخوف وورع مشيرين بذلك الى انهُ من الواجب ان نسمعهُ بخوف ورعب . ونقبلهُ بكل وقار وتكريم . وطاعة . وخضوع . ولهذا يحني رئيس الكهنة رأسهُ تحت الستر وقت الرفرفة بهِ اظهارًا لطاعتهِ وخضوعهِ للمعتقدات السامية المتضمنة بهذا القانون الجليل . ولذلك يتقدم القول بعد انتهائهِ ☼ فلنقف حسنًا الخ☼ (ثانيًا) ذهب القديس جرمانوس : ان رفع الستر في هذه الساعة وكشف القرابين رسم ذلك الحجر الذي دُحرج عن باب القبر لانهُ يقال : ان ملاكًا لابسًا بياضًا تقدم فدحرج الحجر بيدهِ عن باب القبر . امَّا تحريك الستر فوق القرابين المكرمة فيدل على الزلزلة العظيمة التي صارت لما انحدر ملك الرب من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر (ثالثًا) قال اخرون : ان ارتفاع الغطاء وتحريكهُ رمز على ارتفاع الخطية الاصلية

التي كانت كحاجز عظيم بيننا و بين الهنا . فلما جاء السيد المسيح رفع عنا هذا الحاجز المتوسط بيننا و بين ابيهِ وزعزعهُ بقوة اقتدارهِ . وللمجاهرة تلك الساعة بالايمان عند تلاوتهِ قانون المجمع النيقاوي . وعند الوصول الى قولهِ * وصعد الى السماء * برفع الغطاء و يطويهِ و يضعهُ جانبًا اشارة الى ان السيد المسيح هدم سياج العداوة بقوة سلطانهِ وقام غالبًا وصعد الى ابيهِ ظافرًا واستحق لنا الرتبة الاولى بجراحاتهِ * رابعًا * قال اخرون : ان الستر يسمى بتسمية خصوصية * أإير * اي هواء كما قررنا في الفصل السادس من المقدمة . فتحريكهُ اذًا في هذا الوقت في الهواء يدل على سقوط الارواح النجسة الذين سقطوا من كراسيهم كالبرق لاجل محبتهم الذاتية العادمة القياس . ولانهُ قد نهض في حال هذا الاضطراب ميخائيل رئيس الاجناد وزجر اركون الشياطين المدعو قبلاً كوكب الصبح وهتف نحو بقية الاجناد بالصمت والرضوخ لرسم الله والوقوف امامهُ حسنًا فللحين بطل بغتة ذلك الاضطراب واستكنت الطغمات السماوية واستحقت في تلك اللحظة الواحدة السعادة الالهية . فلذلك يتبع قانون الايمان هذا القول : * فلنقف حسنًا الخ * (خامسًا) ذهبت طائفة الى ان هذا التحريك اي تحريك الستر الذي يصير حين قراءة قانون الايمان المقدس يشير لا الى عصيان كوكب الصبح وسقوطهِ فقط بل يشير ايضًا الى كبج رؤساء الاراسيس والبدع الذين لانهم لم يقبلوا معتقدات الايمان الانجيلي القديم الراي سقطوا بعصيانهم مع جميع الذين اقتدوا بهم في وهدة جهنم المخلدة المعدة للوسيفوروس . اي كوكب الصبح * اما المستقيمو الراي فانهم اذ ربطوا عقولهم والبابهم بطاعة اقسام قانون الايمان القويم قائلين مع ميخائيل رئيس الاجناد * فلنقف حسنًا ولنقف بخوف * وسلام نائين عن الانشقاقات . مباينين العصيان . فلذلك يسمعون للحين عربون السعادة العتيدة الدائمة البقاء بفم الكاهن الهاتف « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الاب وشركة الروح القدس فلتكن مع جميعكم » (اكورنثوس ١٣ : ١٣) فهنا نشاهد النعمة والمحبة والشركة تقدم بثبات الثابتين بالايمان . بواسطة الاب . والابن . والروح القدس كما قدمها الرسول لاهل كورنثوس

ولا شك في اننا اذا كنا موطدين انفسنا على قاعدة الايمان المستقيم نابذين عنا اراجيف ذوي البدع والانشقاقات ونازعين من قلوبنا كل ضغينة وحقد فسنحصل على عربون السعادة المقدمة من الرسول الهاتفة بها الكنيسة هنا والمانحتها لكل من كان هكذا . و بهذا الاطمئنان نستطيع ان نقدم وقتئذٍ بسلام ذبيحة السلام حسبما تنادي نحونا

الكنيسة قائلة ※فلنقف حسناً ولنقف بخوف فلنصغ لنتقدم بسلام القربان المقدس ※ اذ كان هذا السلام ضرورياً لنا في كل حين ولا سيما في هذا الوقت . ولهذا ترى الكاهن في كل ساعة يحث الشعب على السلام كقول الذهبي فمهُ في مقالتهِ الثالثة من تفسيرهِ رسالة كولوصايص «ان المتقدم حين يدخل الكنيسة يقول : السلام لجميعكم . وحين يبارك يقول : السلام لجميعكم وحين يصير التقبيل يقول هذا القول نفسهُ . وفي الزياحات والمخاطبات ينادي بهذا السلام قائلاً : السلام لجميعكم مرةً ومرتين وثلاثاً واكثر» * والسيد لهُ المجد لم يكن يبدو من فمهِ المقدس اكثر من قولهِ السلام لكم (يوحنا ٣٠ : ١٩ و٢١ و٢٦) قائلاً «السلام أستودعكم وسلامي أُعطيكم» (يوحنا ١٤ : ٢٧) واذ دخل على تلاميذهِ في العلية الصهيونية بعد قيامتهِ كرر عليهم هذا السلام . فهكذا كنيسةالمقدسة بما انها قد تسلمت هذا منهُ لا تزال تحثُّ بنيها على هذا السلام اقتداءً بعروسها . وتكررهُ مراتٍ كثيرة كما قلنا . وترغب ان يكون فينا حين نقريب القربان على الخصوص حتى نقربهُ كقربان اخر مع القربان . وفي هذا قال ايسيدروس الفرمي في كتابهِ الاول من رسائلهِ : انهُ لا يجب ان يصير القربان المقدس فقط بسلامٍ بل يجب ان نقرب السلام عينهُ ايضاً كذبيحة وقربان اخر فان الرحمة والسلامة هما ذبيحة التسبيح . ومن ثم عند قول الكاهن ※لنتقدم بسلام هذا القربان المقدس※ يجيبهُ الشعب مرتلاً ※رحمة السلام ذبيحة التسبيح※ لانهُ قيل فلنتقدم رحمة لا ذبيحة . والرحمة هي ابنة السلام الحقيقية النقية . وهنا يأخذ الشماس او الكاهن المروحة ويحركها فوق الموضوعات . دالاً بذلك انهُ قرب الوقت الذي فيهِ تستحيل الذبيحة بالكلام الالهي والملئكة تاخذ ترفرف حول المذبح لكي يرتلوا مع الكاهن ※ قدوس الخ ※ ثمَّ يقول ※ فلنرفع قلوبنا فوقاً ※ فيجاوبهُ الشعب ※ ها هي عند الرب ※ كما سيأتي في الفصل التالي

الفصل الثاني والعشرون

في حث الكاهن الشعب على ارتفاع قلوبهم الى فوق وتقديم الشكر للرب

من اللائق والواجب انهُ حيث يكون الكنز يجب ان يكون القلب حسب قولهِ تعالى

«حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك»(متى ٦ : ٢١) والحال ان كنزنا هو المسيح الجالس فوق من عن يمين الاب فيليق بنا بل يجب علينا ان نرفع قلوبنا الى فوق حيث كنزنا موجود. وهذا هو الشيء الذي تحرضنا عليه الكنيسة بقولها ※ فلنرفع قلوبنا فوق ※قال القديس جرمانوس في تفسيره هذا القول : ان الكاهن يصعد الجميع الى اورشليم العلوية التي كانت ارجلنا واقفةً فيها اي في ديارك يا اورشليم قبل السقوط. فكأنَّ الكاهن اذاً يقول انظروا فلنرفع قلوبنا الى فوق . اي لنرفع قلوبنا وحواسنا وافكارنا والبابنا من الارضيات الى الملك العالي ونعمل حسب مرضاته. اما الشعب فيجيبهُ ※ ها اننا واضعوها نحو الرب او ها هي عند الرب ※ اي ها هوذا قد رفعنا قلوبنا الى فوق حيث كنزنا السماوي. وهو المسيح الجالس من عن يمين الاب لنتامل ما فوق لا ما على الارض. وحقًا انهُ ليجب علينا في تلك الساعة الرهيبة ان نرفع قلوبنا نحو الله مجردة من الارضيات وجميع السفليات ونرتقي بها نحو العلويات. فالكاهن كما يقول القديس كيرللس الاورشليمي يامرنا في تلك الساعة بسلطانٍ ان نغادر جميع المهمات الدنيوية والتعلقات الارضية . ونجعل قلوبنا في السماء نحو المحب البشر. ونظيرهُ يقول القديس كبريانوس : لهذا السبب يحرض الكاهن المؤمنين الحاضرين ان يرفعوا قلوبهم وعقولهم من الارضيات موجهين كل افكارهم وعواطفهم الى الله . وذلك حين يهتف نحوهم في القداس قائلاً ※ فلنرفع قلوبنا فوق فلنشكر الرب ※ اما هم فيجيبونهُ قائلين ※ ها اننا واضعوها نحو الرب ※ فاذا كنتم يا ايها الاخوة مذعنين لما تقرون بهِ فاحذروا الاَّ يقول احد منكم اننا واضعوها او ها هي عند الرب بالفم فقط ويكون متعرقلاً في ضميرهِ بالمهمات العالمية بل فليكن ما نقولهُ حقًا حسب نصيحة القديس نيلس القائل : ادخلوا الى الكنيسة كدخولكم الى الفردوس السماوي . لا تتكلموا هناك عن اشياء ارضية بل لا تفتكروا فيها ايضًا فلنرفع كما يحث الكاهن قلوبنا وعقولنا فوقًا . ولنشكر الرب

فالكاهن اذاً يحث هنا المؤمنين على امرين (احدهما) ان يرفعوا عقولهم وقلوبهم الى العلا (ثانيهما) ان يسدوا الشكر للمحسن العظيم المانح الصالحات للجميع مضارعًا بذلك يسوع المسيح الكاهن الاعظم بل اول الكهنة وسيدهم الذي شكر الله الاب قبل ان يوزع سر الشركة فمن ثم ماثلهُ الكاهن هنا . اي يسدي هذا الشكر نحو الله ابي ربنا يسوع المسيح قبل التقديس . وذلك بتلاوة هذا الافشين السري قائلاً ※ استحقاق وعدل هو ان نسبحك ونباركك ونمدحك ونشكرك ونسجد لك في كل موضع سيادتك الخ ※

هذا وليس الكاهن بالذي يشكر الله حينئذٍ فقط و يؤدي لهُ العبادة . بل الشعب ايضًا كما يشرح الذهبي فمهُ . وذلك لانهُ عندما يعلن الكاهن * فلنشكر الرب * بجيبهُ الشعب مرتلاً هكذا * استحقاقٌ وعدلٌ ان نسجد للاب والابن والروح القدس الثالوث المتساوي في الجوهر الغير المنقسم * وكأنّ الشعب يقول : انهُ لواجب بل غاية في الاستحقاق والوجوب ان نقدم الشكر والسجود للآب والابن وروح القدس . لان ذلك مما يجب علينا ضرورةً للثالوث المتساوي الجوهر الغادم كل انقسامٍ وانفصال غير ان الكاهن ينطق اولاً بهذا الصوت اي صوت الشكر و يرتبهُ قبل الشعب بافشينهِ السري المقدم تحريرهُ قائلاً : ان صيرورة ذلك واجبة ومحقة وحينئذٍ يبتدئ با لشكر لله على حسناتهِ الغزيرة مخاطبًا اياهُ سرًّا وحدهُ حسبما يقول القديس جرمانوس وكيرللس الاورشليمي ومن ثم يشكرهُ تعالى (اولاً) لاجل نعمة الوجود التي منَّ علينا بها . اذ اخرجنا من شقاء العدم (ثانيًا) يشكرهُ لاجل نعمة فدائهِ لنا بما انهُ اقامنا من سقطتنا ولم يرفضنا با لكلية . كما كانت تستحق ذلك خطيئتنا (ثالثًا) يشكرهُ لاجل اعادتهِ لنا ما كنا خسرناهُ من حق التملك بالسماء بسبب خطيئتنا . وتخويلهِ ايانا هذا الحق على ملكهِ العتيد الذي اصعدنا اليهِ حقًا و بالفعل بصعود طبيعتنا الذي تمَّ وكمل بصعودهِ قديسيه (رابعًا) يقدم لهُ الشكر بوجه العموم لمنحهِ ايانا مثل هذه النعم ولما خولناهُ من الآلاء السنية والهبات الوافرة التي علمناها والتي لم نعلمها . والتي ظهرت لنا وعرفناها . والتي لم تظهر ولم نعرفها نحن بل يعرفها هو وحدهُ (خامسًا) يشكرهُ من اجل الخدمة الجايلة المشتملة على الذبيحة السرية . وعلى ذبيحة التسبيح ايضًا وقد أهلنا لان يقبلها من ايدينا مع ان لهُ ملئكةً كثيرين يقدمونها لعزتهِ ولاسيما ذبيحة التسبيح المقدمة لهُ من الملئكة وروٌساء الملائكة والشاروبيم والسارافيم وذوي الستة الاجنحة الكثيري الاعين الذين كما قال القديس باسيليوس في افشينهِ يسبحونهُ على الدوام و يصرخ الواحد للاخر بافواه عادمة السكون . باقوال التماجيد من غير صمت * فكانَّ الكاهن اذاً يخاطب الله بالشكر قائلاً لك نشكر لاجل هذه الحسنات الصائرة لنا منك . ونشكرك على الخصوص لاجل قبولك منا ذبيحة التسبيح وارتضائك بهِ من افواهنا . مع انهُ يقدم لك من ملئكتك الكثيري العدد الوقوف امامك

فهذا ما يتضمنهُ هذا الافشين من الشكر على الحسنات . ولانهُ من الواجب كما قلنا تقديم الشكر لله على هذه الحسنات الغزيرة تسمع الشعب ظاهرًا والكاهن سرًا يوجبون

تقدمة قائلين «استحقاق وعدل» فكانهم يقولون كما يشير القديس جرمانوس : بالحقيقة يلزمنا ويجب علينا ضرورةً ان نشكر لأنّا مع عدم استحقاقنا دعانا الى مثل هذه النعمة وكنا اعداء فصالحنا واهلنا لروح البنوة . لانهُ منَّ علينا واهلنا إلى مثل هذه الخيرات الفائقة الجزيلة . ولعمري انهُ تعالى ولو لم يمنّ علينا بهذه الخيرات والحسنات . يستحق كل تسبيح وتمجيد لاجل ذاتهِ القدوسة . فالقديس اكليمنضوس وضع هنا في خدمتهِ افشينًا مقدسًا خشوعيًّا جدًّا كانهُ صادر من فيض عظائمِ الله ومفعماً من التكلم با للاهوت يوجّهِ بهِ التسبيح لله لاجل ذاتهِ القدوسة وهو:

افشين * بواجب الاستحقاق والعدل نسبحك ايها الاله الحقيقي الذي هو قبل البرايا وبك تدعى جميع قبائل السماء والارض . انت الغير المولود وحدك الازلي الذي لا يساد عليهِ . الفائق كل اتلاد . الذي لم يزل غير مستحيل وغير متغير باقيًا كما هو . الذي منهُ الكل بما انهُ اخرجهم من العدم الى الوجود . انت هو العقل الذي لا بدء لهُ . النظر الدائم البقاء السماع الغير المولود . الحكمة المنزهة عن التعليم . الاول با لطبع . الكاهن وحدهُ . الفائق على الاعداء كلهم المخرج الاشياء كلها الى الوجود مما لم يكن موجودًا بواسطة ابنك الوحيد الجنس الذي ولدتهُ قبل كل الدهور بارادتك وقوتك وصلاحك من غير وسيط ابنًا وحيد الجنس . كلمة الله . حيوة حية . بكر كل الخليقة . رسول رايك العظيم . رئيس كهنتك الاعظم . وملك الطبيعة كلها العقلية والحسية وربها . الذي منهُ الابتداء وبهِ صارت كل الاشياء الخ

الفصل الثاني والعشرون

في حث الكاهن الشعب على ارتفاع قلوبهم الى فوق وتقديم الشكر للرب

اعلم ان الكنيسة المقدسة تستعمل اربعة تسابيح خصوصية في هذه الضحية الرهيبة (اولها) التسبيح الملائكي (ثانيها) التقديس المثلث (ثالثها) الشاروبيكون (رابعها) ترتيل التسبيح على الظفر . فهذه جملة التسابيح الخصوصية التي تتلوها الكنيسة في التقدمة . وانما خصَّ كلٌّ منها باسم خاص مع جواز اطلاق تسمية كلٍّ منها على

الآخر . لان التسبحة الملائكية خاصةً هي التي سمعها وسبحها الرعاة في ميلاد المسيح بالجسد لما شاهدوا كثرةً من الاجناد السماويين يسبحون لله ويقولون « المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة » (لوقا ٢ : ١٤) اوكما قرئ في النسخة اللاتينية « والسلام للناس ذوي الارادة الصالحة » وهذا التسبيح يقال امام المائدة قبيل الشروع في القداس من الكاهن والشماس سرًّا بما اننا تقلدنا انهُ سمع في محارس الليل كما ذكرلوقا ويقال امام المائدة المقدسة اشارة الى ان المسيح ينحدر حقًا من السماء على المذبح وانهُ تعالى يمجَّد بذبيحة القداس تمجيدًا لا يمكن ان يوجد اعظم منهُ وان المؤمنين المتصفين بارادة صالحة يجدون في هذه الذبيحة ينبوع جميع البركات . وتفاض في قلوبهم بواسطتها كل التعازي والمسرات * وقال آخرون ان هذه الالفاظ تقال شكرًا وتمجيدًا لله على احسان التجسد العظيم . ويستعمل الغربيون ايضًا هذا التسبيح في قداسهم * اما التسبيح المثلث التقديس فهو « قدوس الله الخ » وقد اعتاد الغربيون ان يرتلوهُ باليونانية في يوم الجمعة العظيمة المقدسة . كما يرتلهُ الشرقيون دائمًا لاجل احترام اللغة التي سمع بها في العلا وقد اوضحنا في الفصل الحادي عشر من هذا القسم ما يدل عليهِ هذا التسبيح* اما التسبيح الشاروبيمي فهوالذي يرتل وقت الايصودن الكبير. واما ما يشار اليهِ بهذا التسبيح فقد اوضحناهُ في الفصل ١٧ من هذا القسم *اما التسبيح على الظفرفهو الذي يرتل حينئذٍ اي قرب الشروع بالتقديس . ويدعى هكذا بما انهُ فيهِ يمجد الاله العظيم ربُّ الصاباوت اي رب الجنود وهو عينهُ الذي سمعهُ اشعيا النبي مرتلاً بافواه القوات العلوية بخوفٍ ورعدةٍ امام العرش الالهي اذ كانوا يهتفون قائلين « قدوس قدوس قدوس ربُّ الصاباوت السماء والارض مملوَّتان من مجدك» (اشعيا ٦ : ٣)واما الكنيسة فقد اضافت الى هذا التسبيح تسبحة الفتيان العبرانيين الذين قدموها بالسعف للكلمة المتجسد وهي « اوصنًا في العلا مبارك الاتي باسم الرب اوصنًا في العلا » والاشارة بهذا الاقتران الى انهُ بواسطة السيد المسيح صار الملئكة والبشر كنيسة واحدة . واورد التسالونيكي سببًا اخر قال:ان الشعب يهتف بهذا التسبيح مشيرًا الى انهُسيكون في الدهر الاتي تسبحننا مع الملئكة سويةً ونتحد معهم*اما (اوصنا) فهي كلمة عبرانية (بلفظٍ يوناني)مركبة من لفظتين:هُوْشَع ونا . اما هُوْشع فمعناها خلص واعتق واما نا فهي فعل من افعال المقاربة بمعنى عسى . فيكون المعنى هكذا : عسى ان الله يصنع لنا خلاصًا وعتقًا في علو السماوت في الملكوت مع الملئكة الطوباويين الذين عند سماعهم طلبتنا يجاوبوننا بفرحٍ قائلين هلمَّ هلمَّ باسم رب

الصاباوت السيد المولى وحدهُ والملك المبارك الاتي باسم الرب ولذلك نحن نكرر التوسل قائلين ايضًا اوصنا في العلا اي عسى ان يفعل الله هذا فيخلصنا و يمجدنا في العلاء اي في اعلى السماوات وهي سماء الملئكة المدعوة بسماء الاطلس . حيث نرى ونسمع الملئكة ذوي الوجوه الاربعة مع سائر المراتب والطغمات السماوية يقدمون للعزة الالهية تسبيحًا على الظفر مرتلين او مصوتين كما فسر جرمانوس وهاتفين وصارخين وقائلين * قال القديس جرمانوس ان هذه الكلمات تعاد مترادفةً مناسبةً لتلك الحيوانات المربعة الاشكال التي رآها حزقيال النبي و يوحنا الانجيلي وهي الانسان والاسد والثور والنسر . فالصوت للنسر والهتاف للثور والصراخ للاسد والقول للانسان

و بهذا يشار الى انواع تسابيح الملئكة المختلفة المقدمة له باصوات الحيوانات الاربعة المذكورة التي ظهرت للنبي والبشير بهذه الاشباه . فكانَّ الكنيسة تحرضنا بذلك قائلة يجب علينا في هذا الوقت عوض الشاروبيم ان نرتل التسابيح الروحية كالنسور . ونهتف كالثيران على ما صدر منا من الخطايا . ونصرخ كالاسد ضد شهواتنا البدنية . ونقول بنطق بشري نحو المحب البشر المتانس لاجلنا . ونسبحهُ قائلين : قدوس قدوس قدوس الخ وهذه تشير الى مراتب الملئكة الثلاث المرتلين على الدوام قدوس الخ

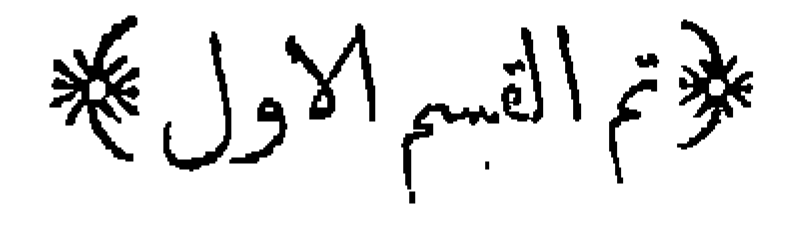
وان قيل لماذا الكاهن حين هتافهِ مرتلين تسبيحًا على الظفر الخ يرفع النجم عن الصينية . ثم لماذا ينقرها اربع نقرات شبه صليب و ينقر الكاس نقرة واحدة كما يستعمل بعض او ثلاث نقراتٍ كما يستعمل آخرون

فاجيب اولاً عن القسم الاول من السؤال مع القديس جرمانوس قائلاً : ان ذلك لمعنيين (اولها) لان النجم كان دليلاً ليسجد له تعالى كملكٍ ارضيٍّ وربٍّ سماويٍّ كما كان يسجد لملوك الفرس . فلما ايقن الكاهن ان الملئكة واقفون بحضرتهِ مرتلين هذه التسبحة اعترف هو بملكهِ وربوبيتهِ ولم يبقَ لدلالة النجم احتياج . فوجب والحالة هذه رفعهُ كما ارتفع وغاب ذلك النجم بعد ان دلَّ ملوك المشرق على يسوع . و يسجدوا له واعترفوا بهِ انهُ ملك ارضي وربٌّ سماوي لانهُ لم يبقَ لهُ بعد ذلك احتياج (ثانيهما) برفع الكاهن النجم مظهرًا بذلك كما قال المغبوط جرمانوس انهُ ينظر وجه الرب بوجهٍ مسفرٍ . و يشاهد مجد ابن الله بزيادة بغير حاجز . لا كما كان يعاينهُ موسى في قبة الشهادة حيث كان يكلمهُ الله من وراء الغمام

اجيب ثانيًا عن القسم الثاني من السؤال ان النقرات الاربع على الصينية رمز عن

الجراحات الاربعة المفتوحة من دق المسامير بايدي السيد المسيح ورجليهِ . والنقرة الواحدة على الكاس حسب استعمال البعض للدلالة على طعن جنبهِ بالحربة . وفيضان الينبوعين من ذلك الجنب الطاهر اي الدم الزكي والماء الحي. واما النقرات الثلاث حسب استعمال اخرين فمن المحتمل انها تصير تنبيهًا الى قرب تقديس السر وتثليثهِ دلالة على الرب المثلث الاقانيم على انهُ اذ يوجد اقنوم الكلمة بلاهوتهِ وناسوتهِ في السر الاقدس بقوة كلمات التقديس يوجد الاقنومان الآخران . غير ان الاقنوم الثاني يوجد في السر على الوجه الاول والمستقيم . اي لاجل اتحادهِ الاقنومي بالناسوت . اما الاقنومان الآخران فيوجدان من حيث طبيعتهما شيءٌ واحد مع طبيعة الكلمة . ومن حيث تدخُّل الاقانيم الالهية العجيب . كما قال القديس اوغسطينوس في شان هذا التدخل الغريب : ان كل اقنوم هو في الآخر وكل الاقانيم في افرادها . وكل واحد منها في كلها وكلهم في الكل وجميعهم واحد في الذات . فيتلخص من هذا القول كما قال كرنيليوس الحجري ان كل اقنوم الهي بمفردهِ هو في الاقنومين الآخرين لا بالذات الالهية فقط بل باقنومهِ الخصوصي ايضًا لان كل الاقانيم الالهية مرتبط احدها بالاخر ارتباطًا باطنًا . وقد وصل الى غايتهِ وستقف على زيادة تقرير في هذا المعنى في الفصل الثاني من القسم الثاني ان شاء الله

م



﴿تم القسم الاول﴾

القسم الثاني

يشتمل على ايضاح مدلولات الجزء الثاني من ذبيحة القداس الظاهرة

قد ذكرنا في ما سبق ان هذا القسم يبين لنا الاسرار المتوسطة من سيرة السيد المسيح وهي موتهُ وقيامتهُ وصعودهُ . لاننا نذكر موتهُ ونمثلهُ بتقديس الموضوعات وتحويلها الى جسدهِ ودمهِ بالكلمات الجوهرية التي بها يذبح ذبحًا سريًا . ثم قيامتهُ وصعوده بتقدمة الموضوعات المقدمة لله الاب عن كل شيء ومن جهة كل شيء . ولذلك قلنا انهُ يبتدئ بالتقديس نفسهِ . و ينتهي بتقدمة الذبيحة الاخيرة الغائية . و يشتمل على ستة فصول

الفصل الاول

في ايراد معنى تقديس السر الالهي

أنَّا ببلوغنا الى شرح القسم المختص بتقديس السر الالهي يحسن بنا ان نجعل افتتاح هذا الجزء الاعظم والاشرف في التقدمة الالهية بقول الذهبي الفم معلم المسكونة العظيم المحرر في ميمرهِ الذي ليوم الخميس الكبير على خيانة يهوذا . فنقول مع هذا العلاَّمة الالهي الجليل « الآن قد حضر الوقت الذي فيهِ يحضر المسيح . مزينًا هذه المائدة . لان الذي زين تلك هو ايضًا الآن يزين هذه اذ ليس الانسان الذي يعتني بان تصير الموضوعات جسد المسيح ودمهُ . بل المسيح نفسهُ الذي صلب لاجلنا . الكاهن يقف متممًا الشكل . و يقدم الطلبة لافظًا تلك الكلمات . اما النعمة والقوة التي هي لله فهي التي تفعل كل شيء . يقول (الكاهن المتمم شكل المسيح): ✻ هذا هو جسدي ✻ وهذه الكلمة تنقل القرابين الموضوعة وتحولها . وكما ان ذلك الصوت القائل : انميا واكثرا واملأا الارض قد قيل دفعةً واحدة . لكنهُ يفعل فعلهُ في كل حين . وهو قادر ان يقوي طبيعتنا للنسل والتوليد هكذا هذا الصوت ايضًا قد لفظ مرةً واحدة من ذلك الفم الالهي لكن قوة تلك الكلمة وسلطانها تفعل ذبيحةً كاملةً في جميع موائد الكنيسة الى يومنا هذا والى يوم مجيئهِ » ✻ ولهذا يجب على الكاهن خاصةً في هذا الوقت اي حينما ينتهي الى تقديس السر . ان يذكر ما

قالهُ القديس اغناطيوس . مخاطبًا الكهنة في رسالتهِ الرابعة «انكم خدام الله وفم المسيح» على انهُ كما لحظ حسنًا القديس امبر وسيوس في الفصل الرابع في الاسرار «انهُ في سائر ما يقال في الخدمة من التوسلات والطلبات يقدم الكاهن لله التسبيح . و يسبق فيصلي من اجل الشعب والملوك وغيرهم . واما حينما يبلغ الى صورة السر فلا يستعمل الكاهن اقوالهُ بل اقوال المسيح» * ومن ثم يكون كانهُ المسيح نفسهُ اذ يقول «هذا هو جسدي هذا هو دمي» وليفتكر الكاهن ايضًا . انه حينئذٍ يكون واقفًا فيما بين جمٍّ غفير من الملئكة كما يقول الذهبي فمهُ «في حين تقدمة الذبيحة الالهية تحدق الملئكة بالكاهن . وكل قوات السماء يرتلون هناك التسابيح السماوية . والمكان القريب من المذبح يكون ممتلئًا من الملئكة الذين يجتمعون لاكرام الذبيحة المقدسة (وقال في موضع اخر) انهُ يذبح حمل الله فيحضر السارافيم . محجبين وجوههم باجنحتهم . والملئكة جميعهم يضرعون مع الكاهن . وتنحدر من السماء النار الروحية . ويخرج الدم من جنب الخروف النقي ليوضع في الكأس . لتطهير انفسنا فمما سبق ينتج ان الملئكة الحاضرين حينئذٍ يراقبون حركات الكاهن الظاهرة والباطنة . و يكتبون ما يجدونهُ ناقصًا غير لائق بالشخص الالهي الذي ينوب عنهُ . فمن ثم يجب على الكاهن ان يحدق بنظرهِ وفكرهِ الى سيدنا يسوع المسيح والى الثالوث الناظر اليهِ *

فبعد هذا التنبيه هات نشرع في بيان معنى ذات التقديس الذي فيهِ يقدم الكاهن الذبيحة الالهية لا تقدمة لفظية فقط . بل تقدمة حقيقية ايضًا فنقول : لما كان الكاهن بهذا العمل السري المقدس يقصد ان يذكر موت المسيح وذبحهُ على الصليب و يشير اليهِ اشارة حقيقية كما نبهنا سابقًا كان يتم هذا العمل الفائق على هذا النحو اي انهُ بهذه التقدمة يذبح بسيف الكلمات الجوهرية ذبحًا غير دموي ذلك المسيح الذي قدم نفسهُ مرةً واحدةً على مذبح الصليب ذبيحةً دموية

وقولنا ذبحًا غير دموي لانهُ وان تم بذبح ما حقيقي . لكنهُ سري صوري غير دموي اي لا يتم بانفصال الدم من الجسد . لان الكاهن بهذا الذبح السري الصوري يضع على المذبح بمجرد معنى كلمات التقديس وحقيقتها جسد المسيح منفصلاً عن الدم . والدم منفصلاً عن الجسد على نحو ذبيحة حيوان حقيقية متميز جسدها من دمها . لان التقديس فعل من شأنهِ ان يصنع هذا الانفصال ولو لم يتم فعلاً لعدم امكان موت المسيح الآن . فمن ثم يكون لنا على المذبح صورة تظهر لنا على نوعٍ جلي ذبيحة المسيح الدموية التي كملت

على الصليب حيث انفصل دمهُ انفصالاً حقيقياً من جسدهِ والجسد من الدم بسفك حقيقي مؤلم

اما قولنا ان الكاهن يصنع بقوة الكلمات الربية الجسد منفصلاً من الدم الخ فينبغي ان نفهمهُ على قدر الامكان اي من حيث قوة التقديس الذي بهِ يذبح المسيح ذبحاً حقيقياً سريّاً بقوة الكلمات الجوهرية كما قررنا انفاً لا كانهما منفصلان حقاً . لان المتابعة الطبيعية تمنع ذلك اي لا تدع الدم والنفس يفترقان و ينفصلان من الجسد . بل تمنعهما وتصدهما عن الانفصال المذكور . ومن ثم اذا لاحظنا الاتحاد الكائن الان بين جسد المسيح ودمهِ فانهُ اينما وجد جسد المسيح وجد دمهُ ايضاً بضرورة تلك المتابعة و بالعكس اي اينما وجد دمهُ وجد جسدهُ ضرورةً لانهُ لا يمكن في السيد المسيح ان ينفصل الجسد من الدم ولا من النفس الناطقة . لان «المسيح المنبعث من الاموات لا يموت بعد» (رومية ٦ : ٩) ولا يمكن ان ينفصل الناسوت من اللاهوت كما يقول المعلمون اللاهوتيون . حيث ان الذي اتخذهُ الله واتحد بهِ مرةً لم ينفصل منهُ ولم يفارقهُ اصلاً كما قال القديس ديونيسيوس . ومن هذا التعليم الحقيقي يلزمنا ان نعتقد في هذا السر الالهي انهُ لا يوجد تحت اعراض الخبز والخمر جسد المسيح ودمهُ فقط . بل يوجد لمسيح كلهُ الهاً حقيقياً كما هو موجود في السماء ولذلك فان دم المسيح ونفسهُ المقدسة ولاهوتهُ تكون مع جسدهِ تحت اعراض الخبز . وكذلك جسدهُ ونفسهُ ولاهوتهُ تكون مع دمهِ تحت اعراض الخمر فاذاً ان الذي يتناول السر الاقدس تحت احد الشكلين يتناول المسيح كلهُ بلاهوتهِ وناسوتهِ بجسدهِ ودمهِ ونفسهِ . على انهُ يجب ان نعتبر هنا ان وجود هذه الاشياء تحت كل من الشكلين يكون بانواع مختلفة . كما نقرر ذلك في اخر الفصل التالي . لكن وان كان الدم موجوداً تحت اعراض الخبز . وكذلك الجسد موجوداً تحت اعراض الخمر . كما اعتقدت وعلمت علماء كنيسة الله . فانهُ كان يجب و يليق ان يكون تقديسان احدهما مختلف عن الاخر . لكي يكون هذا السر صورة لآلام الرب على وجه اكمل . من حيث ان دم المسيح بالامهِ انفصل من جسدهِ . بل كما يدل عليهِ كلام تقديس الكاس اذ يقال «وهذا هو دمي العهد الجديد الذي يهرَق عنكم وعن كثيرين»

فانتج اذاً مما تقدم ذكرهُ ان وضع الكاهن على المائدة الخبز منفصلاً عن الخمر وتقديس كل منهما على حدتهِ . هو رسم للدلالة على سفك دم المسيح على الصليب وعلى انفصال الدم من الجسد الذي حصل من ذلك السفك . ولهذا تقديس الكاس لا يكون الا بعد تقديس الجوهرة رسماً لانفصال جسد المسيح من دمهِ الذي تم على مذبح

الصليب . وأضف الى ذلك انهُ هكذا فعل المسيح في العشاء السري ليلة آلامهِ

الفصل الثاني

في ايراد الكلمات الصورية الجوهرية القائم فيها تقديس السر الالهي

ان السيد المسيح قد فعل ليلة آلامهِ في وقت العشاء السريّ حينما عزم على ترتيب هذا السر خمسة افعال متجهة الى هذا العمل الالهي على الخصوص الاول فعل « الاخذ » لانهُ تعالى اولاً اخذ خبزًا . الثاني فعل « الشكر » الذي بهِ شكر اباهُ السماوي . الثالث فعل « التبريك » الذي بهِ بارك الخبز . الرابع فعل « الكسر » اي تقسيم الخبز . الخامس فعل « الاعطاء » الذي بهِ اعطى تلاميذهُ الخبز

واعلم ان التقديس قد تم وكمل مع فعل الاعطاء . لانهُ فيما هو يعطيهم الخبز صيرهُ جسدهُ بقوة كلامهِ الالهي الفاعل . لانهُ في حال الاعطاء قال « خذوا فكلوا هذا هو جسدي » والحال ان هذه الالفاظ الفاظ مناول ومقدس معًا

وهذه الافعال جميعها متضمنة في الاقوال المحررة في اخر افشين التكميل . وهي هذه « في الليلة التي أُسلم فيها او بالحري اسلم ذاتهُ من اجل حيوة العالم . أخذ خبزًا بيديهِ المقدستين الطاهرتين اللتين لا عيب فيهما . فشكر . و بارك . وقدس . وكسر . واعطى تلاميذهُ الرسل القديسين قائلاً » والكاهن يعلن « خذوا فكلوا . هذا هو جسدي الخ »

تنبيه * اعلم ان هذه الاقوال يقولها الكاهن هنا بنوعين منها ما يقولهُ بطريق المقدمة قبل التقديس و بعرض الخبر . ومنها ما يقال بطريق الخبرية والفاعلية معًا . فالكلمات الي تقال بطريق الخبر والفاعلية معًا هي التي يعلن بها الكاهن اي « خذوا فكلوا الخ » * اما الكلمات المتقدمة على هذا القول التي يتلوها الكاهن سرًّا فتقال بطريق المقدمة و بعرض الخبر قبل التقديس . لان الكاهن يخبر بها كيف ومتى رسم ربنا هذا السر و باي نوع وطقس وطريقة قدمهُ لابيهِ . وكيف شكرهُ و باركهُ لاجل ذلك . وكيف كسرهُ واعطاهُ تلاميذهُ . فلهذا وان كانت الكلمات الاخيرة « خذوا فكلوا الخ » بنسبتها ونظامها مع ما قبلها تبين انها مقولة بطريق الخبر فانها تقال منفصلة وعلى الاطلاق كانها مقولة وحدها . وتتلى باعلان وورع وخشوع فتقال صوريًا و بطريق الفاعلية كما قيلت في ذلك العشاء

وها نحن ناخذ بايضاح ما تتضمنهُ هذه الاقوال من المعاني السامية فنقول : اما قول الكاهن هنا «انهُ في تلك الليلة التي اسلم فيها ذاتهُ من اجل حيوة العالم» (اكورنثوس ا . : ٣٢) فلا يخلو من سرّ عظيم مشار اليهِ بهذا القول المأخوذ عن الرسول الالهي . حيث يشار بهِ الى سمو الحب العظيم الذي اعلنهُ ابن الله لنا في تلك الليلة التي رتب فيها عمل هذا السر خاصةً . وللدلالة والتنبيه على ذلك اي على عظمة هذا الحب السامي الصادر من احشاء المراحم الالهية عيَّن الرسول الزمان بقولهِ : في تلك الليلة . فكانهُ يقول : انهُ في تلك الليلة التي كان فيها العالم يعتني في ان يسلم ابن الله للموت كان ابن الله الحبيب يعتني في ان يعطي العالم الحيوة . وحينما كان يُعدُّ لهُ قيودًا وسياطًا وصليبًا كان هو جلّ جودهُ قد اعدّ لهُ هذه المائدة الخلاصية . وحينما كان يفتكر بذبحهِ وصلبهِ كان هو قد رسم لهُ ذبيحة كافية للوفاء عن جميع الخطايا حتى خطية صلبهِ نفسها التي لا تعادلها خطية . فهذا ما يتضمنهُ هذا القول من الاسرار . ثم بعد ان يتلو الكاهن مخبرًا بهِ ومذيعًا بعظمة هذا الحب الجزيل محركًا بهِ مع ذلك قلبهُ يأخذ بتعديد الافعال الجمة التي مارسها السيد تلك الليلة بخصوص هذا السر فيقول

اولاً «اخذ خبزًا بيديه» فقولهُ اخذ خبزًا والخبز هو الطعام الضروري للحياة الطبيعية اشارةً الى مفعول هذه الذبيحة السري وهو تقوية انفسنا وصيانة حياتنا الروحية لنعلم من ثمَّ ان هذه الذبيحة هي ضرورية لنفوسنا ونافعة لها بمقدار ضرورة الخبز لاجسادنا ونفعهِ لها

يقول ثانيًا «فشكر» وهذا الشكر كان قبل التقديس كما اخبر القديسان لوقا وبولس . وذلك اذ رفع عينيهِ الى السماء كعادتهِ . وبهذا الشكر قصد تعالى ان يعلمنا كيف ينبغي لنا ان نكمل هذا السر الالهي باوفر الشكر والحمد والتبريك كما يقول الذهبي فمهُ . لانهُ لهذا سمي هذا السر افخاريستيا اي شكرًا لاننا بهِ نشكر الله على كل ما فعلهُ لاجلنا وما تفضل بهِ علينا من انعامهِ واحسانهِ العظيم ولا سيما هذا السر الالهي الذي هو النعمة الكبرى التي يجب ان نقبلها بغاية الشكر

يقول ثالثًا «وبارك» اي الخبز كما قال القديس متى والخمر كما ذكر الرسول بولس . فباركهما اذًا اي طلب لهما بركة الله القادر على كل شيء لتكون قادرة على تحويل الخبز والخمر الى جسدهِ ودمهِ في الاجيال الآتية كلما نطق الكاهن بالفاظ التقديس على ما يجب . وهذه البركة لم تكن عين التقديس . لكنها كانت صلوات متقدمة على التقديس . فمن ثم نطلب على مثال المسيح من الله ان يبارك هذه العطايا . وكذلك الشكر ايضًا

ليس هومن ذات التقديس . بل هو مع البركة صلوة متقدمة على التقديس شكر بها يسوع الله اباهُ وباركهُ ودعا بها بركتهُ القادرة على كل شيء وهذا قد اعتاد ان يفعلهُ تقدس اسمهُ في ابتداء مباشرتهِ افعالاً عظيمة على هذا النحو ولا سيما عند كسر الخبز كما نقلدت عنهُ كنيستهُ المقدسة . ولم تكن تلك الافعال هي السبب الفاعلي لصدور العجائب بل لاسباب اخر اقتضتها سياستهُ التي كملت من اجلنا كما قال الذهبي فمهُ بمواضع كثيرة من اقوالهِ الذهبية . منها ما جاء في مقالتهِ الثانية والسبعين من تفسيرهِ انجيل القديس متى قال: «انهُ تعالى يشكر معلمًا ايانا كيف ينبغي لنا ان نكمل هذا السر ودالاً على انهُ تعالى ما اتى الى الالام مكرهًا بل مودبًا لنا لنحتمل بشكر جميع ما يلحقنا وينالنا» ثم قال بُعيد ذلك «انهُ تعالى شكر قبل ان يعطي التلاميذ . لكي نقدم نحن لهُ الشكر . وسبح بعد ان اعطى لكي نفعل نحن ايضًا هذا الامر بعينهِ» فشكر اذًا تعالى لا مكملاً السرَّ ومقدسًا لهُ كما زعم بعض غير الكاثوليكيين بل على الخصوص معلمًا ايانا كيف ينبغي ان نكمل السر الالهي باوفر الشكر والحمد والتبريك كما قرر الذهبي فمهُ

يقول رابعًا ⁂ وكسر ⁂ اي الخبز . لانهُ قسمهُ اثنتي عشرة قسمة حسب عدد التلاميذ وهذا الكسر كان قبل التقديس حسب الراي الاصوب فقد زعم بعض ان هذا الكسر كان فيما هو يقدسهُ لانهُ حينئذٍ على ما يزعمون كسرهُ اثنتي عشرة كسرة واعطى كل رسول واحدة ولكن الرأي الاول اولى

يقول خامسًا ⁂ واعطى تلاميذهُ ⁂ اي وزع الخبز الذي كسرهُ وقسمهُ على تلاميذهِ الاطهار وناولهم واحدًا فواحدًا . وهذه المناولة انما تمت في حال قولهِ ⁂ هذا هو جسدي ⁂ بحيث كان الاعطاء مقترنًا مع القول . ولذلك فيما هو يناولهم قدَّس قائلاً ⁂ خذوا فكلوا . هذا هو جسدي الذي يكسر من اجلكم لمغفرة الخطايا ⁂ فهذه الفاظ مناول ومقدّس معًا . واذ لحظ القديس باسيليوس هذا الاقتران فصل في خدمتهِ القول المتضمن الاعطاء من الالفاظ المقولة قبلهُ سرًّا وقرنهُ مع الفاظ التقديس المقولة جهرًا باعلان مسموع من الجميع قائلاً ⁂ واعطى تلاميذهُ الرسل القديسين قائلاً خذوا فكلوا الخ ⁂ وانما فصل القديس هذا الفصل ملاحظةً لصيرورة التقديس والاعطاء معًا في وقتٍ واحدٍ . اما الذهبي فمهُ فبما انهُ لاحظ كلمات التقديس فقط فصلها وحدها دون غيرها

وبهذا التقرير يُدحض ذلك المشكل الذي في لفظة ⁂ قدّس ⁂ من قول الآباء الذي يحتج بهِ الاضداد المنكرون فاعليةَ كلام الرب وصورتيهِ بتحويل الموضوعات وتقديسها

قائلين : انهُ ينتج من قول الابوين في الخدمة المقدسة « قدس واعطى تلاميذهُ الرسل القديسين قائلاً . هذا هو جسدي » انهُ تعالى قدّس جسدهُ اولاً ثمَّ ناولهُ لتلاميذهِ قائلاً « هذا هو جسدي هذا هو دمي » ليعرفهم ان المعطى لهم هو جسدهُ ودمهُ لا خبز وخمر سادجان . وان هذا القول مقول بطريق الخبرية فقط . لا بطريق الفاعلية

فهذا الاعتراض يفنَّد بما سبق الاشارة اليهِ فان معنى ذلك ليس كما وهموا اي انهُ قدسهُ اولاً ثم اعطاهموهُ قائلاً القول المذكور . انما المعنى انهُ قدسهُ اذ اعطاهموهُ قائلاً هذا الكلام الالهي وذلك لان الواو العاطفة في قولهم واعطى لا تدل على الترتيب (1) بل على الجمع ما بين معطوفيها . كما قرر الزاخري في محاورتهِ الجدلية . اي لا تدل على انهُ تعالى قدس اولاً ثم اعطى بل تدل على اعطائهِ مقدسًا بقولهِ الالهي . وهكذا تدل على اجتماع صيرورة الامرين معًا اي التقديس والاعطاء جملة بدون مهلة ولا ترتيب ولا تراخٍ . مثال ذلك ما جاء من قول البشير انهُ « في اليوم الآخر العظيم من العيد وقف يسوع وصاح وقال ان عطش احد فليأتِ اليَّ ويشرب » (يوحنا ٧ : ٣٧) فلا شك انهُ لا يفهم بذلك انهُ تعالى اولاً صاح ثم قال القول المذكور انما يفهم بهِ انهُ تعالى قال ذلك مناديًا . اي ان المناداة كانت بالقول نفسهِ . فهكذا اذًا قولهم ﴿قدس واعطى تلاميذهُ قائلاً هذا هو جسدي﴾ انما يفهم بهِ انهُ تعالى قدس اذ اعطاهموهُ قائلاً الكلام الالهي المذكور فيكون اذًا هذا الكلام الالهي فعل مناول ومقدّس معًا . ومع لفظهِ بطريق الخبر بنسبتهِ الى الكلام السابق وانتظامهِ معهُ مقولاً ايضًا على الخصوص بطريق الفاعلية وفاعلاً حالاً في الموضوعات التي يشار بهِ اليها حسبما توضح ذلك حالة قولهِ . اذ يقال منفصلاً وعلى الاطلاق . ويشار بهِ الى الموضوعات بوقارٍ وانحناء حتى يتضح جهارًا ان الكاهن القائم بشخص المسيح انما يتكلم عن هذه الموضوعات قائلاً حسبما هو لابس المسيح ﴿هذا هو جسدي . هذا هو دمي﴾

فهذه الكلمة الملفوظة بفم الكاهن كالواجب هي هي لا غيرها « تنقل الموضوعات وتحولها » كما يشهد الذهبي الفم . . . والاَّ فيكون القول الالهي فارغًا . والاشارة كاذبة خادعة

فهذا اذًا مفهوم كلمة الآباء في الخدمة المقدسة « قدس » التي وجدت في خدمة القديس يعقوب وعنهُ اخذها الابوان القديسان باسيليوس ويوحنا فم الذهب ولم تذكر

---

١ ان الواو العاطفة لا تدل على ترتيب ما بين المتعاطفين انما هي لمطلق الجمع بينهما فتعطف الشيء على سابقهِ تكون للمصاحبة اكثر مما تكون للترتيب

فيما حرره الانجيليون والرسول بتقليد هذا السر الالهي . وليس لها معنى سوى ما ذكرنا بدليل انها لم تذكر عند الذين بشروا الكنيسة وقلدوها خدمة هذا السر الالهي

وإن قيل انه يستبين مما حرره القديس مرقص في تقديس الكاس ان السيد المسيح قدس اولاً ثم ناول تلاميذه قائلاً القول المذكور بطريق التخبير . لان البشير يقول هكذا « واخذ كأساً وشكر واعطاهم فشربوا منها» وبعد ان قال هذا القول اخبر بكلام التقديس قائلاً « وقال لهم هذا هو دمي العهد الجديد . الذي يهرق عن كثيرين » (مرقص ١٤ : ٢٣ و٢٤)ومن هذا يتضح ان التلاميذ شربوا الكأس قبل ان يقول السيد « هذا هو دمي » فالتقديس اذاً كان قبلاً . وهذا القول قيل بطريق التخبير لا الفاعلية اجبتك ان الانجيليين لا يحفظون دائماً نظاماً واحداً في كتابة الاشياء . كما لحظ القديس اوغسطينوس في كتابه على اتفاق الانجيليين . ولهذا يجب ان نفهم هذه الكلمات « هذا هو كاس دمي الخ » متقدمة على قوله « اشربوا منه كلكم » اي ان فهمناها بحسب ترتيب الكلمات التي نطق بها قبلاً مقدساً جسده . والحال انه بحسب ترتيب هذه الكلمات قدس الخبز واحاله الى جسده حينما اعطاهم اياه قائلاً « خذوا فكلوا هذا هو جسدي » لا بعد ان اكلوه . فهكذا اذاً قد قدس الكأس واحالها الى دمه حينما اعطاهم اياها قائلاً « هذا هو كاس دمي الخ» لا بعد ان شربوا منها كلهم . ويتأيد ذلك اي ان تقديس الكأس كان قد تم اولاً قبل الشرب وان السيد المسيح قال القول المذكور في حين الاعطاء مما اخبر به القديس متى قائلاً « واخذ كأساً وشكر واعطاهم وقال . اشربوا من هذا كلكم » (متى ٢٦ : ٢٧) وانما استعمل القديس مرقص البشير هنا التقديم اي قدَّم قوله « فشربوا منه » على كلام التقديس ليظهر بذلك ان الرسل كملوا وصية معلمهم الذي قال لهم كما اخبر القديس متى ✻ اشربوا منه كلكم ✻ لا ليشير الى انهم بعد أن شربوه قال لهم ✻ هذا هو دمي ✻

فصح اذاً مما تقدم ذكره ان هذه الكلمات الالهية هي كلمات التقديس وليس سواها وانها هي الكلمات العجيبة والالفاظ الصورية الفاعلية التي حينما ينطق بها الكاهن في شخص المسيح تستحيل الموضوعات الى جسد المسيح ودمه . فيوجد بلاهوته وناسوته ويحضر على المذبح . وهناك تحت حجاب جوهرةٍ صغيرةٍ بين يدي الكاهن يمثل امامنا بوجهٍ مبهج محبوب قائلاً ✻ ها هوذا انا ✻ واياك ان تتوهم ظاناً ان الجسد الذي صعد ينحدر من السماء بل ان الخبز والخمر يستحيلان استحالة جوهرية الى جسده ودمه بنوع عجيب فائق

طور العقول كما قرر الدمشقي (في الفصل ١٤ من كتابهِ ٤) في الايمان . وذلك بقوة هذا الصوت الالهي وهذه الكلمات الربية التي حينما ينطق بها الكاهن الذي يقف متمماً الشكل اي شكل المسيح تنتقل بها القرابين وتحول كما قرر الذهبي فمهُ . وبالنتيجة « يكفر بالايمان من لا يؤمن بوجود المسيح حال سماعهِ هذا الكلام الالهي مقولاً بفم الكاهن على الموضوعات» كقول القديس غريغوريوس الثاولوغوس في خطابهِ الثاني على الفصح . لانهُ حينئذٍ يكون قد حسب المسيح ضعيفاً عاجزاً وكلامهُ كاذباً . وذلك لانهُ تعالى هو نفسهُ الذي ينطق بفم الكاهن مشيراً بكلامهِ هذا الى الموضوعات ولو لم نرهُ نحن ونشاهدهُ كما يقرر ذلك جلياً القديس امبروسيوس في تفسيرهِ المزمور الثامن والثمانين حيث يقول : « انهُ وان لم يتبين ان المسيح هو الذي يقدّم فهو بالحقيقة الذي يقدّم في الارض حينما يقدّم جسده بل يتضح ايضاً فينا انهُ هو الذي يقدم اذ كان كلامهُ هو الذي يقدس الذبيحة التي نقدم »غير ان السيد المسيح الجزيل سخاؤهُ لم يكتفِ بتقدمة ذاتهِ لابيهِ تحت اعراض الخبز فقط . بل رام ان يقدمها تحت اعراض الخمر . فاذاً ان الكاهن الذي يقف ويقصد ان يتمم بعملهِ هذا شكل المسيح كما قال الذهبي فمهُ ويصنع ما صنعهُ تعالى في تلك الليلة سالكاً بحسب طقسهِ وترتيبهِ الالهي المقلد منهُ لرسلهِ بعد ان يكون قدس اولاً الخبز بتلك الكلمات مماثلاً المسيح ومكملاً ترتيبهُ الذي بهِ اوجد جسدهُ اولاً تحت اعراض الخبز ثم تحت اعراض الخمر يعمد ثانياً الى تقديس الخمر ناطقاً ما نطقهُ المسيح عينهُ وبهِ اوجد ذاتهُ القدوسة تحت اعراض الخمر كما اوجدها تحت اعراض الخبز قائلاً « اشربوا من هذا كلكم هذا هو دمي العهد الجديد الذي يهرق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦ و٢٨) اما الشعب فيجاوب هنا ❋ امين امين ❋ مرتين كما انهُ يجاوب عند تقديس الخبز مرة واحدة «امين» اي حقاً ان هذا هو جسد المسيح ودمهُ

ولعمري ان هذه الاعجوبة الثانية بتقديس الخمر بالكلمات الربية تضاهي الاولى فحالما يلفظ الكاهن الكلام الجوهري على الكاس يحصل هناك حالاً دمهُ الحقيقي الكريم . واذكر هنا ما اشرنا اليهِ في الفصل السابق انهُ من حيث ان دمهُ الكريم ليس الآن منفصلاً من جسده ايضاً بل هو متحد مع جسدهِ ونفسهِ ولاهوتهِ . فبالضرورة اذاً حيثما يوجد دمهُ بقوة الكلام الجوهري تحت اعراض الخمر توجد هذه الاشياء كلها . الاَّ انها ليست موجودة في هذا السر بحيثيةٍ واحدٍ ونوعٍ واحدٍ بل منها ما يوجد هنا بقوة الكلام الجوهري . ومنها ما يوجد بضرورة المتابعة الطبيعية

فالاشياء الموجودة في السر بقوة الكلام الجوهري هي تلك التي يدل عليها الكلام المذكور وبحسب هذا النوع لا يوجد تحت اعراض الخبز الّا جسد المسيح ولا يوجد تحت اعراض الخمر الا دم المسيح . لان الكلام الجوهري لا يفعل في هذا السر الاّ بحسبما يدلُّ عليهِ بحرفهِ . والحال انهُ لا يدل الا على « هذا هو جسدي . هذا هو دمي » فيكون اذاً الموجود تحت اعراض الخبز بقوة الجزء الاول من الكلام الجوهري هو الجسد والموجود تحت اعراض الخمر بقوة الجزء الثاني من الكلام المذكور هو الدم * واما الاشياء الموجودة في هذا السر بضرورة المتابعة الطبيعية فهي التي ترافق ضرورة الاشياء المعبر عنها بكلام صورة التقديس . لانهُ متى وجدت اشياء ترافق بعضها بعضاً ضرورةً فمن الضرورة ان توجد كلها حيثما وجد بعضها

فينتج من ذلك (اولاً) : ان جسد المسيح ودمهُ يكونان معاً وجملة تحت كل من الشكلين . وذلك بنوع المرافقة وقوة الاتحاد الطبيعي * (ثانياً) ان اللاهوت يكون تحت الشكلين من حيث الاتحاد الاقنومي . غير ان اقنوم الكلمة يوجد على الوجه الاول والمستقيم تحت هذين الشكلين . اما الطبيعة الالهية فتوجد على الوجه الثاني . اي من حيث كونها شيئاً واحداً مع اقنوم الكلمة وينتج من ذلك ايضاً : ان اقنوم الآب واقنوم الروح القدس يكونان ايضاً في سر الافخارستيا . وذلك اولاً لكون طبيعتهما شيئاً واحداً مع طبيعة الكلمة* ثانياً لاجل تدخل الاقانيم الالهية العجيب كما اشرنا الى ذلك . في الفصل الاخير من القسم الاول * غير انهُ لا يحسن ان يقال على الاطلاق اننا في سر الافخارستيا نتناول الآب الازلي وروح القدس لئلا يظن ظانٌ ان الجسد الموجود في هذا السر هو جسد الآب وروح القدس كما هو جسد الابن

الفصل الثالث

في ايضاح تقدمة الذبيحة الاخيرة الغائيَّة التي تتم بعد التقديس

ان الكاهن بعد ان يكون ذكر بالذبح السري الذي تمَّ بقوة كلام الرب موت السيد المسيح الذي هو اول الاسرار الثلاثة التي تذكر على الخصوص في هذا القسم . يعمد الى ذكر السرين الاخرين وهما قيامتهُ وصعودهُ . وهذا يشير اليهِ الكاهن بتقدمة

الذبيحة المقدسة . اذ يرفعها يسيرًا بيديهِ حينما يقول ❊التي لك من التي لك نقدم لك عن كل شيء ومن اجل كل شيء❊ لانهُ بهذا العمل يذكر قيامة المسيح وصعودهُ الذي بهِ قدم نفسهُ لله الاب بعد ذبحهِ على الصليب وموتهِ . ولا تستغرب من انهُ هنا بعمل واحد يشار الى سرين مختلفين . لاننا بينّا فيما تقدم ان الاباء ارادوا ان يكون فعلٌ واحدٌ من الرتبة دالاً على اشياء كثيرة فلذلك كان المراد بهذا العمل الواحد الدلالة على القيامة والصعود. ولذا يتلو الكاهن قبل تقدمة الذبيحة هذا الافشين قائلاً « ونحن متذكرون هذه الوصية الخلاصية . وجميع الصائرات من اجلنا» ثم بوضح اخص هذه الاشياء التي يذكرها في هذا القسم قائلاً « الصليب والقبر والقيامة في اليوم الثالث والصعود الى السماوات والجلوس من عن الميامن » وانما يذكر هذه الاسرار الثلاثة مع ذكرهِ اخيراً مجيئهُ تعالى المجيد بقولهِ « والمجيء الثاني بالمجد ايضًا » فذلك لان صلبهُ وموتهُ قد كانا علة خلاصنا وقيامتهُ هي مثال قيامتنا العتيدة وبالنتيجة هي إسُّ رجائنا للمجد الابدي . اما صعودهُ الى السماء فلانهُ نهج لنا بهِ الطريق وكسر ابوابًا من نحاس كما قال النبي . وفي الحال فتح لنا ابواب السماء وعلمنا كيف يجب ان نرتقي بقلوبنا وافكارنا بتجريدنا اياها من الارضيات . ورفعها الى السماوات . واما ذكرهُ مجيءَ السيد المسيح بعد ذكر الصعود فاشارة الى ما خاطب بهِ ذانك الملاكان الظاهران كرجلين جماعة التلاميذ حينما كانوا يتفرسون في السماء لينظروا يسوع صاعدًا اذ قالا لهم «ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموهُ منطلقًا الى السماء» (اعمال الرسل ١ : ١١) *ان الكاهن بعد ذكرهِ هذه الاسرار يرفع الذبيحة كما قلنا واضعًا يديهِ شكل صليب قائلاً ❊ التي لك من التي لك الخ ». فكانهُ اذاً يقول : اننا ❊ نقدم لك ❊ ايها الاب السماوي « التي لك » اي جسد ابنك الحبيب ودمهُ الكريم الذبيحة الحيَّة الناطقة المختصة بمجدك الاعظم التي حصلت لنا «من التي لك» اي من مواهبك وخيراتك اي الخبز والخمر الموهوبين لنا من احسانك لنقدم منها هذه الذبيحة الناطقة وذلك «عن كل شيء ومن اجل كل شيء» اي لتذكار السيد المسيح ابنك والشكر على الحسنات الالهية التي قبلناها منك وسنقبلها ايضًا وللوفاء عن الخطايا ولمنفعة الاحياء والاموات ولا سيما للحصول على روحك القدوس الذي نرجو نوالهُ بقوة هذه الذبيحة المقدمة لك كما نالهُ الرسل الاطهار بعد تقدمة ابنك الرب يسوع المسيح ذبيحة جسدهِ لك بصعوده اليك وجلوسهِ من عن يمينك

ثم ان الكاهن المقدم الذبيحة لاجل الغايات المذكورة ينبغي لهُ بل يجب عليهِ الاَّ يتغاضى

عن غاية الذبيحة الاولى وهي الاعتراف بجلال عظمة الله وسلطتهِ الغير المتناهية والتزامنا الكلي بالخضوع لهُ تعالى خضوعًا عبديًا . فإِشارةً الى هذا الامر يضع يديهِ على الموضوعات كما كان يضع الكاهن الاسرائيلي (الاحبار الفصل ١) قديمًا يديهِ على راس المحرقة قائلاً : « اقبل يارب بالرضى تقدمتنا هذه العبدية الخ» *قال اوسابيوس المؤرخ ان وضع اليد على راس الذبيحة كان علامة النيابة والبدل . على انهُ من احدى الجهات قد عرفنا من قبل النور الطبيعي النطقي ان الله الذي اتخذنا منهُ الحيوة والنفس يستحق ان يذبح اكرامًا لهُ لا الحيوانات الغير الناطقة فقط بل البشر ايضًا ومن جهة اخرى تحققنا انهُ تعالى لا يحلل ذلك بسنتهِ المالوفة . فمن ثم وجب ان تكون الحيوانات بدلاً منا ونقدم مذبوحة عوضًا وفداءً عنا . الى ان ياتي الزمن الذي بهِ نقدم تلك الذبيحة العظيمة العتيدة ان نقدم ذاتها فداءً وافرًا متزايدًا عنا . فوضع الكاهن اذًا يديهِ على الذبيحة قديمًا انما كان دليلاً على هذه النيابة والبدلية وكان يمسك الحيوان من رأسهِ و يقدمهُ للذبح كانهُ شيء يغني عنهُ و يفنى بدلاً منهُ

فالكاهن الانجيلي هنا عند وضع يديهِ على المقدمات يشير اذًا الى هذا الامر كما ذكرنا معترفًا بان الله لهُ السلطان المطلق على حياتنا ولهُ ان يتصرف بها كيفما يشاء الّا انهُ جلّت رحمتهُ ارتضى بالبدل . وذلك البدل هو حيوة ابنهِ الذي ذبحهُ الكاهن على نوع غير دموي بل سريٍّ وذلك بالكلمات السرية كما سبق تقرير ذلك

فهذا ما يشير اليهِ هذا الطقس و يتضمنهُ قول التقدمة المذكورة الذي يجب ان يتلى هكذا كما حررنا . لا حسبما يوجد في بعض الترجمات العربية ناقصًا مفسدًا برداءة المتأخرين الذين حذفوا منهُ ﴿ من التي لك ﴾ وقالوا فقط «التي لك مقدمين لك الخ» مع ان الاصل اليوناني يوجد حتى الان شاهدًا عليهم بالتحريف . اذ يقرأ هكذا « تاسا اكتون سون سي پروسفير و من كتاپندا كه ذياپندا » وهذه الالفاظ تترجم عربيًا كما ذكرنا والمعنى كما شرحنا انفًا . اي اننا مقدمون لك التي لك . اي جسد ابنك الوحيد الذي حصلنا عليهِ بقوة التقديس وهو الشيء الفريد المختص بمجدك . فابنك هذا الذي اعطيناهُ اولاً خارجًا عن السر . وايضًا ثانيًا في السر والذبيحة نقدمهُ لك . اي لمجدك ولاجل جميع تفضلاتك والباقي كما سبق الشرح *اما الشعب فانهُ يجيب عن هذه التقدمة مسبحًا ومباركًا وشاكرًا الثالوث الاقدس قائلاً : ﴿ اياك نسبح اياك نبارك اياك نشكر ومنك نطلب يا الاهنا ﴾ فكانهُ يقول كما قال القديس جرمانوس في تكلمهِ باللاهوت «لك نسبح ايها الرب

الاله . لك نبارك ايها الابن الكلمة . لك نشكر ايها الروح الكلي قدسهُ لاجل احساناتك هذه العظيمة طالبين منك ان تقبل من ايدينا هذه التقدمة ذبيحة جسد الابن الوحيد الحبيب وترسل لنا عوضها النعمة الالهية ومواهب الروح القدس

وقال يوفيوس في شأن المراوح هنا «انها لازمة في هذه الساعة المقدسة اكثر من لزومها في غيرها لسببين اولهما لاجل حجب نظر المشاهدين هذه القدسات المكملة المتعالية عن كل نظر غريب . ثانيهما لدفع الهوامّ . لانهُ كما قال القديس اكليمنضوس انهُ كما ان المراوح تستعمل في الامور الهيولية لطرد الهوام كذلك تستعمل الآن اذ تكون القدسات مكشوفة لطرد الهوام عنها . ولهذا يجب كما قال القديس المذكور ان يقف من جانبي المذبح شماسان ضابطان مروحتين من ريش ناعمٍ . او من ريش طاووس . او من سباني رفيعة . ويحركانها بلطافةٍ لطرد الهوام الصغيرة المتطايرة في الهواء» [1]

وقد اشرنا سابقًا ان هذه المراوح هي رسم القوات السماوية التي تكون حينئذٍ ماثلة امام الذبيحة النقية وواقفة وقوفًا غير منظور كما شهد الذهبيُّ فمهُ

واعلم ان كل كاهن ينفرد لهُ ملاك يعتني بهِ اعتناء خصوصيًا حين تقدمة هذه الذبيحة الالهية كما اثبت ذلك العلماء مستندين على صاحب الرؤيا القائل «وجاء ملاك اخر ووقف عند المذبح» (رؤيا ٨ : ٣) واذ قد اوضحنا بالكفاية ما يتضمنهُ هذا القسم من الاسرار نلحقهُ بثلثة فصول اخرى نورد فيها ان تقديس الذبيحة الطاهرة انما يكون بكلام الرب فقط لا بطلبات الكهنة ودعائهم . ومثبتين ذلك من ايضاح الرتبة عينها وطقوسها

الفصل الرابع

في ان الرتبة المقدسة توضح لنا بطقوسها ونصوصها ان تقديس الذبيحة الطاهرة انما يكون بكلام الرب فقط لا بطلبات الكهنة

من ذا لا يرى مما قررناهُ في الفصول السابقة ان الرتبة المقدسة نفسها توضح بلسان الحال والمقال معًا ان الموضوعات تتقدس بالكلمات الربية فقط لا بطلبات الكهنة فقط حسب ضلال البعض . او بالكلمات الربية والطلبات ايضًا كما وَهِمَ آخرون . لانها

١ قد بطلت الان عادة تحريك مراوح من ريش ونحوهِ واستعيض عنها بمراوح مصوغة من الفضة مصنوعة بهيئة ملئكة

قولان محا لفان ايضاح الرتبة نفسها ا التي منها يتضح ان تقديس السر المفهوم بهِ تحويل جوهري الخبز والخمر الى جوهري جسد المسيح ودمهِ يكمل و يتم بكلام الرب نفسهِ . ولا يكون متوقفًا على شيءٍ اخر

ولعمري ان هذا الامر المؤكد والمحقق من ترتيب المسيح والمؤيد بشهادة الآباء القديسين وايضاحاتهم كما سيأتي ذلك يتاكد ايضًا و يتضح من ايضاح الرتبة عينها بطقس تلاوة الكلام الجوهري . ثم بتقدمتها القرابين التقدمة الاخيرة الغائية بعد الكلام السيدي وقبل الطلبات

قلت (اولاً) ان ذلك يتضح من طقس تلاوة الكلام الجوهري . وذلك لانهُ في رتبة القديس باسيليوس يقال هكذا ✻ الكاهن يحني راسهُ و يرفع يدهُ اليمين بورع و يبارك الخبز المقدس و يعلن قائلاً . هذا هو جسدي الخ ✻ وهذا التعيين يوجد في جمع القناديق العربية القديمة المكتتبة اما القنداق الذي طبع في الولاه [1] باللغتين اليونانية والعربية والذي طبع حديثًا في البغدان فحذف منها سوء القصد هذا التعيين لكي لا يتضح منهُ ان الكاهن يتلو الكلمات الربية بطريق الفاعلية بشخص المسيح . مع انهُ موجود الان في الافخولوجيونات الرومية التي طبعت سنة ١٦٨١ للمسيح . ولذلك عادة هذا التبريك على الخبز والكاس في هذا المحل لم تزل جارية حتى الآن عند الروم في سائر المشرق . وفي البلاد الروسيَّة

فاذ تقرر ذلك نقول : انهُ امرٌ ظاهرٌ للجميع من هذا الطقس والترتيب المصنوع حينئذٍ اي عند تلاوة الكلام الالهي انهُ مصنوع لامر خصوصي كما يتضح و يدل عليهِ لسان حال طقس الرتبة الملاحظ وقتئذٍ حيث ان الكاهن بعد ان يكون ذكر سريًا اعمال سياستهِ تعالى التي من اجلنا وانتهى الى هذا العمل الالهي الذي قلدهُ تلك الليلة لتلاميذهِ و بالنتيجة اذ يعمد الى تلاوة الكلام الجوهري حسب الرتبة يحني راسهُ و يرفع يمينهُ و يبارك بورع الموضوعات . ثم يهتف باعلان مسموع من الجميع قائلاً ✻ خذوا فكلوا هذا هو جسدي الخ اشربوا من هذا كلكم هذا هو دمي الخ ✻ وهكذا الشماس يمد يدهُ بكل احترام وانحناءٍ مشيرًا بطرف الزنار الى الموضوعات كانهُ سابقٌ ثانٍ يوضح حمل الله الرافع

---

١ لعلَّ المولف يريد بلفظة الولاه بلاد اللاَّه المعروفة الان ببولونيا او بلاد الفلاخ المعروفة الان مع البغدان بمملكة رومانيا

خطايا العالم . واما الشعب الذي لا يسمع سوى هذه الكلمات فيصرخ على كل جزءٍ آمين
اي حقًّا هذا جسد المسيح ودمهُ ويقولها الشعب لتأكيد حقيقة الايمان باستحالة الموضوعات
الى جسد المسيح ودمهِ بقوة الكلمات الربية والاعتراف بذلك ظاهرًا كما قرّر ذلك
القديس امبروسيوس في الفصل الخامس من كتابهِ الرابع في الاسرار حيث يقول «فاذًا
لا تقل باطلاً امين اي حقًّا لان ما يعترف بهِ اللسان فليتمسك بهِ الحب» وهذا نفسهُ
قالهُ ايضًا في الفصل الثامن والتاسع من كتابهِ في الذين يقبلون الاسرار حيث يتكلم عن
دم المسيح فيقول «قبل التقديس يدعى شيئًا اخر . اما بعد التقديس فيدعى دمًا . وانت
تقول امين اي حق هو . لان ما يتكلم بهِ الفم فليعترف بهِ العقل الباطن وما يدل عليهِ
القول فليحسّ بهِ الحب» وهكذا القديس لاون الكبير في ميمرهِ السادس على صوم الشهر
السابع يقول ضد النساطرة الذين ينكرون حقيقة جسد المسيح هكذا «ان ما يؤخذ
بالفم فليؤمن بهِ القلب . و باطلاً يجاوب امين اولئك الذين يجادلون ضد ما يتناولونهُ»
بل ان علماء الروم يشرحون هذه اللفظة بحسبما تقرر . ومن ذلك ينتج انهُ اذ يجاوب
الشعب قائلاً امين يقرُّ بان المقولة عليهِ الكلمات الربية هو جسد المسيح حقًّا ودمهُ الالهي
حقًّا . ولذلك كثيرون من الشعب المؤمن بعد قولهم امين يقولون لحين هذه الكلمات التي
الجزء الاول منها لهامة الرسل والجزء الثاني لبولس الرسول وهي : «انا أُومن يارب
واعترف بانك انت هو المسيح ابن الله الحي (متى ١٦ : ١٦ او يوحنا ٦ : ٧٠) الذي اتي الى
العالم ليخلص الخطاة الذين انا اولهم» (١ تيموثاوس ١ : ١٥) ويتبين ان ذلك مأخوذ من
عادة مزمنة وتقليد قديم . فاذا كان ذلك كذلك كما يوضحهُ العقل عينهُ . فقل لي على ماذا
يدل هذا الطقس الاّ على تكميل السر وتحويل الموضوعات حينئذٍ لانهُ من المعلوم انهُ لو
لم يكمل السر في هذا المحل ولم تتقدس الموضوعات ولم تتحول الى جسد المسيح ودمهِ مع لفظ الكلام
الالهي لكان هذا الطقس باطلاً . وعلى الخصوص . لكان القول الالهي المقترن مع تلك
الاشارة كاذبًا او الاشارة خادعة وسببًا لعبادةٍ باطلة . لانهُ كيف يشير الكاهن ظاهرًا
بورع وانحناء الى ما بين يديهِ قائلاً بشخص المسيح «هذا هو جسدي . هذا هو دمي» وكيف
يمكن ان يكون هذا القول صادقًا والاشارة حقيقية ثابتة اذا لم يصر تحوُّل . وكيف يجاوب
الشعب على كل جزءٍ امين اي حقًّا ان هذا هو جسد المسيح ودمهُ ان كان لا جسد المسيح
ولا دمهُ . اليست هذه الاقوال والافعال جميعها تكون كاذبة وعلةً لعبادةٍ باطلة كما ذكرنا
والاشارة خادعة لانها تشير الى شيءٍ كاذب لا تصدق عليهِ تسمية المقول عنهُ لا بالحقيقة

ولا باشتراك الاسم ايضاً

ولمزيد ايضاح ذلك أُورد هنا امثلة طبيعية فاقول

مثلاً لو اشرت انا بيدي نحو سمكة وقلت: خذ فكلْ هذه خبزة. ونحو ماء وقلت لك: خذ فاشرب من هذه الخمر الجيدة. اما يكون قولي هذا كاذباً والاشارة خادعة. لان المشار اليهِ بيدي هو سمك وانا ادعوهُ خبزاً. وذلك ماء وانا ادعوهُ خمراً. وعلى هذا القياس قس كل شيء يشار اليهِ ويسمى بتسمية شيء حقيقتهُ غير حقيقة ذلك الشيء المسمى بهِ كما لو اشرت بيدك نحو حبوب العنب داعياً اياها زيتوناً. ونحو الملح داعياً اياهُ سكراً. ونحو كأْس مملوءة خلاً داعياً اياهُ عسلاً وهذا امرٌ ظاهرٌ لاحاجة الى تبيان بطلانهِ ومن يفعلهُ يستحق ان يضحك منهُ ويوجب الهزء بهِ . والحال انهُ اذا كانت الموضوعات لم تتقدس بالكلمات الربية المقولة بفم الكاهن نيابة عن المسيح بل بالطلبات التالية فيكون الامر هكذا. ومن ثمَّ تكون جميع تلك الطقوس المكتملة نحوهُ باطلة اذ تكون اشارة الكاهن كاذبة خادعة . وكلام المسيح المقول بفمهِ باطلاً فارغاً خائباً من فعلهِ. وصراخ الشعب بلفظة امين هزءًا وضحكة. لانهُ يشهد باللفظة المذكورة بان الموضوعات هي حقًا جسد المسيح ودمهُ. وهي حسب زعم الاضداد ليست كذلك. ولا ريب ان هذا ينافيهِ ايضاح الرتبة كما قررنا. والقول بذلك ضلال جسيم وكفر اثيم

فالتقديس اذًا انما هو بكلام الرب الصادق الفاعل لا بطلبات الكهنة وتوسلاتهم ومن هذا التقرير يستبين جيدًا بل يندحض كليًا زعم الاضداد الذاهبين بضلال منكر ان القول الالهي هنا انما هو مقول بطريق الخبر ماديًا فقط. لا بطريق الفاعلية وصوريًا ايضًا اذ كان هذا الطقس يدل على ان هذه الكلمات مقولة بطريق الخبر فقط. لكن هذا المذهب ساقط باطل لان هذه الكلمات ان كانت مقولة بطريق الخبر فقط فما هذا الخبر الذي لا يسمع منهُ الشعب سوى هاتِهِ الكلمات لاغير. ولماذا هي وحدها تعلن والبقية تقال سرًّا اذ ليست الكلمات المتقدمة عليها فقط تقال سرًّا بل المتوسطة بينها ايضًا وهي المقولة نحو الكاس قبل تلاوة الكلام الالهي عليها. حيث يقال في خدمة الذهبي فمهُ « ومثل ذلك الكاس بعد العشاء قائلاً » وفي خدمة القديس باسيليوس يقال « ومثل ذلك اخذ الكاس من ثمرة الكرمة مازجًا شاكرًا مباركًا مقدسًا» *فليقل لنا المعترض: اما ان هذه الكلمات من اخص اجزاء الخبر فلماذا تقال سرًّا والكلمات الربية التي قبلها وبعدها تقال باعلان فلمَ هذا الانقطاع وعلى اي شيء يدل . ثم لماذا اذ تعلن الكلمات

الربية بورع وخشوع يشار بها الى الموضوعات . فان كانت انما هي مقولة بطريق الخبر عن تلك فلماذا يشار بها الى هذه . حتى انهُ يتبين ظاهرًا انها بحسب حالة لفظها هذا انما هي مقولة على هذه الموضوعات لا تخبيرًا عن غيرها . أفليس هذا الترتيب نفسهُ يشهد شهادة نيرة بان هذه الكلمات الربية لا تقال بطريق الخبر فقط بل بطريق الفاعلية صوريًا ايضًا . فعلامَ الغرض يعمي العقل . وحتَّامَ يضاد الحق الواضح . فلنقل اذًا مع النبي لهم عيون ولا يبصرون (المزمور ١٢٤ : ١٧) ولهم عقول ولا يفهمون . وسبب ذلك يوردهُ اشعيا النبي في الفصل السادس من نبوتهِ

ثم اي عاقل ينكران بعض قضايا مع تضمنها معنى الخبر توجد فاعلة ومكملة ماتخبر بهِ . ولذلك لا تقال بطريق الخبر فقط . بل بطريق الفاعلية ايضًا . فقد قال سيدنا المسيح لذلك الرجل الملكي « امضِ فان ابنك حي » (يوحنا ٥ : ٥) . فها هوذا قضية تتضمن التخبير بحياة ابن ذلك الرجل . ومع ذلك وجدت فاعلة ومكملة ما اخبرت بهِ . وهكذا قال لتلك المرأة اليونانية الفينيقية « اذهبي فقد خرج الشيطان من ابنتك » (مرقص ٧ : ٢٩) وبهذا التخبير نفسهِ وفي حال التلفظ بهِ خرج الشيطان من ابنتها اي كمل بالقول الخبري ما دل عليهِ الخبر . وعلى ذلك امثال كثيرة لا نطيل الكلام بايرادها . فلماذا اذًا لا يكون هذا الكلام الالهي مع لفظهِ بطريق الخبر بنسبتهِ وانضمامهِ الى الكلام السابق مقولاً ايضًا على الخصوص بطريق الفاعلية وفاعلاً حالاً في الموضوعات التي يشار بهِ اليها حسبما توضح حالة قولهِ اذ يقال منفصلاً وعلى الاطلاق . و يشار بهِ الى الموضوعات بوقار وانحناء حتى يتضح جهارًا عن الكاهن القائم بشخص المسيح انهُ يتكلم عن هذه الموضوعات قائلاً بحسبما هو لابس المسيح ※ هذا هو جسدي . هذا هو دمي ※ وكيف يمكن ان يرتد هذا الصوت باطلاً خائبًا من فعلهِ وهو صوت المسيح نفسهِ الذي يشير بهِ الى الموضوعات بفم الكاهن

قلت ثانيًا انهُ يتأكد ان الموضوعات تتقدس بالكلمات الربية لا غير من تقدمة القرابين التقدمة الاخيرة الغائية بعد الكلام السيدي وقبل الطلبات : وذلك لان الكاهن بعد تلاوتهِ كلام الرب بطريق الفاعلية يلتزم من قبل الرتبة ان يقدم الموضوعات لله الآب بفعل محسوس شاهدًا بفعلهِ وكلامهِ ايضًا انها جسد ابنهِ ودمهِ المختص بهِ وبمجدهِ داعيًا اياها الذبيحة الناطقة الغير الدموية المقدمة لهُ تعالى عن كل شيء ومن جهة كل شيء وهذا جميعهُ يفعلهُ الكاهن بعد تلاوة كلام الرب وقبل الطلبات . ولا ريب ان

هذه التقدمة هي التقدمة الاخيرة الغائيَّة للذبيحة وليست بعدها تقدمة اخرى . فان كان التقديس اذًا لا يتم بكلام الرب لكن بطلبات الكهنة التالية هذه التقدمة الغائيَّة نتج جليًا ان الكنيسة تقدم لله «عن كل شيء ومن جهة كل شيء» لا جسد المسيح ودمهُ لكن خبزًا وخمرًا لم يكمل تقديسهما . اي لم يتحولا بعد الى جسد المسيح ودمهِ . والحال ان هذا كفرٌ اذ لا ذبيحة تقدم لله عن كل شيء ومن جهة كل شيء سوى ذبيحة جسد ابنهِ الوحيد هذه الذبيحة الغير المتناهي ثمنها وشرفها هي التي تقدمها البيعة وقتئذٍ لهُ تعالى عن كل شيء ومن جهة كل شيء اي من اجل غايات الذبيحة الخصوصيَّة المتقدم ذكرها في الفصل الثالث من القسم الاول . ولا سيما لنيل الروح القدس الذي تطلبهُ الكنيسة حالاً بعد هذه التقدمة (كما قررنا ذلك وسنقررهُ ايضًا) وترجوان تنالهُ بقوتها كما نالهُ الرسل الاطهار بعد تقدمة الرب يسوع المسيح ذبيحة جسدهِ لله ابيهِ ان كان هذا هو المراد بقول الكنيسة اي انها مقدمتها حينئذٍ عن كل شيء . ثم ان كان لم يوجد بعد الذي لهُ اي جسد ابنهِ الحبيب فكيف تقول الكنيسة في حال تقديها الموضوعات «اننا نقدم التي لهُ» اي ذبيحة جسد ابنهِ المختص بهِ وبمجدهِ «من التي لهُ» اي من الخيرات التي حصلت لنا من مواهبهِ يعني من الخبز والخمر الموهوبين لنا من احسانهِ لتقدم منها هذه الذبيحة ان كان الذي نقدمهُ حينئذٍ بايدينا ليس هو جسد ابنهِ ودمهِ بل خبز وخمر لا غير حسب راي المنكرين ثم كيف تدعوهُ الكنيسة ذبيحة ناطقة ومن المعلوم ان الخبز والخمر مهما كانا مقدسين ومباركين فلا يمكن ان يدعيا ذبيحة

فالذبيحة اذًا قد تقدست بالكلام الجوهري قبل طلبات الكاهن وقراءة الافشين . والذلك تقدمها الكنيسة لله تعالى لاجل الغايات المذكورة كما قررنا . وهذا هو المراد بقولها «على كل شيء ومن جهة كل شيء» وتشير اليها بانها جسد المسيح المختص بمجدهِ تعالى بقولها «التي لك» وتدعوها ذبيحة ناطقة . ولا يسع المعاند ان يقول : انها تقول ذلك للمستقبل . لانها تقدمها بالقول والفعل حالاً . وبعد ذلك لا تقدمها اصلاً . وقولنا بالفعل لان الكاهن وقتئذٍ يرفع الصينية والكأس معًا الى فوق كما سبق القول . والحال ان هذا الطقس والرفع يدلان كما قال احد المفسرين الروم انفسهم على وجود المسيح في القربان المقدس وانهُ كائن فيهِ حيًا . فالناتج اذًا من هذا التقرير الاكيد . ان راي من يقول ان تقديس الذبيحة لا يكمل بكلام الرب لكن بواسطة الطلبات التالية لرأيٌ مضادٌ ايضاح هذه الرتبة المقدسة وترتيبها فضلاً عن مناقضتهِ ايضًا لترتيب المسيح وتسليمهِ ومخالفتهِ لتعليم

آباء كنيسة الله القديسين

اولاً ان هذا القول يناقض ترتيب المسيح وتسليمهُ من وجهين (الاول) هو استعمال صورة غير الصورة المرتبة منهُ تعالى . لانهُ جلت آلاؤهُ حسب تصريح الاصوات الانجيلية وشهادة الرسول قد رسم هذا السر الالهي وقدّسهُ وانما قدسهُ بكلامهِ لا غير ولم يجعل تقديسهُ متوقفًا على شيء آخر لانهُ قال «هذا هو جسدي» فكان بكلمة الله القادر على كل شيء كما قال القديس اوغسطينوس . قال «هذا هو دمي» وثبت الفعل بالكلمة كما قال فم الذهب ونظيرها قال القديس جرمانوس «ان السيد المسيح قال هذا هو جسدي . وهذا هو دمي . وهو امر الكنيسة كلها بان تفعل هذا . لانهُ قال اصنعوهُ لذكري» والنتيجة انهُ قد عين هذا الكلام الالهي صورة لهذا السر . ولم يرتب بعد ذلك صورة اخرى غير التي استعملها هو امامهم . بل اوصاهم ان يفعلوا بحسب ما فعل هو اذ قال لهم «اصنعوا هذا لذكري» اي هذا العمل الذي عملتهُ انا امامكم وهذا الطقس الذي اظهرتهُ لكم افعلوهُ انتم لذكري . والحال ان العمل الذي عملهُ امامهم والطقس الذي اظهرهُ لهم مقدسًا بهِ الخبز والخمر انما هو قولهُ الالهي ملتفتًا الى الخبز خذوا فكلوا الخ والى الكاس اشربوا منهُ الخ لا صورة اخرى غير هذا القول . فالارتيآء اذًا بان التقديس يتم بصورة اخرى غير المرتبه منهُ تعالى قولٌ مضل مخالف ترتيب المسيح وتسليمهُ

• اما الوجه الثاني الذي منهُ يتضح فساد ذلك القول ومخالفتهُ لترتيب المسيح فهو انهُ تعالى اذ قدس هذا السر لم يقدس جزءَي الذبيحة معًا ولم يجعلها بفعل واحد بعينهِ . لكنهُ قدّس كل جزءٍ على حدتهِ بفعلين متباينين قدس اولاً الخبز بقولهِ هذا هو جسدي ثم قدس الخمر بقولهِ هذا هو دمي والحال ان الاضداد يخالفون بحسب قولهم المضل هذا الترتيب الالهي . لانهم على زعمهم يقدسون الجزءين الاخرين معًا بفعل واحد لا غير . اي بالبركة الاخيرة التي يبارك بها الكاهن الجزءين معًا قائلاً : وليننقلا . وليستحيلا . بروحك القدوس[1] وهذا خلاف ترتيب المسيح . كما هو ظاهرٌ للعيان خلوًّا من كل برهان

نقول ثانيًا ان هذا القول يناقض تعليم علماء كنيسة الله القديسين الشرقيين والغربيين معًا . وذلك لان القديس يوستينوس الشهيد . والقديس ابريناوس . والقديس كبريانوس . واوسابيوس الحمصي . والقديس غريغوريوس الثاولوغوس . والقديس غريغوريوس النيصي اخا القديس باسيليوس . والقديس امبروسيوس . والقديس

١ وبحسب الترجمة الحرفية عن الاصل اليوناني يقال هكذا اذ انك نقلتها بروحك القدوس

اوغسطينوس والقديس يوحنا فم الذهب والقديس ايفانيوس وغيرهم صرحوا بكلام عادم التأويل : ان السر الالهي انما يكمل بقوة كلمة المسيح واوضحوا هذه الكلمات معلنين انها هي قولهُ تعالى «هذا هو جسدي . هذا هو دمي» ولم يكونوا ينسبون فعل هذا السر العظيم الى طلباتٍ وابتهالاتٍ بشرية . بل الى قوة الكلمات الالهية التي يلفظها الكاهن بشخص المسيح . بل بالحري يلفظها المسيح بفم الكاهن حسب ايضاح اقوال الآباء ولا سيما الذهبي فمهُ في عظتهِ الثانية في تفسيرهِ رسالة بولس الثانية الى تيموتاوس حيث يقول عن تقدمتنا « وليس لهذه شيءٌ اقل من تلك التقدمة التي ناولها المسيح عينهُ للتلاميذ . ولماذا ذلك . لان مقدّس هذه ليس الناس بل المسيح الذي قدس تلك لانهُ كما ان الكلمات التي يتكلم بها المسيح هي عينها التي يلفظها الان الكهنة . هكذا التقدمة هي هي عينها »

فباطل اذًا قول المنكرين ان السر يكمل بالطلبات الكهنوتية . لانهُ قول مضاد تقليد المسيح ومناقض تعليم ايمة كنيسة الله الكاثوليكية

الفصل الخامس

في ايراد ما يعترض بهِ اصحاب هذا القول المضاد وحلهِ بطريقٍ مستقيم

ان اصحاب هذا الرأي الفاسد يوردون احتجاجات مختلفة لاسناد رأيهم هذا .

(اولاً) يحتجون بالطلبات الموجودة في الخدمات المقدسة بعد كلام الرب التي بها يدعى الروح القدس لتقديس الموضوعات واظهارها جسدًا ودمًا للمسيح . ثم يتعللون ببعض قضايا وردت في الخدمة لم يفهموا فحواها

(ثانيًا) يحتجون بان القديس يوحنا الدمشقي قال ظاهرًا : ان القديس باسيليوس سمى القرابين رسم جسد المسيح قبل التقديس لا بعدهُ

(ثالثًا) يحتجون زورًا بان المجمع السابع اثبت ان الذبيحة الغير الدموية قبل التقديس هي رسم جسد المسيح ودمهِ اما بعد التقديس فلا تدعى رسماً . بل جسد المسيح ودمهُ

(رابعًا) يتعللون بقولهم : ان كثيرين من الآباء القديسين يقولون : ان تقديس الاسرار يكمل من الروح القدس . ومن ذلك يستنتجون انها لا تتقدس بالكلمات الربية

(خامسًا) يحتجون ان الآباء القديسين قد شهدوا بمواضع شتى ان سر جسد الرب يتم بالشكر والتبريك والتوسل

سادسًا يقولون ان الآباء قالوا: ان التقديس يتم بصلوة سرية والقديس يوحنا فم الذهب قال: انهُ يتم بدعاء غير ملفوظ. وبهذا القول يتعامون كليًّا عما اوردوهُ من الاحتجاج في الاعتراض الخامس. حيث نسبوا التقديس الى الشكر والتبريك. على انهُ ان كان التقديس على زعمهم هذا يتم بصلوة سرية ودعاء غير ملفوظ فكيف قالوا في الاعتراض السابق ان التقديس يتم بالشكر والتبريك. لانهُ ان كان تقديس الاسرار يكمل بدعاء غير ملفوظ وهكذا قدسهُ السيد المسيح كما ضلوا هنا فينتج انهُ لا يكمل بالشكر والتبريك وهما ادعية ملفوظة

سابعًا يقولون ان سلمنا ان كلمات الرب كانت فاعلة فقد كانت فاعلة بفم الرب. واما بفم الكاهن الذي هو انسان ضعيف فليست بفاعلة

هذا بعض ما وقفنا عليهِ من احتجاجاتهم الواهية. وقد اجابهم عنها كل من كتب ضد هذا الراي ولا سيما ذلك العلاَّمة البارّ الشماس عبدالله زاخر الراقد بالرب في كتابهِ البرهان وكتابهِ الاخر العجيب المدعو المحاورة الجدلية. ومن رام الوقوف على حلّ مضارب هذه الحجج فعليهِ بمطالعة تلك الكتب برّ تفسيرها باسهاب وتطويل. واما هنا فلو اردنا حلها باسهاب لطال بنا الشرح جدًّا مما لا يتحملهُ هذا الكتاب. لكن لئلا تبقى للصديق حجة بل للمعتل علة. نكتفي الان بتفنيد هذه الحجج بايجاز ونفرد لحلِّ الاحتجاج الاول فصلاً آخر برمتهِ لانهُ مأخوذ من الخدمة التي نحن في سياق شرحها

فنجيب اولاً عن الاحتجاج (الثاني) فنقول

باطلاً تنسب هذه القضية للقديس يوحنا الدمشقي. لانهُ هو نفسهُ يدعو مع الآباء القديسين القربان المقدس رسماً بعد التقديس. وذلك ليس في كتاب آخر او مقالة اخرى بل في المقالة نفسها المأخوذ منها هذا الاحتجاج وهي المقالة ٨٦ بعد قولهِ المحتج بهِ الخصوم بنحو عشرة اسطر لا غير. حيث يختم مقالتهُ هذه مشيرًا الى القرابين المقدسة قائلاً: «ونسميها رسم المزمعات لا لانها ليست جسد الرب ودمهُ حقيقة. بل لاننا نشترك بواسطتها بلاهوت المسيح. وحينئذٍ نساهمهُ بالروح بالنظر فقط» فليقل لنا المعترض: ان كانت تلك القضية هي للقديس حقًّا كما يزعم. وهذه القضية هي لهُ بالحقيقة. كما هي واضحة الظهور في اختتام مقالتهِ فما يكون هذا القديس الجليل مضادًّا تعليم بقية الآباء القديسين فقط بل مضادًّا نفسهُ ايضًا وناقضًا قولهُ بقولهِ. لانهُ في تلك القضية التي على زعم المعترض هي لهُ يقر جليًا خلاف تعليم الآباء القديسين. ان الخبز والخمر بعد تقديسهما لا يدعيان

رسماً لجسد المسيح نافياً ذلك على الاطلاق . وهنا في هذه القضية يعلم صريحاً انهما بعد تقديسهما اذ يكونان جسد المسيح ودمهُ حقيقة يدعيان رسم الامور المزمعة اي رسم جسد المسيح الممجد الذي نشترك بهِ في السماء بالنظر فقط . فكيف اتفاق هذين القولين : ان الموضوعات بعد التقديس تدعى رسم جسد المسيح . ولا تدعى اصلاً رسم جسد المسيح . فينتج اذاً ان هذه القضية المنافية لمعرفة القديس واقوال الآباء القديسين والمناقضة تعليمهم بل تعليمهُ نفسهُ هي غريبة عن اقوالهِ وقد ادخلها بعض المتأخرين في مقالتهِ اسناداً لرأيهم والاّ فان سلمنا بنسبة هذه القضية للقديس وجب ايضاً نسبة الغلط والتناقض لهُ فيما ذكرهُ في هذا الموضع . والحال ان هذا لا يسهل تصديقهُ عن هذا المعلم الجليل

اجيب ثانياً عن الاحتجاج (الثالث) المسند الى المجمع السابع : باطلاً يقول الاضداد ان المجمع اثبت ان الذبيحة الغير الدموية قبل التقديس هي رسم جسد المسيح ودمهِ . اما بعد التقديس فلا الخ لان هذه القضية وجدت في كتاب لا يعرف مؤلفهُ يدعى كتاب الرذل وانما قرئ على الآباء في المجمع المذكور لرذل محاربي الايقونات الذي كان يتضمنهُ الكتاب المذكور . ولا عجب ان يكون مؤلفهُ متبعاً غلط كباسيلا . لكن هذه القضية لم تورد بوجه الخصوص . ولا بحث عنها المجمع ولا اثبتها . لانهُ لم يعقد للبحث عنها بل عن مسالة غيرها كانت حينئذٍ اكثر ضرورةً منها

اجيب ثالثاً عن الاحتجاج (الرابع) المأخوذ من قول كثيرين من الآباء ان تقديس الاسرار يكمل من الروح القدس

ان الاكثرين يقولون ان تكميل الاسرار وتقديسها يتم بكلمة الرب بل ان بعض الذين قالوا القول الاول هم انفسهم قالوا القول الثاني . فلماذا يتعامى المحتج عن ذلك ويتمسك بهذا . فاعلم اذاً ان قول بعض الآباء ان سر القربان المقدس يكمل بالروح القدس لا ينافي قولهم انهُ يكمل بالكلمات الربية ولا يضادهُ بل المعنى واحد فيهما لانهُ ان يكمل بتلاوة هذه الكلمات الالهية نفسها يكمل حقاً بالروح القدس الفاعل بها . وهكذا يكمل بدعوة الروح القدس . لانهُ اذ نتلى الكلمات المذكورة على الموضوعات من الخادم الحقيقي لتقديسها وتحويلها يدعى الروح القدس دعوة مضمرة . وانما ينسب الآباء تكميل السر الالهي للروح القدس مع انهُ يكمل بالقوة الالهية المشاعة للاقانيم الثلثة حال تلاوة الكلمات الربية لان هذا السر من اعظم افعال المحبة التي تنسب بالخصوص الى هذا الاقنوم كما تنسب اليهِ جميع الاسرار وافعال التقديس كافةً . لان ما يفعلهُ الله من هذه

الافعال يفعلهُ بالروح القدس كما يقول القديس يوحنا الدمشقي

اجيب رابعًا عن الاحتجاجين (الخامس والسادس) :

ان الآباء القديسين قد دعوا الكلمات الربية الصورية التي بها تتقدس الذبيحة وتكمل باسماء مختلفة فقد دعوها ﴿ بركةً وشكرًا وشركة وطلبة سرية ودعوة الهية ودعوة الله ودعوة الاله الاعظم ودعوة الثالوث الاقدس ودعوة الروح القدس ودعوة ودعاء الكاهن الفائق الطبع وكلمة الله وتضرعًا وابتهالاً ﴾ ومفهوم هذه التسميات جميعها هو واحد عندهم و يراد بهِ صورة السر المقدس التي هي كلمات المسيح وقد تطلق هذه التسميات على غير ذلك من صور الاسرار حتى عند معلمي الروم انفسهم

فتدعى (اولاً) بركة وشكرًا وشركة لانهُ ما عدا ان الموضوعات المقربة تتبارك بها وتتقدس لانهُ بالتقديس نفسهِ يوضع المسيح على المذبح و يقرب وهكذا بواسطة هذا الفعل العجيب يحصل الشكر لله والاشتراك بهذه المواهب الفائقة نرى الآباء يلاحظون العمل الكهنوتي الاقرب التقديس المتضمن الشكر والتبريك كما نقرر ذلك في الاقوال التالية . وأضف الى ذلك ان التقديس نفسهُ يدعى عند الروم خاصةً بركةً وشكرًا . كما ذكر ذلك المعلم اللاهوتي بطرس اركوديوس بما انهُ يصير معهما جملة . وهذا واضح من الرتبة عينها . لانهُ اذ يلفظ الكاهن الكلمات الربية يشكر و يبارك معًا في زمنٍ واحد

تدعى (ثانيًا) دعوة الله والثالوث الاقدس والروح القدس . وذلك لان تلاوتها بطريق الفاعلية من الكاهن الخادم تتضمن دعوة مضمرة لقوة الله والثالوث الاقدس وفعل الروح . على ان الكاهن اذ يتلو الكلمات الصورية بطريق الفاعلية يطلب بالتضمن قوة الله وفعل روحهِ القدوس لتتميم السر بلفظ الكلمات السرية

تدعى (ثالثًا) طلبةً وطلبة سرية ودعوة وابتهالاً ودعاء الكاهن الفائق الطبع لانها بحسب نية الكاهن الخادم ولفظها لتقديس السر تتضمن الابتهال وطلبة انتقال الخبز والخمر وتحويلها الى جسد المسيح ودمهِ

اما قول بعض الآباء ان تقديس السر يكمل بالدعاء فلانهُ ما عدا ان الكلام المذكور يسمى دعاء كما قررنا يُراد ايضًا بالدعاء العمل الكهنوتي الذي مع احتوائهِ على الكلمات الربية التي هي الصورة الخصوصية الفاعلة لهذا السر يشتمل ايضًا على ادعية وتوسلات وتبريكات كثيرة مختصة بالموضوعات نفسها لا بعد الكلمات المذكورة نفسها فقط لكن قبلها ايضًا كما هو محرر في الخدمة . فنظرًا الى هذا العمل الكهنوتي المشتمل مع كلمات الرب

الفاعلة بذاتها على مثل هذه الادعية والابتهالات المقولة ايضاً بشان القرابين نفسها قال بعض الآباء القديسين بالفساحة : ان السر يكمل بالدعاء غير نافين بذلك كلام الرب بل ملاحظين العمل الكهنوتي الاكثر قرباً للتقديس والمشتمل على كلام الرب

اما قولهم انهُ يكمل بحلول الروح القدس او دعوة الروح فلأنهُ ما عدا دعوة الروح بالكلام الالهي المذكور دعوة مضمرة حينما تلفظ الكلمات المذكورة على الموضوعات لتقديسها وتتقدس وتكمل حقاً بالروح القدس الفاعل بها كما قررنا يفهم مع ذلك الآباء بدعوة الروح القدس لا تلك الطلبة الخصوصية فقط التي بها يدعى الروح الالهي بعد الكلمات السيدية . بل يفهمون بها ايضاً رتبة التقديس المشتملة على هذه الدعوة الرهيبة . وهذه تبتدئ بافشين وضع الاسرار على المائدة . وتنتهي بالطلبات التالية الكلام السيدي . وبها يدعى الروح القدس دعوة ظاهرة قبل الكلام المذكور بالافشين المقدم ذكرهُ كما ذكرنا في الفصل التاسع عشر من القسم الاول . وبعدهُ بالطلبات المفهومة . فيدعى الروح قبل الكلام السيدي ليحضر بيننا بقوتهِ الالهية الفاعلة مقدساً الموضوعات ومحولها بتلاوة الكلام الالهي المذكور الذي هو نفسهُ دعوة مضمرة للروح كما اوضحنا . ويدعى بعدهُ ليفيض المواهب الصالحة ولاظهار القرابين المقدسة بفعلها السري انها حقاً جسد المسيح ودمهُ الاطهران وهذا يتضح بزيادة . فيما نقررهُ في شرح الجزء الثالث من الذبيحة وفي الفصل التالي ايضاً

اما بشأن ما يعترض بهِ من قول الذهبي فمهُ انهُ تعالى قدس بدعاء غير ملفوظ فان كان هذا القول لم يسلم من التحريف فيريد بهِ القديس ان السيد المسيح في حال تلفظهِ بالقول الالهي قصد واراد بان يوجد جسدهُ ودمهُ تحت اعراض الخبز والخمر حسب دلالة كلامهِ . وهذا القصد يسمى دعاء غير ملفوظ مقترناً على الدوام بالقول الالهي . وهذا ينبغي لكل كاهن حال تقديس السر بالكلام المذكور اي ان يقصد ويريد ان يقدس بهِ الموضوعات . فالذهبي فمهُ انما يشير الى هذا القصد مسمياً اياهُ دعاء غير ملفوظ ولا يمكن ان يفهم قولهُ هذا الاَّ هكذا والاَّ كان مضاداً نفسهُ ومناقضاً قولهُ بقولهِ . اذ انهُ اوضح ظاهراً باماكن عديدة من اقوالهِ الذهبية : ان التقديس انما يكون بكلمة الرب واوضح مصرحاً ما هي هذه الكلمة فقال انها هي قولهُ تعالى ❊ هذا هو جسدي ❊ ثم اكد قائلاً ❊ هذه الكلمة تنقل الموضوعات وتحولها ❊ وقد اثبتنا هذه الشهادة في الفصل الاول من هذا القسم

فالملخص اذاً من حل ما اوردناهُ من الاقوال ضد هذا الاحتجاج أن الآباء يدعون

الكلمات الصورية الالهية بالتسميات المذكورة (اولاً) لان الكلمات الربية المذكورة نظراً الى الكاهن القاصد تكميل هذا السر تتضمن مضمراً التماس قوة الله التي هي العلة الاولى الفاعلة السر وفعل الروح الالهي لان الكاهن في القداس يقصد كآلة الله ووسيطهِ ان يقدس السرّ بالكلمات الربية (ثانياً) لان الآباء يلاحظون حينئذٍ العمل الكهنوتي الاقرب للتقديس والذي بعدهُ. وهذا العمل يتضمن توسلات وتبريكات كما قررنا وسنقرر ايضاً فاذاً على هذا المعنى قال بعض الآباء: ان السر يكمل بالتوسل و بصلوة سرية. لان الخدمة نفسها المشتملة على الكلمات الربيّة هي صلوة وطلبة مختصة بتكميل السر الاقدس. وتدعى دعوة الثالوث لانهُ بها يدعى الثالوث كما سنوضح ذلك. فهذه هي غاية الآباء بهذه الاقوال . وهذا نستدل عليهِ من اقوالهم الواضحة . التي يجب ان نجعلها قياساً لنا لفهم اقوالهم الغير الواضحة . ومن هذه الاقوال المعلومة الواضحة والغير القابلة التأويل ينبغي ان نحكم على ما ليس هو نظيرها بالوضوح

نجيب خامساً على الغباوة الموردة في الاحتجاج (السابع) : لقد ضللتم . فان الكاهن لا يقدس بشخص نفسهِ بل بشخص المسيح و بحسبما هو لابس المسيح . والدليل (الاول) على ذلك ان الكاهن لا يقول خذوا فكلوا هذا هو جسد المسيح . بل يقول جسدي وكذلك نحو الكاس يقول دمي لا دم المسيح . وهذا هو اعتراف جميع الآباء القديسين . ومنهُ يوجد الدليل (الثاني) من ذلك قول الذهبي فمهُ في عظتهِ الثانية والثمانين على بشارة متى: «ليست هذه اعمال القوة البشرية . بل الذي صنعها في ذلك العشاء هو الذي يصنعها الآن ايضاً نحن انما نقوم مقام الخدام وهو الذي يقدس» وراجع شهادتهُ مع شهادة القديس امبروسيوس الموردتين منا في الفصل الاول من هذا القسم وشهادتهُ الاخرى المحررة في آخر الفصل الرابع هنا * ثم لاحظ ما يقولهُ الابوان المعظمان باسيليوس وفم الذهب في الافشين الشاروبيكوني بمخاطبتهما للابن المتجسد* انت المقرِّب والمقرَّب * على انهُ ان كان هو المقرِّب فهو الذي يقدّس . وان كان هو الذي يقدس فلا شك في انهُ انما يقدس بما قدس بهِ سابقاً . اي بكلامهِ الالهي . لا بتوسل الكاهن الذي يتلوهُ الكاهن بشخص نفسهِ لا بشخص المسيح . وان كان هو الذي يقدس بكلامهِ فهو الذي يقول بفم الكاهن نحو الموضوعات *هذا هو جسدي . هذا هو دمي* وان كان هو الذي يقول هذه الكلمات بفم الكاهن فغير ممكن الاّ تتقدس الموضوعات حال لفظ كلامهِ حسب دلالة كلامهِ . والاّ فيكون قد كذب المسيح بقولهِ واشارتهِ . والحال ان هذا كفرٌ يرهب العقل من التفكر بهِ والاذان من سماعهِ

والقلم من كتابتهِ

اعلم ان الاضداد يحتجون بان مرقص الافسسي قد اجاب اللاتينيين في المجمع الفلورنتي موضحًا ان التقديس ليس هو بالكلمات السيدية . وانهم اذ سمعوا ما اجاب بهِ ضربوا صفحًا عن هذه المجادلة . وان مرقص كتب بامر الملك ورؤساء الكهنة ملخصًا في هذا السؤال . لكن هذا الاحتجاج كاذب جميعهُ وافتراءٌ على المجمع المقدس . بل بخلاف ذلك يوجد ما يضادهُ وينافيهِ . وذلك اولاً لان كتبة المجمع ذكروا ان رؤساء كهنة الروم اجابوا عن هذه القضية بالتسليم اي بانهم يعتقدون ان التقديس يكون بكلام الرب نفسهِ وانهم يصلون بعد ذلك ليأتي الروح القدس علينا وعلى القرابين ليصنع هذا الخبز فينا ونظرًا الى فائدتنا جسد المسيح المكرم وكذلك ما في الكأس دم المسيح المكرم ليكون للذين يتناولونهُ لمغفرة الخطايا ولا يكون للدينونة والهلاك . ثم قال الكتبة : وهكذا تمت القضية . ثانيًا ان اللاتينيين لم يرضوا الا يتغاضوا عن هذه القضية فقط بل طلبوا ان يجاوب عنها بصوت جهير وقبلوا عنها الجواب المقدم ذكرهُ ثلاث مرات . ثالثًا لان ما كتبهُ مرقص كان بعد المجمع المذكور اذ عاد الى بلادهِ هاربًا . لانهُ كان انفصل من المجمع بامر الملك نفسهِ قبل ايراد هذه المسألة . وهكذا ما عاد حضر في المجمع اصلاً ولا اجاب بشيءٍ لا عن هذه ولا عن غيرها

الفصل السادس

في دحض بطلان احتجاج الاضداد ببعض قضايا وردت في الخدمات المقدسة بعد تلاوة الكلام السيدي

الاَّ ان خصومنا يحتجون ايضًا بما ورد في الخدمات المقدسة من القضايا المحررة بعد كلام الرب التي يظهر انها تساعدهم لاثبات رايهم . وهذه القضايا المذكورة بعضها مزيد وبعضها محرف عن اصلهِ وبعضها موجود حقًا لكنهم اولوا معناهُ يحتجون (اولاً) بما يقال في الرتبة بعد الكلام الالهي من الاقوال الدالة على طلب الاستحالة والانتقال وهو ※ اصنع هذا الخبز . الخ . واصنع ما في الكاس الخ . . ولينتقلا . وليستحيلا ※ (ثانيًا) يحتجون بالطلبات المتلوة بعد كلام الرب التي بها يدعى الروح القدس دعوة صريحة لتقديس الموضوعات

واظهارها جسدًا ودمًا مستنتجين من ذلك انها لم تكن تقدست بعد وانهُ لذلك يدعى الروح القدس لتقديسها (ثالثًا) يحتجون بما جاء في خدمة القديس باسيليوس الذي يدعو الموضوعات بعد الكلام الالهي رسم جسد المسيح * (رابعًا) يحتجون بما جاء في خدمة هذا القديس وخدمة الذهبي الفم اللذين دعوا الموضوعات بعد الكلام الجوهري وقبل الطلبات خبزًا مستنتجين من ذلك انهُ لو كان التقديس بكلام الرب السابق لما كان الخبز والخمر قد دعيا بعدهُ في الطلبات بمثل ما كانا عليهِ سابقًا اي خبزًا وخمرًا بل جسدًا ودمًا . فهذه جملة الاحتجاجات الماخوذة من الرتبة . وها نحن نجيب عنها شيئًا فشيئًا باربعة اجزاء

الجزء الاول

في بيان تحريف هذه الاقوال بالنقل العربي عن اصلها اليوناني وما هو المراد بلفظة اصنع

نقول مع ارميا النبي «حقًا لقد صنع قلم الكاتب كذبًا . ولم يخزَ . وجهل الاستحياء» لان هذه الاقوال الموردة من المعترض ليست هي بحسب وضعها الاصلي في اللغة اليونانية على هذه الصورة بل صيرتها هكذا رداءة المتأخرين الذاهبين الى هذا الراي الفاسد . لانهُ اولاً في خدمة الذهبي فمهُ لا وجود في النص اليوناني للفظة «اصنع» مكررة مرتين نحو الخبز والخمر المقدسين . بل انما توجد مرة واحدة لا غير نحو الخبز فقط دون ان تكرَّر نحو الكاس . وهذا ظاهر مما هو محرر في الاصل اليوناني المستعمل الى الآن في كنيستنا . اذ يقال نحو الخبز * كه پيئسون * اي واصنع . واما نحو الكاس فيقال * توذي * اي وما في الخ . هذا ما هو محرر في خدمة القديس يوحنا . اما في خدمة القديس باسيليوس فلا وجود للفظة اصنع . لا نحو الخبز ولا نحو الكاس اذ يقال نحو الخبز * تُنْ مِنْ أَرْتُن * ونحو الكاس * توذي پوتيريون * ولا يقال «كه پيئسون» كما هو محرر في القناديق حتى الان * (ثانيًا) اما هذان الفعلان الدالَّان على طلب الاستحالة والانتقال اي * لينتقلا و يستحيلا * فلا وجود لهما في الخدمتين المذكورتين ولا في خدمة القديسين يعقوب ومرقص واكليمنضوس بل انما يوجد الآن في النص اليوناني في خدمة الابوين في موضع هذين الفعلين الدالين على طلب الانتقال والاستحالة اسم فاعل يدل على فعل ماضٍ

حيث يقال : « ناقلاً اياها بروحك القدوس » بمعنى نقلتها .لان هذا الاسم المذكور في اليوناني يشير الى الزمان الماضي وهو بمعنى نقلت . ومن ثم لا يمكن ان يفهم الاَّ هكذا اي بمعنى نقلتها بروحك القدوس ولبيان ذلك وإيضاحهِ بزيادة نترجم ما يقال هنا في الاصل اليوناني عند هذين القديسين . فنقول

بعد تلاوة الكلام السيدي على الموضوعات وتقدمتها لله عن كل شيء ومن جهة كل شيء يقال في خدمة القديس فم الذهب هكذا ﴿ ايضًا نقرب لك هذه الذبيحة النطقية الغير الدموية ونطلب ونتضرع ونسأل فارسل روحك القدوس علينا وعلى هذه المواهب الموضوعة » (ثم يختم القرابين المقدسة برسم الصليب قائلاً نحو الخبز المقدس) واصنع اما هذا الخبز فجسد مسيحك المكرم . (ونحو الكاس) وما في الكأس فدم مسيحك المكرم . اذ انك نقلتها بروحك القدوس (ثم يتبع في الحال قائلاً) لكي يكونا للمتناولين منها لعفاف النفس لمغفرة الخطايا . لشركة الروح القدس . لكمال ملكوت السماوات . للدالَّة اليك . لا لمحاكمة او لدينونة ﴾ فكهذا هي هذه الطلبات بحسب حقيقة وضعها واصلها اليوناني . لا بحسبما هي مترجمة في اللغة العربية المحرفة في خدمة هذا القديس وفقًا لغرض المتاخرين

اما في خدمة القديس باسيليوس فاولاً قد زاد المتأخرون هذه الالفاظ ﴿ ناقلاً بروحك القدوس ﴾ لانها لم تكن موجودة في الاصل في خدمتهِ كما تشهد بذلك نسخة القديمة وخدمة القديس يعقوب الرسول التي هي اصل خدمة القديس باسيليوس وليس فيها اثر لهذه الالفاظ بل انما اخذها المتاخرون من خدمة القديس يوحنا فم الذهب ثم حرّفتها ايضًا يد مترجميها الى العربية كما اوضحنا (ثانيًا) حرّف المتاخرون في النقل العربي في ترجمتهم الافشين الذي يتلى فيهِ حينئذٍ لفظة ﴿ يظهر ﴾ ووضعوا موضعها لفظة يقبل فقالوا بعد قولهم ﴿ يباركها و يقدسها ﴾ هكذا ﴿ يقبلها ﴾ مع انهُ حسب الاصل اليوناني يجب ان يقال ﴿ و يظهر اما هذا الخبز . الخ ﴾ كما يقرأ الى الان في النسخ اليونانية كلها حتى المستعملة في كنائسنا في القناديق المطبوعة في بلاد الفلاخ سنة ١٧٤١ في اللغتين اليونانية والعربية لفظة ﴿ اناذيكسه ﴾ التي معناها ﴿ يظهر ﴾ فحذفوا هذه اللفظة ثم زادوا لفظة اصنع المكررة مرتين نحو الخبز والكاس بخلاف ما هي في الاصل اليوناني الذي يقال فيهِ بعد تلاوة الكلام السيدي على الموضوعات وتقدمتها لله عن كل شيء ومن جهة كل شيء في خدمة هذا القديس هكذا ﴿ فاليك نطلب . ومنك نسال .

ياقدس القديسين . ان ياتي روحك القدوس بمسرة صلاحك . علينا وعلى هذه المواهب الموضوعة . ويباركها . ويقدسها . ويظهر اما هذا الخبز فجسد الرب الاله . مخلصنا يسوع المسيح المكرم نفسهُ . وما في هذه الكاس . فدم الرب الاله مخلصنا يسوع المسيح المكرّم نفسهُ المهراق لاجل حيوة العالم . ويجعلنا نحن المشتركين بخبز واحد . وكأس واحدة . متحدين بعضنا مع بعض . بشركة الروح القدس الواحد . الخ» فهذا هو النص الحقيقي لهذين الافشينين حسب النسخة الاصلية . وهكذا حرّر كثيرون من الاضداد الذاهبين الى هذا الراي حتى مرقص الافسسي في كتابهِ الذي هو في الكلمات التي تتقدس بها المواهب ولم توجد فيهِ هذه التغيرات . ولا الزيادات المحررة في النقل العربي . بل هكذا يوجد الآن محرراً . وايضاً ما حررناهُ عن خدمة فم الذهب في القنداق المطبوع حديثاً سنة ١٧٤٥ باللغة العربية فقط في مدينة (**باش**) من البلاد البغدانية . وذلك بدون ادنى زيادة او نقص . مع ان القنداق المذكور طبع بالتماس اعداء هذا الراي وبمراقبتهم ايضاً

تنبيه

اعلم ان الترتيب المقدم تحريرهُ من خدمة فم الذهب وخدمة القديس باسيليوس هو الاصل الصحيح المرتب من القديسين . واما الطلبات المتوسطة التي تقال الآن في الخدمة بعد طلب ارسال الروح وقبل قول الذهبي . . اصنع . . وما يتلوهُ . اعني بها قولهم ثلثاً ❊ يارب روحك الكلي قدسهُ الخ ❊ على الاستيخونات الماخوذة من المزمور الخمسين فليست من ترتيب القديسين ووضعهما كما تشهد بذلك خدمتهما الاصلية المثبتة في كتبهما مع جملة مؤلفاتهما . ولا وجود لهذه الطلبات ولا للتبريكات المقولة نحو الموضوعات بالخصوص والعموم التي بها يباركون اولاً اذ يقولون في خدمة فم الذهب « اصنع الخ » ثم يباركون . ثانياً الكاس اذ يقولون « وما في هذه الكاس الخ » ثم يباركونها معاً . ثالثاً قائلين « ناقلاً اياها » فلا وجود لهذا الترتيب مع تلك الطلبات المتوسطة في اصل خدمة هذين القديسين ولا للفظة امين المقولة ثلاثاً بعد التبريكات والطلبات . بل الموضوع من الابوين القديسين هو الترتيب المقدم تحريرهُ لا غير . وما عدا ذلك من هذه الطقوس فهو ما أُدخل بعد عهدهما في الافخولوجيونات وقناديق الخدمة من تفننات المتاخرين ونحن لا نهجو هذا الطقس المقدس . بل نقبلهُ ونمدحهُ لانهُ يدل اوضح

دلالة و بزيادة على ما يقصد ذكرهُ حينئذٍ من حلول الروح القدس بهذا الجزء الاخير من الذبيحة . لكننا نهجو غلط الذين عثروا بهِ وهم الذين اذ لم يدركوا بل اغمضوا اعينهم عن حقائق الاسرار المدلول عليها بهذا الطقس عثروا بهِ . واتخذوهُ حجة لرأيهم المضاد

فمما نقدم نقريرهُ علم اولاً بطلان قول الاضداد وقول صاحب كتاب منهاج الكهنوت المقدم ذكرهُ في فاتحة هذا الكتاب الزاعمين بان هذه الطلبات اصنع وما يليها كانت تقال في خدمة القديس يعقوب الرسول باعلان خشوعي . وان الشعب كان يجيب امين على كل منها . فهذا لا اصل لهُ البتة . لان هذه الطلبات لا تقال الاَّ سرًّا والشعب لا يسمعها ولا يجيب عليها بشيءٍ ولفظة امين لم يكن يهتف بها الشعب قديمًا كما انهُ لا يهتف بها الآن الا عند سماعهِ كلام الرب لا غير

علم ثانيًا ان لفظة ﴿ اصنع وما يليها ﴾ تقال في خدمة الذهبي فمهُ لنيل مفاعيل السر لا لتقديسهِ كما شرح ذلك وفسرهُ آباء الروم انفسهم في الجلسة الاخيرة من المجمع الفلورنتي لما سالهم عن ذلك البابا اوجانيوس الرابع . كما رايت في الفصل السابق ومن ثم لا وجود لهذه اللفظة في خدمة القديس باسيليوس ولا في خدمة القديس اكليمنضوس التي (حسب شهادة الروم انفسهم وصاحب كتاب منهاج الكهنوت) قد سلمها الرسل الى اكثر الكنائس . واما وجود هذه اللفظة مع توابعها في خدمة القديس يوحنا فلطلب نيل الفائدة من ذبيحة هذا عظم مقدارها . وهذا يتاكد مما يتلى بعدها من التضرعات . لان الذهبي فمهُ لا يقول على الاطلاق ﴿ اصنع الخ ﴾ بل يشفع ذلك بقولهِ ﴿ لكي يكون الخ ﴾ وهكذا يتلى بعدها في الخدمات المحررة بها . كما سنقرر ذلك فيما بعد . ومن ثم يكون المعنى هكذا : انت يا الهنا الذي نقل بروحهِ القدوس هذا الخبز الذي هو جسد مسيحك الكريم وما في هذه الكأس الذي هو دم مسيحك الكريم اصنعهما لكي يكونا لمتناوليهما لتنقية النفس . وغفران الخطايا وهكذا توسل القديس باسيليوس أن ياتي الروح القدس على هذه القرابين فيباركها و يقدسها هو ليجعلها مباركة ومقدسة بالفعل باظهار مفاعيلها السرية . في نفوس متناولها وهذا سنوضحهُ بزيادة في محل اخر *

فاذ قد عرف الان ما بهذه الاقوال من التحريف والتصحيف عن الاصل اليوناني هات نبحث في هل هذه الطلبات هي الصورة الحقيقية لهذا السر حسب زعم الاضداد ام لا . وهذا ما يتضمنهُ الجزء التالي

الجزء الثاني

في دحض الاحتجاج الاول المأخوذ من الرتبة من الاقوال الدالة على طلب الاستحالة والانتقال وذلك بايراد الوجوه الموضحة عدم امكان كونها صورةً لهذا السر

باطلاً يحتج الاضداد بهذه الطلبات . مستشهدين بها لاثبات رأيهم زاعمين انهُ لو كانت الموضوعات تقدست وتحولت بتلاوة كلام الرب لما كان يقال في الخدمة هكذا ولا يدعى الروح القدس بعد ذلك لتقديسها دعوة صريحة فانهم يرون كيف هذه الطلبات لا تساعدهم ولا يمكن ان تكون الصورة الحقيقية لتقديس السر . وذلك من وجوه كثيرة (اولاً) لانها لم ترتب من السيد المسيح (ثانيًا) لانها في الخدم نفسها المرتبة بها لا توجد متفقة بنوع واحد كما يجب لجميع صور الاسرار ولا سيما لصورة هذا السر الفائق (ثالثًا) لانها لم تستعمل من الجميع ولم توجد عند جميع مؤلفي الخدم

قلت اولاً لانها لم ترتب من السيد المسيح كما ينبغي لجميع صور الاسرار . وذلك لانهُ حسب تعليم الايمان نفسهِ : ان السيد المسيح رسم جميع اسرار الناموس الجديد . ولا ريب ان رسم الاسرار ليس سوى تعيين موادها وصورها ومنحها قوةً لاصدار النعمة . كما علم العلماء والحال ان هذه الطلبات لم تعيَّن من السيد المختص بهِ وحدهُ تعيين صور الاسرار فالطلبات المذكورة اذًا ليست هي الصورة الحقيقية لتقديس السر لانها لم ترتَّب من السيد المسيح . اما الكبرى فهي مسلمة عند المضاد نفسهِ ما لم يكن كلفينيًّا او لوتيريًّا فلنثبت الصغرى اي قولنا : والحال ان هذه الطلبات لم تعين من السيد المسيح الخ فنقول :

انهُ حسب تصريح القديسين الانجيليين الاربعة وشهادة الرسول ان السيد المسيح اذ رسم ليلة آلامهِ هذا السر الالهي وقدسهُ لم يقدّسهُ بتضرعات وطلبات بل انما قدسهُ وكملهُ بكلماتهِ الالهية . وبعد ان كملهُ هكذا عين هذه الكلمات لا غيرها صورة لهذا السر بامرهِ لتلاميذهِ ان يصنعوا بحسبما صنع هو امامهم . كما اثبتنا ذلك اثباتًا قويًا في الفصل الرابع من هذا القسم . ويتأكد هذا الدليل من تسليم الانجيليين والرسول وتقليدهم للكنيسة هذا السر . لانهم لم يسلموها صورة اخرى لهذا السر سوى هذه الكلمات الربية . فلو كانوا قد سلموها

شيئاً اخر غيرها ولا سيما مما يتعلق بكمال السر لكانوا ذكروهُ . والحال انهم قد سلموا هذه الصورة فقط للكنيسة معينة ومحددة ولم يذكروا غيرها . فهي اذاً لا الطلبات صورة السر الحقيقية المرتبة من السيد المسيح الذي يخصهُ وحدهُ ترتيب صور الاسرار وتعيينها

وان قال الخصوم : ليس بضروري للاسرار تعيين صورها من السيد المسيح اذ يمكن ان تكمل ذلك الكنيسة كما يبان في صورة التثبيت والكهنوت والمسحة الغير المعينة كلماتها الصورية في الكتاب المقدس

فنجيب تبّاً لهُ من اعتراض كلفيني . لانهُ وان كان بسلطان ارادتهِ تعالى ان يأمر بترتيب الاسرار من غير ان يعين نوع موادها ويحدد صورها بكلمات معينة خصوصية بل ان يمنح بذلك سلطاناً مطلقاً للناس ان يستعملوا في تكميل الاسرار أيَّة مواد وصور ارادوا فانهُ تعالى لم يصنع ذلك حقاً . بل عين هو بنفسهِ مواد الاسرار وصورها اذ كان هذا مما يجب لكمال اسرار الناموس الجديد وعظمتها . لانهُ كما ان الله نفسهُ قد عين طقوس الاسرار في العهد القديم كذلك المسيح قد عين اسرار العهد الجديد لئلا يكون لهذه شيء اقل من تلك ولا إشكال في ان هذا التعيين قد كان نظراً الى بعض الاسرار اكثر وضوحاً ونظراً الى البعض الاخر اقل وضوحاً

فالسيد المسيح اذاً وان كان قد عين موادكل الاسرار وصورها فانهُ كما قال العلماء اللاهوتيون لم يعينها على حدٍ سوى لانهُ تعالى قد عين مادة بعض الاسرار وصورها على نوع واضح واخص . وهذا قد صنعهُ تعالى في سرين فقط وهما المعمودية وسر القربان وعين مواد البعض من الاسرار وصورها على نوع اقل وضوحاً وهي سائر الاسرار الأُخرى غير انهُ وان لم تكن مواد هذه الاسرار وصورها مفسرة بنوع واضح في الكتاب المقدس تتضح اتضاحاً كافياً من التقليد وتفسير الكنيستين اليونانية واللاتينية ان السيد المسيح رتبها . اما الكنيسة التي تسلمت ذلك من عروسها فانها نظراً الى صور الاسرار اي الكلمات السرية قد صنعت هكذا : فما كان منها واضحاً اعني مسلماً منهُ تعالى على نوع واضح ومخصصاً ومعيناً بالتحديد فقد حفظتهُ هكذا حسبما هو اي بحسبما تسلمتهُ وابقتهُ سالماً نظراً الى صورية الكلمات ونظراً الى مادتها ايضاً اي من حيث معنى الكلمات الصوريّ ومن حيث مادة اللفظ . وهذا واضح في سر المعمودية وسر القربان المقدس . واما ما كان منها اقل وضوحاً فقد حفظتهُ الكنيسة نظراً الى صورية الالفاظ لا نظراً الى مادتها . اذ قد يمكن ان تختلف الكلمات من حيث مادة اللفظ مع بقاء معناها الصوري الضروري لصحة السر . وهذا يبان

في سائر الاسرار الاخرى . ومن هذا القبيل كانت كلماتها الصورية مختلفة لفظاً عند الكنيستين اليونانية واللاتينية و بقية الطوائف . الاّ انها متفقة معنى . وما ذاك الاّ لانها لم توجد معينة بنوع واضح واخص في الكتاب المقدس . فمن ثم اخذت الكنيسة المعنى من الناموس الالهي نظرًا الى هذه الاسرار وحفظتهُ على انهُ لما قيل في الكتاب المقدس عن سر المسحة في رسالة القديس يعقوب الرسول (٥ : ١٤ و١٥) « و يدهنوهُ (المريض) بزيتٍ باسم الرب » واراد بذلك مادة السر . ثم قال « وصلوة الامانة تخلص المريض » واراد بذلك صورتهُ ولم يعين ويحدد الفاظ الصلوة رتبت الكنيسة صورة هذا السر بنوع الصلوة . ولذلك تستعمل في كل الكنائس بنوع صلوة اذ كان هذا هو المعنى الواضح من الكتاب المقدس . فحفظ مع اختلاف الالفاظ * وهكذا اذ عين السيد المسيح صورة سر التوبة بقولهِ (يوحنا ٢٠ : ٢٣) « من غفرتم » ومادتهُ بقولهِ « خطاياهُ » ولم يعين باية الفاظ يجب ان تغفر الخطايا حفظت الكنيسة هذا المعنى حسب معنى رسم المسيح الواضح . وهكذا حكم سائر الاسرار الاخرى . ومن ثم لم يقل احد انهُ يلزم حفظ الالفاظ عينها لحقيقة سر التوبة والمسحة وسر التثبيت والكهنوت كما يلزم حفظها لحقيقة سر المعمودية والقربان . وما ذلك الاّ لان صور تلك الاسرار لم توجد في الكتاب المقدس بكلمات معينة اما في سر المعمودية والقربان المقدس فقد وجدت كلمات معينة ومحددة لان السيد المسيح عين بوجه واضح و بين ما هي الكلمات الصورية التي يجب ان تستعمل في خدمة سر العماد وهكذا في سر القربان المقدس نطق بافصح عبارة واوضح وجهٍ بايّة كلمات يجب ان يكمل هذا السر اعظم سائر الاسرار شرفًا وعينها وحدّدها . ولم يكتفِ بهذا فقط بل انهُ قدّس بها ايضًا . وهذا ما يؤكد عندنا حقيقة تكميل السر بها لا بغيرها لان السيد المسيح عند ترتيبهِ هذا السر المقدس اولاً كملهُ بها بذاتهِ ثانيًا امرنا بوصية صريحة ان نكملهُ بها .

فالانجيليون اذًا اخبروا عن كلمات الاسرار الاخرى لكن كانها كلمات فرض السر اي ان السيد المسيح هكذا فرض وهكذا رتب . اما لما اخبروا عن كلمات القربان المقدس فلم يخبروا بها كانها كلمات فرض هذا السر وتقديسهِ فقط . بل كانها حاوية ايجابًا مثبتًا بسلطان المسيح اعني متضمنة حكمًا جازمًا وامرًا ملزمًا بالتقديس بها . وهذا يبان من استعمالهِ هذه الصورة عند فرضهِ لها خلاف استعمالهِ غيرها من صور الاسرار . وذلك ان المخلص لما فرض صورة العماد قال « اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم

الاب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) وحينئذٍ لم يعمد احدًا بتلك الكلمات .
لكنهُ رتب كيف يجب ان يستعمل الرسل المعمودية و يكملوها هكذا ايضًا لما فرض سر
التوبة قال : « من غفرتم لهُ خطاياهُ غفرت لهُ » (يوحنا ٢٠ : ٢٤) و بهذا القول جعل
الخطايا مادة لهذا السر وكلمات غفران الخطايا صورةً لهُ . ومع ذلك حينما قال هذا القول
لم يغفر ولا خطيئةً . وهكذا في سائر الاسرار * اما اذ قال « هذا هو جسدي » فثبت هذا
القول تثبيتًا عظيمًا لانهُ قدَّس بهذه الكلمات عينها حين فرض هذا السر . لانهُ كما شهد القديس
اوغسطينوس قال « هذا هو جسدي . وكان جسدهُ بكلمتهِ القادرة على كل شيءٍ » ونظيرهُ
قال ترتوليانوس في كتابهِ الرابع ضد مركيون « اخذ خبزًا ولما قسمهُ على التلاميذ صيرهُ
جسدهُ بقولهِ : هذا هو جسدي » وهكذا قال الذهبي فمهُ في العظة الخمسين على انجيل متى « قال
هذا هو جسدي . وثبَّت الفعل بالكلمة » ولذلك لم توجد في سرٍ آخر صورة واضحة ظاهرة
معينة محددة بهذا المقدار كما توجد في هذا السر المقدس

فصح اذًا ما تقرَّر أنَّ صور الاسرار جميعها رتبت وفرضت من السيد المسيح . غير ان
البعض منها اوضح في الكتاب المقدس من البعض الآخر . فالتي هي اكثر وضوحًا في الكتاب
المقدس مما سواها ومعينة الالفاظ حفظتها الكنيسة نظرًا الى المعنى والالفاظ معًا . واما
التي هي اقل وضوحًا من غيرها وغير معينة الفاظها فحفظتها الكنيسة نظرًا الى معناها .
و بما ان صورة سر القربان اي الكلمات الربية (اولاً) مرتبة من السيد المسيح كما ينبغي
لجميع صور الاسرار (ثانيًا) معيَّنة اكثر من سائر صور الاسرار لانها محررة بالفاظها ومعناها
في الكتاب المقدس (ثالثًا) قدَّس السيد المسيح هذا السر بها واكملهُ بنفسهِ (رابعًا)
امرنا امرًا واضحًا صريحًا بان نقدس هذا السر ونكملهُ بها فان اعتمدنا على الطلبات واهملناها
نكن قد تركنا واهملنا الجزء الاخص مما فعلهُ المسيح . ولا نكن قد فعلنا شيئًا . ولا يقال
ان المسيح كان يمكنهُ ان يقدس بارادة مستترة بغير كلمات لاننا نقول انهُ يجب ان
نلاحظ ونعتبر لا ما كان يمكنهُ ان يفعلهُ بل ما فعلهُ حقيقةً في نفس الامر نفسهِ في ما
كانت تقتضيهِ طبيعة الاسرار . فاذا كان تعالى قد قدَّس بكلمات ولم ينطق حينئذ
بكلمات اخرى غير هذه الكلمات الربية فقد قدَّس بها ضرورة لا بغيرها وامرنا امرًا
ظاهرًا ان نقدس هذا السر لذكرهِ كما قدس هو . والاَّ لكان امرنا بعمل هذا السر الذي
مارسهُ هو بوجهٍ ورسم لنا وجهًا اخر غير محقق لممارستهِ وتقديسهِ . وهكذا يحصل كمال هذا
السر اشرف كل الاسرار تحت الشك والارتياب . وهذا لا يقولهُ جاهلٌ فضلاً عن عاقل

قلت ثانياً ان الطلبات المذكورة لا يمكن ان تكون هي الصورة الحقيقية لهذا السر.
لانها في نفس الخدم المرتبة بها لا توجد متفقة بنوع واحد كما يجب لصورة هذا السر الفائق
سمواً على الاسرار كلها . وذلك لان القديس يعقوب الرسول يطلب بنوع التمني ❊ ان
ياتي الروح القدس و يصنع الخبز والخمر جسداً ودماً للمسيح ❊
وبهذا النوع يطلب القديسان اكليمنضوس و باسيليوس . ولكن لا ليأتي الروح
و يصنع بل ❊ ليظهر و يوضح الخبز المقدس جسد المسيح نفسهُ وما في الكاس دم المسيح
عينهُ ❊ اما فم الذهب فانهُ وإن اتفق مع يعقوب الرسول بالمطلوب يختلف عنهُ بالصيغة
لان الرسول المذكور يطلب بالتمني قائلاً ❊ لكي ياتي و يصنع الخ ❊ واما الذهبي فمهُ
فانهُ يطلب بصيغة الامر قائلاً ❊ واصنع اما هذا الخ ❊ بل ان هذا القديس يختلف عن
الجميع بنوع اخر . لانهُ على رأي المنكرين يقدس القديسون يعقوب واكليمنضوس
و باسيليوس كل جزء من المادة بمفردهِ اي اولاً الخبز ثانياً الكأس . اما هذا القديس
فعلى رأيهم وحسب ترتيبهم المزيد بخدمتهِ يقدسهما معاً وذلك لا بالكلام الموجود في
خدمة القديس يعقوب الرسول ولا بالكلام المرتب من القديسين اكليمنضوس
و باسيليوس بل بكلام اخر وفعل اخر اي بالبركة الثالثة اذ يقول على ❊ لينتقلا
بروحك القدوس وليستحيلا ❊ كما علم المتأخرون اصحاب هذا الرأي الفاسد . وهكذا
على رأيهم نفسهِ لا توجد هذه الطلبات متفقة بنوع ٍ واحد وطريقة واحدة في الخدم عينها
المرتبة بها . والحال ان هذا منافٍ لما يجب لصور الاسرار كافةً ولا سيما لما يجب لصورة
هذا السر الفائق جميع الاسرار من الوحدة والاتفاق والتعيين عند الجميع وفي الجميع .
فليست اذاً هذه الطلبات بالصورة الخصوصية التي رتبت من المسيح لهذا السر ولم ينزلها
الآباء القديسون هذه المنزلة

وان احتج عاضد اصحاب هذا الرأي الحديث الساقط في كتابهِ الذي الفهُ حديثاً
ضد الكلمات الربية بالطلبات المتضمنة استدعاء الروح القدس المتلوة بعد الكلمات
الربية في خدم بعض الطوائف مستنتجاً بل منغشاً من ذلك اي من اتفاق بعض هذه
الخدم بورود الطلبات المذكورة بعد الكلام الالهي انها هي الصورة الخصوصية للسر متخلصاً
من الجواب على قوة هذه البراهين التي وقف عليها في المحاورة الجدلية فلا يفيدهُ احتجاجه
شيئاً ولا يسندهُ البتة . لاننا ان سلمنا بوجود هذه الطلبات في الخدم المذكورة فهي مختلفة
جداً عن الطلبات المقدم ذكرها التي في خدمة القديسين يعقوب ومرقص واكليمنضوس

والابوين باسيليوس وفم الذهب وعن بعضها بعضًا ايضًا لانها مرتبة في كل خدمةٍ باسلوبٍ
يختلف بهِ عن ترتيبها في خدمة اخرى وهكذا لا توجد متفقة بنوعٍ واحدٍ وطريقةٍ واحدة
عند الجميع وفي الجميع كما يجب لهذا السر الفائق من الوحدة والاتفاق والتعيين والتحديد
عند الجميع وفي الجميع كما سبق تقرير ذلك . والّا لوجدت صورٌ كثيرة غير متفقة لسرٍ
واحدٍ ولا سيما لما تقتضيهِ حال هذا السر الفائق الشرف والجلال على جميعها

وقد قرّر علماء اللاهوت انهُ بمقدار ما تكون الاسرار افضل كمالاً واوفر شرفًا بمقدار
ذلك يجب ان يتعين لها اشارات اكثر وضوحًا واوفر تحديدًا وتعيينًا . ومن هذا القبيل
لما كان الناموس القديم غير كامل والايمان بهِ اقل وضوحًا لم يكن واجبًا ان تكون لاسرار
ذلك الزمان دلالة واضحة بهذا المقدار . اما اسرار الناموس الجديد فلانها كاملة في غاية
الكمال وتفوق سموًّا على تلك بشرفها وجب ان تكون اشاراتها اكثر دلالةً من تلك واشد
وضوحًا واوفر تعيينًا . وهذا الامر انما يتم بالكلمات الصورية اي بصور الاسرار افضل مما
يتمّ بموادّها لان لفظة مادة نظرًا الى الاسرار تعني جزء السر الذي يدل على النعمة
دلالةً اقل وضوحًا وتصريحًا . والصورة هي الجزء الاخر للسر الذي يدل على النعمة دلالةً
اجلى وضوحًا . ولهذا بما ان الماء في سر المعمودية يدلُّ على تطهير النفس الروحيّ دلالةً
اقلّ وضوحًا مما تدل عليهِ هذه الكلمات ※ انا اعمدك او يعمد فلان ※ سمي الماء مادة
والكلمات صورةً . وذلك لان الماء يمكن ان يُستدل بهِ على الغسل لاجل رطوبة طبعهِ
السيّال وعادة استعمالهِ لازالة الاوساخ الجسدية . وعلى التبريد لاجل برودتهِ اما حين
تقال الكلمات فلا يستدل بالماء الّا على تنقية النفس وتطهيرها الروحي . فمن هذا القبيل
كان يجب ان تكون صور الاسرار افضل وضوحًا واكثر تحديدًا وتعيينًا واجلى دلالةً
و يسمو ذلك على مقدار سمو السر وشرفهِ . ولا ريب ان السر الاشرف والافضل فيما بين اسرار
العهد الجديد هو سر القربان المقدس لانهُ حاوٍ حقًا سيدنا يسوع المسيح مصدر النعم .
فلذلك كان يجب ان توضع لهُ كلمات محدودة مخصوصة معينة منهُ تعالى دالة عليهِ اوضح
دلالة . والحال ان هذا لا وجود لهُ في الطلبات كما سبق تقرير ذلك . بل بالحري يوجد
بالكلمات الربية فمن ثم لم تكن الطلبات هي الصورة الخصوصية لهذا السر ولو متضمنة
استدعاء الروح لمعانٍ سرية نوردها فيما بعد

وان احتجّ خصومنا ايضًا بقولهم : ان اتفاق مرتبي الخدم بايراد هذه الطلبات بعد
الكلام الالهي لدليل قطعي على انها هي صورة السر الخصوصية

قلت ان كان على زعم المعترض ان اتفاق مرتبي الخدم (والاولى ان يقال بعضهم) بايراد هذه الطلبات بعد الكلام الالهي هو الدليل القطعي على انها هي الصورة الخصوصية للسر فلماذا لا يكون عليها اتفاق الكنيسة العام واتفاق كل مرتبي الخدم المستعملة عند جميع طوائف النصارى المختلفة بالطقوس بل بالمذاهب ايضاً اي الكاثوليكيين منهم والاراتقة والمنشقين الذين يستعملون خدمات مختلفة بعضها منسوب الى الرسل و بعضها الى خلفائهم القريبي العهد اليهم و بعضها الى الآباء القديسين القدماء منهم والمتأخرين بل بعضها الى احد الاراتقة المبتدعين حسب زعم الضد نفسه. فلماذا لا يكون هذا الاتفاق العام عند الجميع اذ ان هؤلاء كلهم يوردون الكلام الالهي في جميع خدمهم بنوعٍ واحدٍ وطريقةٍ واحدة وصيغة واحدة بالتعيين والتحديد و بدون ادنى ابدال وتغيير وزيادة كما هي محررة في الكتاب المقدس . بل بالفاظها ومعناها معاً فلماذا لا يكون هذا الاتفاق هو الدليل الاشد قطعاً والاكثر تاكيداً والاعظم اثباتاً واقناعاً على ان هذه الكلمات الربية هي الصورة الخصوصية لهذا السر وليس غيرها . افليس هذا البرهان اعظم تاكيداً واقرب الى التصديق والاقناع من ذاك . على انهُ لمن المحال ان يضلّ الاتفاق العام المجمع عليهِ الخصم مع خصمهِ ولا سيا اذا كان مؤيداً بما يقتضيهِ حال ذلك الشيء المتفق عليهِ وطبعهُ والحال انهُ مما تقتضيهِ طبيعة الاسرار وحالها الجوهري بالاستعمال الاّتكون صورتان مختلفتان في سر واحدٍ . وقد تقرر ان الطلبات مختلفة في كل الخدم الموردة فيها . اما الكلمات الربية فانها موردة في الخدم كلها بنوع واحدٍ وطريقةٍ واحدة وصيغة واحدة معينة ومحدودة عند الجميع كما يجب لجميع صور الاسرار ولا سيا لهذا السر الفائق جميعها . فالكلمات الربية اذاً هي صورة السر الحقيقية لا الطلبات؟

ولكن مع هذا جميعهِ ليسمع الخصم كيف هذه الطلبات المذكورة لم توجد عند جميع مؤلفي الخدم كما زعم . ولم يستعملها دائماً آباء كنيسة الله الجامعة الذين اكملوا خدمة هذا السر حقاً في كل الكنيسة . وهذا مما يتضمنهُ القول التالي

قلت ❊ ثالثاً ❊ ان الطلبات لم يستعملها الجميع ولم توجد عند جميع مؤلفي الخدم . وهذا الامر يمكن الاهتداء اليهِ واثباتهُ باستقراء كل اعصار الكنيسة من عهد الرسل الى الآن . وذلك (اولاً) انهُ في العصر الاول للمسيح اي في اوائل الكنيسة ومبادئها قبل ان يرتب الطقس الكنسي وتكتب الاناجيل والرسائل كان الرسل القديسون يقدسون بالكلمات الربية كما يشهد القديس غريغوريوس الكبير قائلاً : «انهم كانوا يتلون الصلوة

الربية و يلفظون للحين كلمات التقديس و يتممون الذبيحة » كما نبهنا في الفصل الخامس من القسم الاول . فاذًا لم يكونوا يقدسون بالطلبات ولم يكونوا يتلون كلام الرب بطريق الحكاية والخبر ثم يبتهلون و يتضرعون لكي ياتي الروح القدس و يقدس الموضوعات . بل للحين يلفظون كلمات التقديس التي هي كلمات المسيح حسب مفهوم الاباء ثم يتممون الذبيحة بالتناول والقبول . كما يشهد هذا القديس العظيم

ثانيًا واما في اواخر القرن الثاني للمسيح بعد كتابة الاناجيل والرسائل المقدسة وترتيب الطقس الكنسي فقد كان المؤمنون يكملون الذبيحة و يقدسونها با لكلمات الربية لا بالطلبات كما يشهد بذلك القديس يوستينوس الشهيد في جوابهِ الثاني لانطونينوس قيصر: بان ذبيحة الافخار يستيا كانت تستعملها الكنيسة على زمانهِ حسب النظام والترتيب المحرر بقولهِ المذكور الذي ثبتناهُ في الفصل الثاني عشر من القسم الاول حيث يوضح ان هذا السر كان يتم بالشكر بقولهِ « كان ياتي المترئِس و يتلو التضرعات حسب الامكان » يعني بعض افاشين وصلوات و بعد تلاوتها « يترنم » اي الحبر المترئس « بالشكر » ولا ريب ان مفهوم الشكر انما هو كلمات الرب لا غيرها بدليلين (اولهما) لان القديس يقول والشعب يصرخ عند تلاوة الشكر بابتهاج امين . ومن المعلوم ان الشعب لا يجاوب الاَّ على كلمات الرب لا على تلك الطلبات التي لا يسمعها ولا يجاوب عليها قط بلفظة امين لان الحبر لا يترنم ولا يعلن بها اصلاً بل تقال سرًّا في جميع الخدم الموجودة بها (ثانيهما) لان هذا القديس نفسهُ في الجواب المذكور يوضح جليًا ما هو هذا الشكر الذي بهِ يكمل السر حيث يقرر غاية التقرير ان هذا السر الالهي « يصير بتلاوة كلمة الله التي اخبرتنا عنها الاناجيل » ثم يوضح ما هي كلمة الله التي حررها لنا الرسل في الاناجيل فيقول « انهُ (اي يسوع) لما اخذ خبزًا وشكر قال اصنعوا هذا لذكري هذا هو جسدي وانهُ قال اذ اخذ كاسًا وشكر : هذا هو دمي . وناولهم وحدهم » اما الذي يؤيد ما ذكرناهُ اي ان كلمات المسيح تدعى شكرًا وهي المرادة من الشهيد بقولهِ المذكور فهو ان القديس ايريناوس في الفصل ٣٢ من كتابهِ الرابع ضد الارتقات يدعوها هكذا شكرًا حيث يقول مشيرًا الى السيد المسيح : انهُ « لما اخذ خبزًا من الخليقة وشكر قال هذا هو جسدي » فاذًا لما قال القديس يوستينوس ان التقديس يتم بالشكر الذي عند تلاوتهِ يصرخ الشعب بابتهاج وفرح امين انما فهم بهِ كلمات المسيح التي بها تتقدس الموضوعات وتستحيل لا بالطلبات التي تقال سرًّا ولا يسمعها الشعب . ومن ذلك ينتج انهُ في عهد هذين القديسين القديمين

كان سر الذبيحة يكمل بتلاوة الكلمات الربية لا بالطلبات

(ثالثًا) ما من احد تجاسر فافتكر ان هذه الذبيحة لا تتمُّ في الكنيسة اللاتينية ولم يستعملها احد من الآباء القديسين اللاتينيين كغريغوريوس الكبير واوغسطينوس ولاون العظيم والقديس امبروسيوس المنسوبة اليهِ الخدمة المذكورة بنوع اخص وغيرهم من الاباء والمعلمين الذين احترمتهم المجامع المقدسة وامرت بقبول تعليمهم . وقد عرفتهم كنيسة الله الجامعة من افاضل القديسين فهؤلاء جميعهم لم يستعملوا هذه الطلبات ولا وجدت في خدمتهم كما ذكرنا . وقد قدموا الذبيحة الطاهرة باكمل نوع لله *

غير ان المؤيد لاصحاب هذا الرأي الساقط يدعي انهُ توجد في خدمة قداسهم الفاظ كذا واذا سئل ما هي هذه الالفاظ يقول : انهُ قبل اصلاح قداس اللاتينيين كان يقال دائمًا بعد التقديس هكذا * فليصر امتزاج وتقديس جسد سيدنا يسوع المسيح ودمهِ لنا نحن المتناوليهِ للحيوة الابدية * اما بعد الاصلاح . فقد زيدت لفظة « هذا » وأُخرت لفظة « فليصر » فقيل هكذا « هذا الامتزاج وتقديس جسد سيدنا يسوع المسيح ليصيرا لنا نحن المتناوليهِ للحيوة الابدية » هذا ما اوردهُ المذكور زاعمًا ان هذه هي الصورة التي تتقدس بها الموضوعات عند اللاتينيين . وقد فات المعترض ان المبتدعين الاولين لهذا الاتحاد الذميم بما انهم اوفر منهُ علمًا وذكاء لم يتجاسروا ان ينكروا فاعلية كلام الرب كليًّا بالموضوعات . بل قالوا انها تكمل بهِ و بالطلبات وقد نسبوا تقديس السر عند اللاتينيين الى الفاظ اخرى غير هذه . وهي قولهم في خدمة قداسهم * نطلب اليك بخشوع ونتضرع ايها الاله القادر على كل شيءٍ مُرْ بان تقدم هذه المواهب بيد ملاكك القديس الى مذبحك العلوي . امام جلالك الالهي * كما زعم نيقوديموس كباسيلا امام مبتدعي هذا الرأي

ولا ريب ان عدم اتفاق الاضداد في ما بهِ قائم تقديس السر اي عدم اهتدائهم الى الصورة الحقيقية التي بها يتم تقديس السر لهو اشدّ الادلَّة قطعًا لضلال رأْيهم على ان الاقدمين من ارباب هذا الراي الفاسد مثل كباسيلا ومرقص الافسسي وساموناس الغزي والفلادلفي زعموا انهُ لتكميل السر يلزم مع الكلمات الربية تلاوة الطلبات وارادوا بالطلبات اصنع وما يليها . اما الطرابزوني واتباعهُ فزعموا ان الطلبات وحدها تكفي لتقديس السر واما الكلمات الربية فتقال بطريق الخبر حسب مذهب كباسيلا السابق . اما الظاهرون الان حديثًا فقد اختلفوا مع الطرابزوني في الطلبات عينها . لان المذكور زعم ان التقديس لا يتم باصنع والباقي بل نسبهُ الى الفعلين الدالين على طلب الاستحالة والانتقال . واخرون

اختلفوا برأيهم عن السابق ذكرهم . لانهم زعموا ان التقديس يتم عند الروم لا بقولهم : اصنع. ولا بالفعلين الدالين على الاستحالة . بل يتم قبل تلاوة الكلمات الربية والطلبات اي حين قول الكاهن ﴿ شكر و بارك وقدس ﴾ كما كتب استراتي . اما عند اللاتينيين فبا لكلمات المحررة آنفًا اي بقولهم : فليصر الخ مع ان راي كباسيلا انهُ يتم بقولهم : مُرْ ان نقدم هذه المواهب بيد الملاك كما سبق التنبيه على ذلك . افليس هذا الاختلاف وعدم الاتفاق في الامر الواحد بدليل واضح على ضلال رايهم وخبطهم خبط عشواء في اقوالهم ومثلهم كمثل الاعمى الذي يضرب الهواء

لكن لندع هذا البحث ونسال المعترض عما نحن بصددهِ بخصوص الكلمات المعترض بها من الخدمة اللاتينية : ما الذي ينتج من وجود تلك الكلمات المذكورة في الخدمة اللاتينية . فهل ينتج منها ما نقصدهُ اي انها تستعمل عندهم لتحويل السر وتقديسهِ . كلاَّ . على ان هذه الكلمات كيفما ركبت اي سواء تقدمت الفاظها او تأَخرت وسواء قيلت حسب التركيب القديم او الحديث كما يزعم لا تقال هنا كانها صورة فاعلة في السر كما وهم . بل تقال بمنزلة طلب وتوسل لنيل مفاعيل السر السرية كما يقال عندنا وعندهم مثلها كثيرًا في الخدمة وغيرها ولا سيما ما نقولهُ في المطالبسي لاجل هذه الغاية نفسها اي لنيل مفاعيل السر السرية * والدليل على صحة قولنا هذا اي ان هذه الكلمات لا تقال كانها صورة فاعلة عندهم حسب زعم الخصم بل تقال لاجل ما ذكرنا من نيل مفعولات السر أَنَّ الكاهن اللاتيني بعد تلاوتهِ الكلمات الربية التي بها تختص في خدمة القداس اللاتينية القوة المحيلة جوهري الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمهِ يقدم حالاً المقدمات للسجود . فماذا يقول المعترض هنا فهل يقدم الكاهن حينئذٍ خبزًا بسيطًا او خمرًا سادجًا للسجود الفائق المختص بالله وحدهُ لا اظنهُ يقول ذلك . وهذه النتيجة قد انتجها معلمون كثيرون منهم الكردينال بيساريون اليوناني من خدمة القداس اليونانية . لانهُ بعد ان يقول الكاهن بصوت مسموع ﴿ هذا هو جسدي ﴾ يجيب الشعب حالاً قائلاً ﴿ امين ﴾ اي حقًا فكانهُ يقول ان الذي قلتهُ هو حق كما سبق تقرير ذلك في الفصل الرابع هنا . فصح اذًا ان هذه الطلبات لم تستعمل من الجميع ولم توجد عند جميع مؤلفي الخدم من آباء كنيسة الله الجامعة الذين اكملوا حقًا خدمة هذا السر المقدس في كل اجيال الكنيسة . وان وجدت عند بعضهم فلم توجد متفقة بنوع واحد وطريقة واحدة كما يجب لصورة هذا السر الفائق من الوحدة والاتفاق عند الجميع وفي الجميع حسبما قررنا فاذًا ان كانت هذه

الطلبات لم تستعمل من الجميع ولم توجد عند الجميع فليست هي الصورة الخصوصية لتقديس هذا السر

وان قيل اليس تبريك الموضوعات بعد الكلام الجوهري حين تلاوة الطلبات يدل على عدم استحالتها حينئذٍ ولذلك يباركها الكاهن لان الرسول يقول : ان الادني يقبل البركة من الافضل

اجيب (اولاً) ان هذه البركات لا تستعمل بقصد ان الكاهن يبارك على المسيح نفسهِ الموجود حينئذٍ في الموضوعات . بل تستعمل بقصد ان يرسم الكاهن حسب الرتبة والطقس صليب المسيح . وان يبارك الموضوعات من حيث انها ذبيحتنا . و بهذه البركات يطلب ان يصير لنا المسيح المبارك في ذاتهِ ذبيحة مباركة انا ومنقذة

اجيب (ثانيًا) ان الكاهن باعتبار انهُ قائم مقام المسيح الذابح الاصلي و بشخص المسيح يبارك الذبيحة المقدسة لا بشخص نفسهِ بل نيابةً عن المسيح و بشخص المسيح فان كل ما يفعلهُ الكاهن من هذه الافعال انما يفعلهُ نيابةً عن المسيح و بالمسيح الذابح الاصلي فالمسيح اذًا هو الذي يبارك على ذبيحتهِ بيد الكاهن لتكون لنا ذبيحة مباركة ومقدسة

الجزء الثالث

في دحض الاحتجاج الثالث المأخوذ من خدمة القديس باسيليوس الذي يدعو الموضوعات بعد الكلام الالهي رسم جسد المسيح

الآن خصومنا يقولون: ان كانت الموضوعات قد تقدست فلماذا تدعى في خدمة القديس باسيليوس بعد كلام الرب رسم جسد المسيح في الافشين المقدم تحريرهُ في الجزء الاول اذ يقول ※ نتقدم بثقةٍ الى مذبحك المقدس . واذ قد وضعنا رسم جسد مسيحك ودمهِ المقدس※ والحال انهُ بعد التقديس لا يدعى رسماً اذ تكون قد وجدت الحقيقة فاذًا الخ

و يؤيدون احتجاجهم هذا بما جاء عن الدمشقي و بما ينسبونهُ الى المجمع السابع . وقد تقدَّم الجواب على ذلك في الفصل السابق . اما هنا فقبل الاخذ بحل هذا المشكل الماخوذ عن القديس باسيليوس نورد بعض قضايا واجبة الايضاح

اعلم انهُ في خدمة القديس باسيليوس توجد في الاصل اليوناني هنا لفظة ※ اندي

تيبيا ﴾ وهذه تترجم عربيًّا « عوض رسم » لان لفظة اندي معناها عوض او مكان وتيبيا
معناها رسم . ومن ثم بقولهِ ﴿ اندي تيبيا ﴾ كانهُ قيل عوض الرسم او مكانهُ . وهذه اللفظة
مع الفاظ اخرى تماثلها تستعمل للدلالة على عدة معانٍ كما قال بلرمينوس واركودبوس
وغيرهما كثيرون اخصها (اولاً) تستعمل للدلالة على التمثال الاصلي وعلى الرسم السابق
وبحسب هذا الاستعمال تطلق هذه اللفظة على الحقيقة عينها التي توجد رسماً للرسم وتمثالاً
لهُ . وبهذا المعنى كما زعم كثيرون من المفسرين دعا هامة الرسل المعمودية « تمثال الطوفان »
مع ان الطوفان كان رسماً للمعمودية لا المعمودية رسماً لهُ . فالمعمودية اذًا مع كونها الحقيقة
اخذت تمثالاً ورسماً للرسم وعوضًا عنهُ ومن هذه الجهة صح اطلاق هذه الالفاظ
عليها (ثانيًا) تستعمل لفظة رسم . وما شاكلها مثل صورة ورمز وشبه وعلامة الخ
بمعنى يقيني طبيعي . وبمعنى غير يقيني بل بمعنى متسع عام مستعمل من العامة . فتستعمل
هذه الالفاظ بمعناها اليقيني الطبيعي وحينئذٍ يفهم بها صورة شيءٍ ما بغير ان تقتضي
ضرورة الدلالة على غيابهِ بل انما تقتضي هذا وهو ظهور الشيء المصور والمرسوم بعلامة
ما خارجة ومحسوسة ولو كان حاضرًا ومحويًّا برسمهِ ورمزهِ . كما يتضح بهذه بالامثلة
الآتية : ان الحمامة التي حلَّ الروح القدس بشبهها على السيد المسيح تدعى من الآباء
القديسين ولا سيما القديس اوغسطينوس « علامة الروح القدس او صورتهُ » وهكذا
الالسنة النارية التي ظهرت على الرسل في عيد العنصرة تدعى « علامة الروح القدسي
ورمزه » مع ان الروح القدس كان حاضرًا بجوهرهِ حقًّا تحت صورة الحمامة والالسنة
النارية . بل ان الرسول نفسهُ يدعو ابن الله « صورة جوهر الله » (عبرانيين ١ : ٣) مع ان
اللاهوت حقًّا هو في الابن * وتستعمل هذه الالفاظ بمعنىً غير يقينيٍّ . وحينئذٍ يفهم
بها رسم شيءٍ غائب غير حاضر كما يبان بالتماثيل المرقومة والصور الغير الحاوية حقيقة
الشيء المصور بل رسمهُ فقط . فعلى موجب هذا التقرير ان لفظة رسم او صورة او رمز
بحسب معناها اليقيني تعني صورة حاوية ما ترسمهُ ومشتملة على الحقيقة عينها . اما بحسب
معناها الآخر المتسع الغير اليقيني فتعني رسماً اوصورةً حاوية حقيقة الشيء المصور او المرسوم

فاذ تقرر ذلك نجيب عن الاحتجاج المذكور نقول : لقد ذهب بعض العلماء الى ان
القربان المقدس يدعى بغاية الصواب ومن القديس باسيليوس من غيرهِ من الاباء
القديسين الشرقيين والغربيين « اندي تيپون » اي عوض الرسوم على حسب معنى هذه
اللفظة الاول بما انهُ تمثال لما كانت ترسمهُ تلك الرسومات والصور القديمة وترمز عن

جسد المسيح . لان الحرف اليوناني اندي الذي معناهُ عوض لهُ هذه القوة (كما قال المتضلعون من هذه اللغة) حتى انهُ يجعل لفظة «اندي تيپون» تدل على ما اعطيناهُ عوض تلك الرسومات القديمة وعلى ما وهب لنا بدلاً منها ومن ثمَّ تكون اللفظة المذكورة دالةً عند القديس باسيليوس على حقيقة السر بما انهُ مقدِّم هنا تمثالاً عوض تلك الرسوم القديمة وبدلاً منها ويؤيدون هذا الشرح بقول هامة الرسل المحرر آنفًا الذي يدعو المعمودية تمثالاً بالنسبة الى الطوفان مع انهُ كان رسماً لها وصورة . ولذلك لما قابل البطريرك اثناسيوس الخدمة العربية على الاصل اليوناني عبر عن هاتِه اللفظة هكذا ﴿واضعين عوض الرسم جسد مسيحك الخ﴾ فكأَنَّ القديس بذلك يقول: اننا الآن نتقدم الى مذبحك المقدس واضعين اي مقربين ومقدمين عوض تلك الرسوم القديمة او في مكانها حقيقة جسد مسيحك المقدس ودمهِ الكريم. اما تلك الرسوم القديمة كالخروف الفصحي والمنّ وتقدمة ملشيصاداق فقد كانت رسماً لحقيقة جسد سيدنا يسوع المسيح ودمهِ الكريم واشارةً لها وصورة وشكلاً

اما غير هؤلاء السابق ذكرهم فقالوا بادق فطنةٍ وعلمٍ: ان الآباء القديسين قد دعوا القربان المقدس «اندي تيپون» لا بالنسبة الى الخروف الفصحي ولا الى المن ولا الى غير ذلك من الصور والرسوم القديمة . بل بالنسبة الى ذاتهِ عينها . اي بالنسبة الى جسد الرب نفسهِ ودمهِ عينهِ . وذلك نظرًا لبعض اوجه سيأتي بيانها هنا . ومن ثم اتفق هؤلاء على ان هذه اللفظة تستعمل هنا وتؤخذ من الآباء القديسين للدلالة على القربان المقدس بحسب المعنى الثاني اليقيني الطبيعي اي لا بمعنى شكل ورسم وصورة تشابه الحقيقة شبهًا كاملاً كشبه الوجه ورسمهِ في المراة فقط . بل بمعنى رسم حاوٍ ما يرسمهُ ومشتمل على الحقيقة عينها ومستدلين على ذلك من حيث ان الآباء القديسين الشرقيين والغربيين يدعون الاسرار بعد تقديسها لا رسماً فقط بل اشارةً ايضًا وصورًا واشباهًا واشكالاً وعلاماتٍ بما انها تشير حينئذٍ وتدل وترسم وتصور لنا جسد المسيح المذبوح على الصليب ودمهُ المسفوك . فالقديس ديونيسيوس في الفصل الثالث من كتابهِ في الطغمة الكنسية يسميها «الاشارات الالهية» واوريجانوس يدعوها في كتابهِ الثامن «اشارةً» وفي غير هذا الكتاب يسميها «جسدًا رسميًا ومثاليًا وصورة» واوسابيوس يدعوها «اشارات الحقائق» وثاودوريطوس «الاشارات السرية» وترتوليانوس يدعوها «رسماً وشكلاً» والقديس اوغسطينوس يسميها «اشارة وصورة» واما غريغوريوس النازينزي وكيرلس الاورشليمي

والذهبي ثمة فيدعونها «رسوماً» لكن لا على مطلق الرسم باي معنى كان. بل رسوماً تتضمن في ذاتها الحقيقة عينها والشيء المرسوم نفسهُ. كما يتضح من شهاداتهم التي اوردها بتعيين اماكنها المأخوذة منها اولئك الذين تصدّوا لدحض هذا الراي المُضلّ ولا سيما العالم العلامة الشهير الشماس عبدالله زاخر في الفصل الخامس من كتابهِ المحاورة الجدلية

فباطلاً اذًا يحتج الاضداد بتسمية القديس باسيلوس الموضوعات رسماً أنها لم تكن تقدست بعد. لانها دُعيت رسماً بعد كلام الرب اذ انها تدعى بعد تقديسها هكذا لا من هذا القديس فقط بل من كثيرين من الآباء القديسين الذين اوردنا اسماءهم وغيرهم ايضًا لا نطيل الكلام بذكرهم. فهؤلاء جميعهم يدعونهُ رسماً بعد التقديس لثلثة اسباب

فاولاً يدعى القربان المقدس رسماً نظرًا الى جسد المسيح المشاهد في السماء وذلك لانهُ وان كان جسد المسيح عينهُ فهو هنا يقدم ذاتهُ تحت شكل الاعراض التي تشير اليهِ وهناك بالحقيقة بغير اشكال. هنا ننظرهُ بواسطة الاشكال التي تحجبهُ وهناك نشاهدهُ عيانًا بغير حجاب. كما قرر ذلك القديس امبروسيوس. والقديس مكسيموس ايضًا في تفسيرهِ اقوال ديونيسيوس. ونظرًا الى هذا الوجه يقول الدمشقي مشيرًا الى القرابين «ونسميها رسم المزمعات» كما اتضح في شهادتهِ التي اثبتناها فيما تقدم

ثانيًا يدعى القربان المقدس رسماً بنوع اخص من الاول لاجل اشكال الخبز والخمر المنظورة التي تشير الى جسد المسيح ودمهِ المحتوي بين ضمنها لانهُ كما يقول القديس كيرلس الاورشليمي في تعليمهِ الرابع في الرتبة المقدسة «اننا بكل حقيقة نتناول جسد المسيح ودمهُ. لانهُ تحت شكل الخبز يعطى لنا الجسد. وتحت شكل الخمر يعطى لنا الدم» ولذلك القديس يعقوب الرسول يدعو هذه الاشكال «حجابات الرموز التي تشتمل عليها هذه الذبيحة المقدسة بالاشارة» وكذا ايضًا يدعوها القديس ديونيسيوس في الفصل الثاني من كتابهِ في الطغمة الكنسية

ثالثًا يدعى القربان المقدس باخص نوع واحصر معنى «رسماً» نظرًا الى جسد المسيح في الآلام. وذلك لانهُ وان كانت ذبيحة القداس الالهي هي عين ذبيحة الصليب. من حيث احتوائها على حقيقتها. فهي مع ذلك رسم ذبيحة الصليب لان اعراض الخبز والخمر الموضوعين على المذبح بانفصال بعضها عن بعض ترسم لنا الانفصال الذي صار بين جسد المسيح ودمهِ عند آلامهِ وانفصال نفسهِ من جسدهِ عند موتهِ. فهي اذًا ترسم لنا حال المسيح عند آلامهِ وموتهِ. ومن هذا القبيل كان الخبز المقدس الذي هو جسد المسيح نفسهُ

رسماً لذاتهِ اذ كان مذبوحاً على الصليب والخمر المقدس الذي هو دم المسيح عينهُ رسماً لذاتهِ اذ كان مسفوكاً على الصليب وهذا نفسهُ قد اوضحهُ القديس امبروسيوس في الفصل الخامس من كتابهِ الرابع في الاسرار حيث يقول «ان تقدمة المذبح هي رسم جسد المسيح المذبوح على الصليب» ومثل ذلك الذهبي فمهُ يدعوها في عظتهِ الثامنة والثمانين انجيل متى «اشارة آلام المسيح وموتهِ» وفي عظتهِ الثامنة عشرة على رسالة بولس الى العبرانيين دعاها «رسم تلك الذبيحة» اي ذبيحة الصليب. وهذا هو مقصد القديس باسيليوس بتسميتهِ القربان المقدس بعد تقديسهِ رسماً . وهو المراد منهُ بقولهِ المذكور

فان قيل كيف ذبيحة القداس هي رسم ذبيحة الصليب . والحال انهما واحدة لا اثنتان كما تعتقد الكنيسة ولا ريب ان شيئاً واحداً نفسهُ لا يمكن ان يكون هو هو عينهُ رسماً لذاتهِ . فاذاً الخ * اجيب بتسليم الصغرى وتمييز اثباتها فاقول : ان الشيء الذي هو هو نفسهُ نظراً الى كل وجهٍ ومطلقاً لا يمكن ان يكون رسماً لذاتهِ مسلم . نظراً الى اختلاف الوجه منكر . على انهُ لا ريب في ان الشيء نفسهُ يكون رسماً لذاتهِ نظراً الى وجهٍ مختلفٍ كما يوجد هنا اختلاف الوجه في الجسد الالهي الموجود تحت شكل الخبز نظراً الى كونهِ مصلوباً على الصليب . فليس هو هو عينه من حيث الوجه . ومن ثم كانت هذه الذبيحة الالهية تذكاراً لتلك ورسماً . مع انها هي بالحقيقة . وانما هي تذكارها من حيث انها ترسمها وتمثلها باختلاف الوجه والطريقة او كانها تظهرها للاعين . وستقف على زيادة تقرير في هذا المعنى من جواب السؤال الثامن من السؤالات الاثني عشر الموردة في الفصل الاخير من خاتمة هذا الكتاب

فان كان اذاً القربان المقدس يدعى رسماً بحسب هذه المعاني الثلثة الابوية وذلك بعد التقديس نفسهِ فلا دلالة للاضداد على ان الموضوعات لا تتقدس بالكلام الجوهري السيدي من حيث ان القديس باسيليوس يدعوها رسم جسد المسيح ودمهِ بعد الكلام الالهي لان هذا القديس لا يدعوها هكذا بالمعنى الغير اليقيني المستعمل من غير الكاثوليكيين اي رسماً فارغاً خاوياً غير حاوٍ حقيقة الشيء نفسهِ المرسوم بهِ . بل بالمعنى اليقيني الطبيعي المستعمل من الآباء القديسين اي رسماً كاملاً يحوي الحقيقة عينها ويمثلها على انهُ وان وجد بعض الآباء القديسين قد انكروا ان القربان المقدس يكون صورة ورسماً فانما انكروهُ باعتبار المعنى الاخر الغير اليقيني المستعمل من العامة المنافي حضور الشيء المصوَّر والمرسوم . واما الذين اوجبوا ذلك اي دعوهُ صورة ورسماً فدعوهُ هكذا على المعنى اليقيني الطبيعي

الغير المنافي حضور الشيء المصور والمرسوم الذين كما قلنا فيما تقدم يجب ان نجعل اقوالهم الواضحة قياساً ودستوراً لفهم اقوالهم الغير الواضحة . وعليهِ فمن الاقوال الواضحة المعلومة والغير القابلة التأويل ينبغي ان نحكم على ما ليس هو نظيرها بالوضوح

الجزء الرابع

في بيان بطلان احتجاجهم الرابع بتسمية الموضوعات بعد الكلام الالهي خبزاً . وذلك من الخدمة نفسها

لكن يحتجون بقولهم : انهُ لو كان التقديس بكلام الرب لما كانت الموضوعات دعيت بعدهُ بالطلبات على حال ما كانت عليهِ سابقاً اي خبزاً وخمراً . والحال ان الآباء القديسين الالهيين يدعونها خبزاً وخمراً ولا يسمونها في ذلك الحين جسداً ودماً فاذاً الخ

فهذا هو احتجاجهم الرابع والاخير المأخوذ من الخدمة الدال على عقل لم يبق بهِ الغرض قوة للادراك فان المحتجين بذلك ان كانوا يجهلون نوع تكلم الكتب المقدسة واقوال الاباء القديسين فينبغي لهم في الاقل ان يحسوا وينتبهوا لما يقال تالياً للطلبات التي اعترضوا بها من خدمة القديس باسيليوس حيث هذا القديس بعد تلك الطلبات يدعو القربان المقدس خبزاً على الاطلاق . فيقول في الافشين المحرر هنا في الجزء الاول هكذا : ※ فنحن كلنا المشتركين بالخبز الواحد والكأس الواحدة صيّرنا متحدين بعضنا مع بعض في شركة الروح القدس الواحد ※ فماذا يقول هنا المعترض . فها هوذا القديس يدعو ايضاً القرابين على حالة ما كانت عليهِ سابقاً اي خبزاً على الاطلاق . اما لفظة الخمر فهي زيادة من المعترض لا ذكر لها في الرتبة في ما اعترض بهِ لانهُ يقال : وما في هذه الكاس . الخ . . لا هذا الخمر فهل يقول انها باقية بعد على حالها السابق وما تقدست ايضاً بالطلبات . فلا اظنه يسلم بذلك وهو يزعم ان التقديس يتم بالطلبات . ولكن فلنترك لهُ هذا ونسالهُ : كيف لم ينتبه الى ما يقال بعد ذلك بعدة مراحل في الخدمة المقدسة اي بعد رفع الكاهن الخبز المقدس حين شروعهِ في تفصيل الجوهرة من تنبيه الشماس القائل لهُ ※ قسم يا سيد الخبز المقدس ※ فيجيب الكاهن ※ يفصل ويقسم حمل

الله ابن الاب :الخ ﴾ وقبل ذلك يقال في التعيين بعد قول الشماس بروسخومن هكذا ﴿ والكاهن اذ يرفع الخبز المقدس يعلن القدسات للقديسين﴾ وايضًا بعد وضع الزاون يقال في التعيين ايضًا في طقس مناولة الشماس ﴿اما الكاهن فاذ يكون ضابطًا الخبز المقدس يقدمهُ للشماس والشماس ياخذ الخبز المقدس قائلاً الخ﴾ هذا وفي خدمة القداس البروجيازمانا كثيرًا ما تدعى القدسات السابق تقديسها خبزًا . فان كان اذًا يدعى القربان المقدس خبزًا على الاطلاق بعد التقديس فانّي للمعترض ان يستنتج من تسمية الابوين لهُ خبزًا بعد الكلام السيدي أنهُ لم يكمل تقديسهُ بهِ وكيف من لم ينتبه على ما يقال في الخدم المقدسة الداعية الجسد الالهي خبزًا كما قد اوضحنا لم يسمع قولهُ تعالى عن جسدهِ الاقدس نفسهِ « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء وإن اكل احدٌ من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذي اعطيهِ انا هو جسدي» (يوحنا ٦: ٥١و٥٢) وقول الرسول الالهي «الخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فانَّا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانَّا جميعنا نشترك بالخبز الواحد (١ كورنثوس ١٠: ١٦و١٧) ثم ان هذا الرسول في الفصل الحادي عشر من رسالتهِ المذكورة يدعو الجسد الالهي خبزاً ويكررهُ من العدد ٢٦ الى العدد ٢٩ ثلاث مرات قائلاً كل دفعةٍ تاكلون هذا الخبز . فكيف لم يسمع المتعنتون هذه الاقوال جميعها ليعلموا محققين ان القربان المقدس يدعى خبزاً بعد تقديسهِ . وإن تسميتهُ خبزاً لا تدل على عدم تحوّلهِ الى جسد الرب

فاعلم اذًا ان القربان المقدس يدعى خبزًا بعد تقديسهِ لثلثة اسباب (اولاً) لاجل الاشكال الخارجة . (ثانيًا) لاجل مفعولهِ السري الذي هو التغذية الروحية (ثالثًا) لان الخبز في الكتاب المقدس يطلق على كل طعام ايضًا (يوحنا ٦: ٣١ والمزمور ٧٧: ٢٤ والملوك الرابع ٨: ٣٢)

ولنختمنَّ هذه المباحثة بسؤال يقتضيهِ البحث هنا ويتوق الى معرفتهِ المستفهم دائمًا وهو: ان الذين يظنون ان التقديس لا يكون بقوة كلام المسيح بل بقوة الطلبات التي يلفظونها بعد كلام الرب هل يقدسون . ام لا

فيجيب عن ذلك المعلم الفاضل اركوديوس اليوناني الاصل انهم يقدسون حسب راي معلمي اللاهوت الاعم . وذلك لانهم ولو غلطوا في تصديقهم ان كلام المسيح الذي هو ﴿ خذوا فكلوا هذا هو جسدي . . وخذوا اشربوا هذا هو دمي ﴾ ليس هو بصورة حقيقية لهذا السر المقدس ان كانوا حينما يقدسون يقصدون بنية عامة ان يعملوا ما امر بهِ المسيح

بقولهِ « هذا اصنعوهُ لذكري » ولا تكون لهم نية خصوصية مضادة لهذه النية العامة فهم يقدسون حقيقة لان نيتهم العامة تصلح غلطهم مع نيتهم الخصوصية التي ليست هي مضادة لهذه النية العامة بل خاضعة لها. وذلك لان النية العامة تتقوى وتتغلب على النية الخصوصية لعدم مضادتها لها . واما ان وجد انسان متعامٍ جدًّا وغبي العقل ومفرط في معاندة الحق بهذا المقدار حتى انهُ ينفي منهُ هذه النية العامة التي تضاد نيتهُ الخصوصية . اي انهُ ان كان يقصد الّا يقدس الا بالطلبات وحدها التي هي بعد كلام الرب فهذا في الحقيقة لا يقدس

فان قلت معترضًا : كما ان من يغير مادة السر المقدس بزيادة مادة اخرى لا يمكن ان يصنع سرًّا حقيقيًا هكذا اذا تغيرت الصوره المرسومة من سيدنا يسوع المسيح لا يمكن ان يكون التقديس حقيقيًا . والحال انهُ بزيادة الطلبات على كلام المسيح كانهُ جزء لصورة هذا السر الالهي وصورتهُ الكاملة تتغير صورة التقديس المرسومة من المسيح فاذًا لا يمكن ان يكون تقديسًا حقيقيًا

قلت حقًا انهُ لاعتراض دقيق . ولكن يمكن ان يجاوب عليهِ بان الزيادة في المادة مما هو مختلف عنها نوعًا ان كانت معتبرة فهي تغيرها ولا تبقيها سالمة على حالها الجوهري الطبيعي . اما هذه الزيادة في الصورة هنا فلا تغيرها بل هي باقية على معناها لان الكلمات الربية الجوهرية تلفظ بحسب معناها وبالفاظها بل بترتيب الفاظها ايضًا

فان قلت ثانيًا انهُ بزيادة كلمات او كلمة واحدة ذات معنيين تصير صحة الصورة متعلقة بنية الخادم على رأي جمهور المعلمين اللاهوتيين القائلين ان فهم الكلمة بمعنى ذي ضلال يلاشي الصورة الحقيقية : مثلاً اذا زاد المعمد اسم الطوباوية مريم مع الاقانيم حين تلاوتهِ صورة العماد معتقدًا انها اقنوم الهي ايضًا فلا يصح السر لان الصورة تكون قد غُيرت تغييرًا جوهريًا . واما اذا تلفظ باسمها طلبًا لمعونتها للشخص المعتمد فيكون السر صحيحًا لان التغيير يكون حينئذٍ عرضيًا والحال ان الذاهبين الى هذا الرأي يعتقدون ان الطلبات ضرورية لتكميل السر بل هذه هي الصورة الحقيقية الخصوصية لهُ كما هم عليهِ الان فاذًا الخ

اجبتك انهُ لاعتراض ادق مما تقدمهُ الا ان النية العامة في المعاندين الماديين يصلح هذا الغلط الخاص كما سبق تقرير ذلك

القسم الثالث

من شرح القداس

يتضمن ايضاح مدلولات ما يشتمل عليهِ الجزء الثالث من الذبيحة

ان هذا القسم يبتدئ كما ذكرنا سابقًا من دعوة الروح القدس و ينتهي بانتهاء القداس و يشتمل على اثني عشر فصلاً

الفصل الاول

في ايضاح المعاني السرية المدلول عليها بالطلبات المتلوة بعد الكلمات الربية

ان الكاهن كما قررنا فيما سبق بعد ان يكون انتهى بالعمل الكهنوتي الى هنا اي الى ذكر اسرار السيد المسيح التي ابتدأت بموتهِ وانتهت بصعودهِ وهي المشتمل عليها الجزء الثاني من الذبيحة ينتقل حينئذٍ الى القسم الثالث والاخير منها الذي بهِ يذكر بقية اسرار السيد المسيح التامَّة بعد صعودهِ وهي موعد الآب اي حلول الروح القدس على الكنيسة المقدسة . واشتراك جميع المؤمنين بجسدٍ واحدٍ . وهذا ما نقصد ايضاحهُ في فصول هذا القسم التالية واحدها هذا الفصل . ولكن لكي يتضح بزيادةٍ ما نحن بصدد ايضاحه هنا يحسن بنا ان نلخص الآن بعض اشياء قد ذكرناها سابقًا . وبهذا العمل نمهد سبيلاً لفهم الامر المقصود بالاعمال الكهنوتية والطقوس التي تمارس في هذا القسم الاخير من الذبيحة فنقول :

لما كانت هذه الذبيحة الطاهرة هي رسم تلك الذبيحة الفريدة التي كملت على الصليب وهي هي نفسها بالذات والجوهر ودوام تقدمتها ولما كان ذكر ذبيحة المسيح يجب ان يتضمن ذكر بقية اسرارهِ المتقدمة من جملتها تلك الذبيحة الفريدة اراد الآباء القديسون مؤلفو الخدم الطاهرة ان يكملوا هذه الذبيحة اي ذبيحة القداس بحسب ذلك الترتيب الذي كملت بهِ تلك لتكون هذه باكمل نوعٍ راسمة لتلك . ومشيرة الى جملة اسرارها . وذلك باقسامها الثلثة

ففي القسم الاول الذي يبتدئ من استعداد المواهب و ينتهي بتقدمة التسبيح على الظفر يوضح الكاهن بالاعمال والكلمات المقدسة مبادئ سيرة سيدنا يسوع المسيح اي الامور التي حدثت له قبل الموت . فيشير برتبة استعداد المواهب الى انتخاب جسده من البتول وانولاده في بيت لحم ودلالة النجم عليه وتقدمة القرابين له من المجوس ووجوده في الناصرة وسكناه في كفر ناحوم ثم يشير بالانتيفونات الى تنبوء الانبياء عنهُ وورود السابق و بقراءة الرسائل والانجيل الى ارسالهِ تعالى رسلهُ لينشروا بشارة الملكوت والى تعليم المسيح شعبهُ ثلاث سنين قبل الامهِ . ثم يرسم بالايصودن الكبير اتيان المسيح الى الآلام من بيت عنيا الى اورشليم . فهذه هي الامور التي يرسمها الكاهن بالاعمال والكلمات المقدسة في القسم الاول من الذبيحة كما سبق تقرير ذلك في القسم الاول من هذا الكتاب

اما في القسم الثاني الذي قلنا انهُ يبتدئ بالتقديس نفسهِ و ينتهي بتقدمة الذبيحة فيذكر فيهِ الكاهن على الخصوص اسرار سيدنا يسوع المسيح المتوسطة التي ابتدأت بموتهِ وانتهت بصعودهِ وهي موتهُ وقيامتهُ وصعودهُ فيذكر موتهُ بالذبح السري الكائن بقوة الكلمات الربية . و يذكر قيامتهُ وصعودهُ بتقدمة تلك الذبيحة اذ يرفعها قائلاً ✻ التي لك من التي لك ✻ فهذه هي الاسرار التي يذكرها بهذا القسم من الذبيحة كما اوضحنا في القسم الثاني

اما القسم الثالث الذي يبتدئ كما قلنا من دعوة الروح القدس و ينتهي بانتهاء القداس والذبيحة فيرسم بهِ الكاهن بقية اسرار المسيح الغائية التي بعد صعودهِ لان السيد المسيح بعد تقدمة ذبيحة جسدهِ عنا لله الآب على الصليب ثم بعد قيامتهِ وصعودهِ الى السماء الذي هو كمال تقدمة ذاتهِ عنا لله ابيهِ استباح لنا بحسبما هو كاهننا وحبرنا الاعظم الوحيد موعد الآب الذي كان تقدم فوعد بهِ هو نفسهُ في انجيلهِ وعلى السنة انبيائهِ قائلاً : ✻ وسيكون في الايام الاخيرة اني افيض من روحي على كل ذي بشر ✻ (يوئيل ٢ : ٢٨ واعمال ٢ : ١٧) وهكذا افاضهُ على بيعتهِ بعد صعودهِ المجيد . وكان هذا هو السر الاول من اسرارهِ التي اظهرها بعد صعودهِ لان كمال ذبيحتهِ الطاهرة قائم في ان يشركنا بروحه بعد تطهيرنا ووفائهِ عنا بذبيحة جسدهِ وذلك لتقديسنا وتنويرنا ولاظهار بره تعالى بفيض مواهب الروح وآياتهِ . فهكذا اذاً هنا على موائد الكنيسة نرى الكاهن القائم بشخص المسيح يرسم جميع ذلك و يذكرهُ على انهُ بعد ان يقدس الذبيحة بكلمات المسيح الكاهن الاصلي والخصوصي ذاكراً بذلك اي بهذا الذبح السري ذبح المسيح على الصليب وموتهُ ، ثم بعد

ذكر قيامتهِ تعالى وصعودهِ الذي بهِ قدم ذاتهُ تقدمةً غائيَّة عنا لله الاب وذلك بتقدمة الكاهن الذبيحة المقدسة لله الاب عن كل شيء ومن جهة كل شيء ياخذ في الحال وعلى الترتيب يطلب موعد الآب ضارعًا الى الله وقائلاً ❊ ايضًا نقرب لك هذه الذبيحة النطقية الغيرالدموية ونطلب ونتضرع ونسال فارسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة❊ فكأ ني بهِ يقول: كما ارسلت روحك القدوس على كنيستك بعد ان قدم لك ابنك ذبيحة جسدهِ بصعودهِ المجيد كذا الان ايها الاله الصالح نقدم لك نحن هذه الذبيحة الناطقة الغير الدموية التي هي جسد ابنك الوحيد ومسيحك لترسل علينا روحك القدوس كما ارسلتهُ على رسلك الاطهار في الساعة الثالثة . لا علينا فقط . بل على هذه القرابين الموضوعة ايضًا اما علينا فلكي يخلق فينا قلبًا نقيًّا ويجدد فينا روحًا مستقيما واما على هذه القرابين فليباركها ويقدسها كما يقول القديس باسيليوس . وذلك بحسبما هي السر المرتب لتبريكنا وتقديسنا لتكون لنا مباركة ومقدسة . ولتظهر هكذا بتبريكها وتقديسها في انفس متناوليها❊ واصنع اما هذا الخبز فجسد مسيحك المكرم واما ما في هذه الكاس فدم مسيحك المكرم اذ انك تقلتها بروحك القدوس ❊ كما يقول الذهبي فمهُ اي اصنعها بروحك القدوس جسد مسيحك ودمهُ نظرًا الى مواهب النعمة والتقديس المختص فيضها بهذا الروح الالهي في هذا السر المقدس اما انا فاصنعها ان يكونا بفعلها السرّي جسد مسيحك المحيي ودمهُ المطهر الخطايا مظهرًا بذلك انك قد نقلتها بروحك القدوس وان هذا الخبز هو حقًّا جسد مسيحك المكرم وفي هذه الكاس هو حقًّا دم مسيحك المقدس . وليساها بعد خبزًا وخمرًا ساذجين ومن ثم قال القديسان باسيليوس واكليمنضوس في خدمتيها هكذا ارتض ان ترسل روحك القدوس على هذه القرابين ❊ لكي يوضح ❊ كما قال اكليمنضوس « ويظهر » كما قال القديس باسيليوس ❊ اما هذا الخبز الخ❊ فكانهما يقولان ليوضحها ويظهرها بالفعل السري في انفس متناوليها انها حقًّا جسد مسيحك ودمهِ

فانتج اذًا مما تقدم ذكرهُ ان هذه الطلبات المستعملة بعد كلمات الرب انما تستعمل هنا في الخدم المذكورة وغيرها من الخدم المحررة فيها هذه الطلبات لاجل ما ذكرنا . لا لتقديس الموضوعات كما زعم الاضداد اي انها تستعمل (اولاً) لذكر موعد الآب وهو حلول الروح القدس على الكنيسة المقدسة كما يقتضيهِ نظام الرتبة المتضمنة ذكر اسرار السيد المسيح (ثانيًا) تقال هذه الطلبات على الموضوعات لا لتصيرها جسد المسيح على الاطلاق وبكل وجهٍ كانها لم تصرْ بعد بل لتصير مفيدة للذين يتناولونها ولتظهر

هكذا بالفعل السري في انفس متناوليها

فهذا ما يراد بهذه الطلبات وهذا هو المعنى الخصوصي لها . و يتأكد ذلك باربعة ادلة (اولها) لان القديس اكليمنضوس والقديس باسيليوس لم يستعملا لفظة « اصنع » . لكن لكي يوضحا هذا المعنى بوجه بين استعملا كما حررنا لفظة « و يظهر و يوضح » فكانهما يقولان كما انهُ بالروح القدس ظهر سيدنا يسوع المسيح بوم اعتمادهِ واتضح انهُ ابن الله بالطبع و بعد قيامتهِ عرف انهُ البارّ القدوس وانهُ ليس بانسان ساذج ولكنهُ الهٌ بالطبع وذلك لكثرة العجائب والايات التي اجراها الروح على ايدي رسلهِ ولغزارة المواهب السماوية التي افاضها عليهم شهادة لبر المسيح وقداستهِ هكذا ليأتِ الآن روحك القدوس وليظهر الخبز انهُ حقًا جسد المسيح بعينهِ . وهذه الكاس دم المسيح نفسهِ وذلك بافاضة المواهب السماوية على نفوس متناوليها بايمان لكي يعرفا بذلك انهما حقًا جسد المسيح ودمهُ الاطهران لا خبز وخمر ساذجان

(ثانيها) : لان الجليل في القديسين باسيليوس نفسهُ بعد هذه الطلبات التي يزعمون ان التقديس يتم بها لسبب ان الروح القدس يدعى بها يبتهل ايضًا ان ياتي الروح القدس على القربان الموضوع ولاَّ يمتنع عن ذلك كما هو محرر في الافشين الثالث بعد هذه الطلبات . ثم في الافشين المرتب بعد الافشين المذكور يبتهل ايضًا هكذا قائلاً « فانت يا الهنا الذي قبلت هذه المواهب طهرنا » وهكذا الشماس يبتهل من اجل القرابين المكرمة التي قد تقدمت وتقدست . فاذًا كما ان هذه لا تدل على ان القرابين لم تمتلئ بعد من الروح القدس ولم تقبل من الحضرة الالهية بل تقال نظرًا الى الخادم ولفائدة الشعب المؤمن اي ليكون لنا السر المقدس مملوًا من مواهب الروح القدس هكذا تلك الطلبات المقولة قبلها لا تدل على ان الموضوعات لم تكن تقدست وتحوَّلت بالروح القدس حال تلاوة الكلام الالهي الذي هو الصورة الحقيقية لهذا السر . بل انما تقال لافاضة مواهب الروح القدس بالسر الالهي لكي يكون لنا الخبز المقدس والدم المطهر بفعلهِ السري كما هو في ذاتهِ

(ثالثها) لان من خصائص الروم انهم في بعض اسرار بعد ان يتلوا صورة السر المقدس التي بها يكمل السر وتعطى النعمة بفعل المفعول يقصدون ايضًا نيل زيادة النعم بفعل الفاعل . فيطلبون ان يأتي الروح القدس و يهب و يكمل و يفيض مواهبهُ وعطاياه الصالحة لا كانهُ لم يكمل ذلك السر بالروح القدس نفسهِ ولم تعطَ النعمة بل مبالغة في نيل زيادة النعمة المختصة بذلك السر وسعة فيضها واظهار فعلها . كما يفعلون مثلاً في سر الدرجة

حيث الحبر الرومي بعد وضع اليد وتلاوة الكلمات الصورية الخصوصية التي بها تتم الرسامة وهي قوله ❊ النعمة الالهية التي في كل حين للمرضى تشفي الخ ❊ يطلب ❊ لكي تاتي عليه نعمة الروح الكلي قدسه ❊ وعلى هذا النحو يطلب الروح القدس و يستدعى في سر التثبيت والمسحة وغيرهما بعد الكلمات الصورية . ولا تقال هذه الطلبات الاَّ لنيل زيادة النعمة وافاضة مواهب الروح القدس

❊رابعها❊ يتاكد ان هذه الطلبات انما تقال على القرابين بعد تقديسها لاظهارها بافاضة مواهب الروح القدس على انفس متناوليها انها حقًا جسد المسيح ودمه ولكي يكون السر الالهي مقدّسًا وغافرًا ومحييًا مما يتلى بعدها من التضرعات الدالة على ذلك عند مرتبي الخدم المقدسة وهذا يتضح اولاً من خدمة فم الذهب . لان القديس المذكور لا يقول على الاطلاق ❊ اصنع اما هذا الخبز الخ وما في الكاس الخ ❊ بل يشفع ذلك بقوله ❊ لكي يكونا للمتناولين منهما لعفاف الانفس . لمغفرة الخطايا . لشركة الروح القدس . لكمال ملكوت السماوات . للدالة اليك الخ ❊ وهكذا القديس يعقوب الرسول يضرع ملتمسًا حلول الروح القدس على الجسد الالهي والدم الاقدس قائلاً ❊ لكي يصيرا للمتناولين منهما لغفران الخطايا . لحيوة ابدية لتقديس النفوس والاجساد لايناع اثمار الاعمال الصالحة الخ ❊ ونظيرها يتضرع القديس مرقص الرسول قائلاً نحو القرابين «لكي تصير لنا باجمعنا نحن المتناولين منها لايمان . وطهارة . وشفاء . وعفة . وتقديس ولتجديد النفس . والجسد . والروح . ولشركة السعادة الابدية . ولعدم الفساد الخ» اما القديس اكليمنضوس فيتضرع ملتمسًا حلول الروح القدس على الذبيحة المقدسة قائلاً «لكي يوضح هذا الخبز جسد مسيحك . وهذه الكاس دم مسيحك . لكي يثبت المتناولين منها في حسن الايمان . ولينالوا غفران الخطايا . و ينجوا من ضلالة الشيطان . و يمتلئوا من روح القدس . و يصيروا مستحقين لمسيحك . و ينالوا الحيوة الابدية بما انك صالح ايها السيد الضابط الكل»

فهذا اذًا اما يراد بهذه الطلبات . فباطلاً اذًا يستشهد بها الخصوم لاثبات رايهم الفاسد على انهم لعدم فهمهم حقيقة معناها بل لغرضهم الردي يظنونها موافقة ومؤيدة لرأيهم الحديث . ولكن لنترك هنا هذا الفحص اذ قد تكلمنا فيه بنوع كافٍ في القسم الثاني ولنَعُد الى ما نحن بصدده فنقول : ان الكاهن بعد ان يقدم الذبيحة لاجل ما تقدم ذكرهُ يقدمها ايضًا عن المؤمنين المتوفَّين والاجداد الاولين والآباء ورؤساء الآباء والانبياء والرسل واخيرًا

عن روح كل صديق وعلى الخصوص لاكرام ذات كل قداسةٍ سيدتنا مريم وهذا سنوردهُ في الفصل التالي

الفصل الثاني

في ايراد ما يتلى بعد الطلبات المتضمنة دعوة الروح القدس

لما كانت الذبيحة تتضمن في دائرتها ذكر الثالوث الاقدس وذكر والدة الاله وسائر القديسين والاحياء والاموات كان الكاهن بعد التوسل الى الله لتصيير القدسات خلاصًا وتقديسًا لمتناوليها باستحقاق اي بعد دعوة الروح الكلي قدسهُ واستدعاء الثالوث بطريق الافراد والخصوص يشرع بذكر والدة الاله والقديسين والاحياء والاموات

ولايضاح ذلك اعلم ان الثالوث الاقدس يدعى في الرتبة المقدسة و يذكر اجمالاً وافرادًا . فيذكر اجمالاً في مواضع متعددة كما في الاعلانات المقدسة. و يدعى بطريق الافراد والخصوص منذ ابتداء الرتبة المختصة بالتقديس اي من حين وضع القرابين على المائدة بعد الايصودن الاكبر . وذلك لانهُ في هذا الوقت (اولاً) يدعى الآب بافشين وضع الاسرار على المائدة الذي به نقدم القرابين تقدمة ابتدائية لله الاب و بهِ يدعى لقبول الطلبات المقدمة مناولنكون اهلاً لهذه الخدمة الفائقة ولنجد نعمةً امامهُ و يسبغ علينا روحهُ القدوس وعلى القرابين الموضوعة . كما قررنا في الفصل ٩ ١ من القسم الاول . وهكذا لا نزال ندعوهُ مقدمين لهُ الشكر في كل من الافشينين المتأخرين عن افشين وضع القرابين والمتقدمين على كلام الرب (ثانيًا) يدعى الابن . وذلك ليقدس الموضوعات و يقربها بما انهُ الكاهن الاصلي والخصوصي . وهذه الدعوة تكون اذ ينتصب الكاهن متممًا بذاتهِ شكل المسيح تاليًا كلماتهِ الالهية بطريق الفاعلية على الموضوعات قائلاً بشخصهِ تعالى ✻ هذا هو جسدي هذا هو دمي ✻ فانهُ بهذا العمل نفسهِ يدعي الابن بقوة ميعادهِ و يحضر بشخص الكاهن الخادم مقدسًا بكلامهِ هذا الموضوعات كما قدس تلك (ثالثًا) يدعى الروح القدس وذلك اذ نقدم الذبيحة لله الآب التقدمة الاخيرة الغائية على كل شيء ومن جهة كل شيء . و يطلب هذا الروح الالهي لتقديسنا ولاظهار القربان المقدس بفيض المواهب الالهية انهُ حقًا جسد المسيح . وليصيرهُ لنا مفيدًا غفران الخطايا وحياة الابد . كما قررنا في الفصل السابق

وعلى ذلك نقول ان الكاهن اذ يكون قد استدعى الثالوث الاقدس على نحو ما ذكرنا و بلغ باستدعائهِ الى الروح الكلي قدسهُ يشرع في الحال بذكر القديسين على الخصوص . و بذكر ملكة القديسين وسيدتهم . ثم يتبع ذلك بذكر المتوفين مصليًا عنهم لاجل نياحهم ومن ثم يقول ﴿فنيحهم يا الهنا حيث يشرق نور وجهك﴾ اما القديسون فيذكرهم لا مقدمًا عنهم صلاةً وابتهالاً لكنهُ بالحري يقدمهم وسطاء وشفعاء اذ بعد ان يذكر و يعدد القديسين مبتدئًا بذكر الدائمة البتولية والقديس يوحنا الصابغ والرسل وجميع القديسين يردف قولهُ السابق فيقول ﴿الذين بطلباتهم افتقدنا يا الله﴾ وتؤثر الكنيسة تقديم وسيطة فوق جميع هؤلاء تلك التي هي عند الله ارفع واسمى من الخليقة كافة بالشفاعة والطلبة لانها هي العاضدة ايانا بايضاح ولذا لا تذكر سرًّا كالبقية . بل بصوت جهير . وذلك لكي يقدم لها الشعب الطاعة والخضوع وسجود العبودية الفائق على السجود المتوسط المقدم لجميع القديسين

وانما قلنا السجود الفائق على المتوسط . لان العلماء قسموا السجود الى ثلثة انواع . على مقدار انواع الشرف . . اي الهي و بشري ومتوسط بينهما ﴿فالشرف الالهي﴾ تخصهُ العبادة الالهية والسجود الفائق المختص بالله وحدهُ اما ﴿الشرف المتوسط﴾ فيختص بهِ السجود المتوسط كالذي يجب ان نقدمهُ لجميع القديسين ما عدا سيدتنا مريم العذراء التي بما انها تسمو شرفًا على جميع الملئكة والقديسين يجب ان نقدم لها السجود والكرامة بنوعٍ آخر اي لا الهي ولا متوسط بل فائق على المتوسط ودون الالهي . فاذًا لاجل هذا السجود الذي يحق لهذه البتول بما انها سلطانة جميع القديسين وارفع من الشاروبيم يهتف الكاهن رافعًا صوتهُ قائلاً ﴿خاصة ذات كل قداسة الطاهرة الفائقة المجيدة سيدتنا والدة الاله الدائمة بكارتها مريم﴾

الفصل الثالث

في تعظيمات والدة الاله مريم البتول

اما الشعب فحينما يسمع هتاف الكاهن بذكر البتول يشرع بالحال في مديحها وتسبيحها قائلاً مع الذهبي فمهِ ﴿بواجب الاستئهال حقًا نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البرية من جميع العيوب ام الهنا﴾ ومرتلاً مع قزما البار ﴿التي هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجدًا

بغير قياس من السارافيم ❊ لانهُ وان كان السارافيم يلهبون شوق الناس حبًا بالله . والشاروبيم يعلمون . والكراسي يحكمون . والقوات يخشفون والسلطات يلجمون . والرئاسات يستعطفون . ورؤساء الملئكة يبشرون . والملئكة يحفظون . فان البتول الكلية القداسة والنقاوة تقينا وتحفظنا اكثر من الملئكة . وتبشرنا اكثر من رؤسا الملئكة . وتستعطف لنا الاله اكثر من الرئاسات . وتلجم عنا الآلام المفسدة للنفس اكثر من السلطات وتحيط بنا اكثر من الكراسي . وتبرّرنا وتدبرنا اكثر من الارباب . وتعلمنا وتفهمنا اكثر من والشاروبيم وتضرم فينا محبة الله اكثر من السارافيم . ثم انهُ وان كان الملئكة يكملون الخدمة . ورؤسا الملئكة الشفاعات . والرئاسات العجائب . والسلطات ينحون الشجاعة . والقوات الرفعة . والارباب السلطان الكلي الذاتي . والكراسي يفوقون بالعدل . والشاروبيم بالحكمة . والسارافيم بالمحبة . فالبتول الكلية النقاوة تكملنا وتصيرنا اولادًا لله وخدمة ملكوتهِ بعد ان كنا خدام الضلالة والشيطان . ولا تفتر من ان تقدم الوسائل لله من اجلنا وتجترح آياتٍ لا تعداد لها . وتهبنا الشجاعة الحقيقية . وتعدّ لنا الملكوت الابدي . بما انها الوسيطة الفائقة بالعقل . وبكل كمال . والشفيعة من غير واسطة . وهي تبررنا . وهي تحبنا . وهي تحكمنا . فاذًا هي حقًا اكرم من الشاروبيم وارفع مجدًا بغير قياس من السارافيم وسائر الملئكة النورانيين . لا لاجل اتصافها بما اتصفت بهِ الملئكة فقط بل ايضًا لاجل امور اخرى اعظم من تلك جدًا لم تبلغ اليها الرتب الملكية اصلاً . وذلك لكونها هي ❊ التي بغير فساد ولدت كلمة الله ❊ وهذا شيء ما حصلت ولن تحصل عليهِ الملئكة . لانها حصلت بذلك على درجة الوالديَّة لله اي درجة من انتخبت لتكون والدة الاله خالقها ومن ثم تخاطبها الكنيسة بكل صدق وحق قائلة ❊ حقًا انك والدة الاله ❊ ولا ريب ان هذه رتبة تسمو كل رتبة سماوية وارضية . لانها جعلتها ملكة . والبقية خدامًا . واقامتها سيدة . والجميع يتشرفون بخدمتها . وفي هذا قال الذهبي فمهُ في ميمرهِ الذي لعيد البشارة « هلمّ ايها الملاك وصر خادمًا لهذا السر العظيم . واخدم عجبًا مخفيًا . فاذهب نحو مريم البتول . وانطلق نحو المدينة المتنفسة التي قال عنها النبي : قد قيلت فيك المسبحات يامدينة الله . امضِ الى الباب الذي نحو المشارق . امضِ الى مسكني الواجب الاكرام . امضِ الى السماء الثانية الكائنة على الارض . امضِ الى السحابة الخفيفة . وبشرها بوابل حضوري امضِ الى مقدسي الهيأ . امضِ الى خدر تأنسي . امضِ الى نحو الخباء الطاهر الذي لمولدي بالجسد . وتكلم في آذان التابوت المتنفس . وأعدّ لي مدخل السماع »

ولهذا المعنى استحقت هذه البتول الموصوفة بهذه الامجاد العظيمة ان تعظم من سائر الاجيال . كما سبقت فتنبأت هي في تسبحتها المقدسة . ومن ثم تثبت الكنيسة تسبحتها وتمجيدها وتعظيمها قائلة بغاية اللياقة والوجوب * لك نعظم *

تنبيه * اعلم ان الكنيسة المقدسة قد اعتادت ان ترتل في قداس القديس باسيليوس الكبير عوضاً عن * بواجب الاستئهال * * لك توجب السلام * لخ لاجل العجب المشهور الذي صار في القرن الرابع عشر في جبل آثوس في ايام فيلوثاوس البطريرك في رئاسة يعقوب البريكانا على الاسقيط المذكور بواسطة والدة الاله . وذلك على ما يخبر مؤرخو الروم : ان احد المرتلين واسمهُ غريغوريوس أُمر بترتيل هذه التسبحة في باراموني الظهور الالهي . فبعد فراغ السهرانة والجميع جالسون نعس هذا المرتل وادركهُ النوم فتراءت لهُ سيدتنا والدة الاله واقفة عند رأسهِ قائلة لهُ : خذ اجرة صلاتك يا ايها الاجير واني شاكرة لك كثيراً . قالت هذا وناولتهُ بيدهِ ديناراً . وقيل ان الدينار لا يزال معلقاً الى الآن على ايقونتها المقدسة . ومن ذلك العهد جرت العادة ان ترتل هذه التسبحة في قداس القديس باسيليوس كما ذكر صاحب كتاب منهاج الكهنوت [1]

الفصل الرابع

في تذكار الذبتيخة وما يتلى من هذا الحين الى تلاوة الصلوة الربية

ان تذكار الذبتيخة هو ذكر اسماء المؤمنين احياء كانوا ام امواتاً امام المائدة المقدسة الذي يصنعهُ الكاهن والشماس حين ترتيل تسابيح مريم العذراء [2] اما معنى لفظة ذبتيخة فقيل انها لفظة مشتقة من « بتيسو » التي معناها في اليونانية « طوى يطوي » « وذي » ومعناها « اثنان » فكانها لوحان منطبقان كلوحي موسى معاين الله . او دفتان كدفتي الكتاب مطويتان احداهما على الاخر ترقم فيهما اسماء المؤمنون وتحفظ داخل الهيكل الالهي بما انها جعلت تمجيداً للقديسين ولتعظيم المستقيمي الرأي ولدينونة رؤساء البدع وغيرهم من

١ انما جاء المؤلف بذكر هذا الخبر على سبيل النقل ليس الاّ

٢ اعلم انها لعادة قديمة هي ان تدرج في دفتر اسماء الاحياء من المسيحيين ثم اسماء المتوفين منهم واسماء المحسنين وان تذكر اسماء هؤلاء في رتبة القداس الالهي افراداً او مجملاً وهذا ما يؤيدهُ التقليد القديم المحفوظ بتدقيق حتى الان خصوصاً في كنائس الاديرة القانونية

المخالفين وفضيحتهم لكي يظهروا مقطوعين من شركة المؤمنين فيقرأُها الشماس في هذه الساعة امام المذبح بسماع الجميع . ثم يختمها بقولهِ ❊ ومن اجل الخاطرين بفكر كل احد وجميعهم وكاهنٍ قاطبة ❊ فكانهُ يقول : ان هذا الذكر يعم جميع المؤمنين قاطبةً رجالاً ونساء على السواء حتى الراغبين ذكرهم في عقولهم وقلوبهم ايضاً . ثم يعلن كاهن بذكر رئيس الكهنة قائلاً ❊ اذكر يارب اولاً رئيس كهنتنا فلان الخ ❊ وقديمًا قبل الانشقاق كان البطريرك يعلن باسم الحبر الروماني الجالس وقتئذٍ [1] واما الشماس فكان يقدم اسمهُ بالذكر حين قراءة الدبتيخة المتضمنة اسماء البطاركة . غير ان فوتيوس ازال الترتيب المذكور ثم اعيد بعده ودام الى حين ابطلهُ كيرولاريوس في القرن الحادي عشر

وان قيل ما السبب في ان الكاهن يعلن بذكر رئيس الكهنة جهارًا ❊ اجبتك لانهُ كما سبق فذكر معلنًا الدائمة البتولية مريم خاصةً بما انها سلطانة الجميع والمتقدمة على جميع المراتب السماوية والارضية . كذلك يذكر هنا رئيس الكهنة جهارًا بما انهُ المتقدم في جند الكنيسة المقدسة متوسلاً من اجلهِ لكي يصان سنين مديدة ذات سلامةٍ وكرامةٍ وعلى الخصوص ليكون مستقيم الراي قاطعًا بقول الحق الانجيلي . لاجل ان الكنيسة المقدسة قد أُصيبت كثيرًا . والايمان القويم تزعزع مرات عديدة من اخص رؤساء الكهنة والمسكونة بل الكنيسة نفسها قد ناحت كثيرًا لما اظلمت الشمس مرارًا والقمر لبث من غير اشراق لما سقطت الكواكب من سماء الكنيسة اعني الكهنة ورؤساء الكهنة زعماء الانشقاقات ورؤوس البدع او الارتقات الذين ظهروا ذئابًا خاطفة لا تشفق على الرعيَّة ولذلك يتبع الكاهن في الحال قولهُ المتقدم بقولهِ التالي متوسلاً الى الله قائلاً ❊ واعطنا ان نمجد بفم واحدٍ وقلبٍ واحدٍ الخ ❊ وبهذا القول يطلب الكاهن من الله الاتحاد المقدس الذى يجعل القلوب الكثيرة واحدة . ويخضعها لطاعة راس واحد وكنيسة واحدة . فكانهُ اذًا يقول : اعطنا يارب ان نتحد جميعنا بزمام المحبة التي من خاصتها ان تجمع القلوب

---

[1] اعلم اولاً ان عادة ذكر الحبر الروماني من البطريرك او الاسقف او الكهنة لم تزل محفوظة في الكنيسة اليونانية الكاثوليكية وهي جارية على هذا الترتيب اي ان كان البطريرك هو المحتفل بتقدمة الذبيحة الالهية ومعهُ اسقف وكهنة فهو اولاً يذكر الحبر الروماني ثم ان الاسقف يذكر البطريرك بدون ان يكون ذكر للاسقف وان كان المحتفل بالقداس اسقفًا فهو الذي يعلن بذكر الحبر الروماني وذكر البطريرك ايضًا واول الكهنة يعلن بذكر الاسقف واما ان كان المحتفل بالقداس الالهي كاهنًا فيذكر اولاً الحبر الروماني ثم البطريرك واخيرًا الاسقف المكاني . اعلم ثانيًا اذا كان المقدس كاهنًا ووجد وتتئذٍ احد الاساقفة الكاثوليكيين فمن اللياقة ان يذكر اسمهُ بدلاً من ذكر اسقف الابرشية ولو كان الحاضر من غير طائفة ايضًا

الكثيرة وتجعلها متحدة لكي نمجد ونسبح اسمك الكلي الاكرام . باعتقادنا بهذا القلب الواحد بايمان واحد . واعترافنا به بفمٍ واحدٍ * ثم بعد هذا الطلب يبتهل من اجل المستقيمي الرأي ملتمسًا لهم من الله النعمة والرحمة قائلاً : * ولتكن مراحم الاله العظيم مخلصنا يسوع المسيح مع جميعنا *

ولما كان من هنا فصاعدًا يبتدئ الجزء الاخير من القداس المتضمن تهيوء الكاهن والشعب الى تناول القربان المقدس كما نبهنا آنفًا كان الشماس يكرّر هنا تلاوة الطلبات المتضمنة التماس خيرات كثيرة ولا سيما السلام المرغوب الضروري وجوده جدًا في قلب كل من كان حاضرًا هذه التقدمة الرهيبة ولا سيما من كان عازمًا على تناولها قائلاً نحو الشعب * ايضًا وايضًا بسلام من الرب نطلب * اما الكاهن فانهُ يلتمس نعمة التأهيل لذلك . ومن ثم يبتهل بورع هاتفًا نحو الرب وقائلاً * واهلنا ايها السيد لان نجسر بدالة وندعوك ابًا غير مدينين يا ايها الاله السماوي ونقول * على ان الكاهن وان كان بقوله هذا يتوسل الى الله الاب ليؤهلنا الى تلاوة هذه الطلبة الربية بدالة وطريقةٍ مرضية لهُ والاّ نكون مدينين بتسميتنا الله ابانا الاّ انهُ مع ذلك يلتمس من الله نيل القربان المقدس باستحقاق خلوًا من دينونة . وهذا لا يمكن ان يكون الاّ منهُ جل جودهُ . فلهذا اذا اقتربت ساعة تناول الاسرار المقدسة لا يجب ان نطلبها الا من يد الله بما اننا بنوهُ . وهو متبنٍّ ايانا قائلين : ابانا ومدبرنا وخالقنا اعطنا اليوم خبزنا الجوهري المعروف بالقربان المقدس

الفصل الخامس

في تفسير ابانا الذي في السماوات المدعوة بالصلوة الربية

اعلم ايها المسيحي ان هذه الصلوة الربية هي افضل من جميع الصلوات (اولاً) لانها لم ترسم وترتب من انسان سادج بسيط بل من المسيح الذي هو إلاهٌ وانسانٌ معًا . ومن ثم ليست فقط افضل جميع الصلوات بل اقوى واقطع منها كلها (ثانيًا) لانها منظومة من حكمة الكلمة الاله المتجسد . فلذلك لم تحوِ شيئًا واحدًا فقط من لوازمنا بل جميع ما ينبغي لنا رجاؤهُ وابتغاؤهُ من الله (ثالثًا) لانها وجيزة المباني متسعة المعاني . كما سنوضح ذلك بطريقٍ مختصر وجيز (رابعًا) لانها رتبت بترتيب كامل لم يبقِ لاحدٍ سبيلاً الى طلب شيءٍ آخر . وهذا واضح حيث انها حوت سبع طلبات تتضمن مــا ينبغي لنا طلبهُ وطلب

النجاة منهُ ❊ فبا لطلبة الاولى ❊ نطلب مجد الله ❊ وبالثانية ❊ نطلب مجد التمتع بملكوتهِ ❊ با لثالثة ❊ حياة الروح اي النعمة « وبا لرابعة » حيوة الجسد اي القوت . واما في الطلبات الثلاث التالية فنطلب النجاة من جميع البلايا والاوصاب التي تصيبنا في هذا العالم من قبل خطيئة ادم . لاننا « بالخامسة » نطلب النجاة من الخطيئة الفعلية . ان كنا سقطنا بها من قبل ضعفنا ❊ وبالسادسة ❊ نطلب النجاة من اسباب الخطيئة ❊ وبالسابعة ❊ نطلب النجاة من جميع الشرور والبلايا. فمن ثم كانت هذه الصلوة اشمل وضعًا من جميع الصلوات حاوية ضمنها كل ما ينبغي للانسان ان يسالهُ او يسال النجاة منهُ . ولذلك الرسل القديسون لمعرفتهم شرف هذه الصلوة الالهية والفوائد المتصلة الينا من تلاوتها اوصوا المؤمنين كثيرًا في قوانينهم ان يلازموا تلاوتها

اما نحن فقبل ان نبتدئ بتفسير هذه الصلوة الربية الجليلة يلزمنا ان نشكر الله الذي ارتضى ان يكون ابًا للانسان الحقير المهان المستحق الجحيم لخطاياهُ مع انهُ الاله المتسامي جلالهُ مخولاً اياهُ ان يدعوهُ ابًا قائلاً بصوت جسور يتضمن دالة عظيمة هكذا

مقدمة الصلوة الربية

❊ ابانا ❊ انك تدعو الله اباك توضح انك لهُ ابنٌ وللمسيح اخ فيا لهُ من شرف باذخ عظيم . وعماد الرجاء وطيد مكين . فنحن اذًا في ابتداء صلواتنا هذه نذكر ان الله اب لنا . لا من حيث الخلقة والتربية فقط . بل من حيث انهُ خلصنا ايضًا وافتدانا بموت ابنهِ واذخرنا اولادًا لهُ بنعمتهِ وذلك لامرين (اولهما) لكي نتقوى بالرجاء لانهُ اذا كان الآباء الارضيون ولو اشرارًا يمنحون العطايا الصالحة لابنائهم فكم بالحري ابونا السماوي يعطي الخيرات بنيهِ الذين يسالونهُ (ثانيهما) ندعو الله ابانا لنعلم انهُ باطلاً يسال الآب السماوي من ليس هو ابنًا لهُ ان يطيع ناموسهُ

وان قيل لماذا ندعو الله ابانا بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد فاجيب لنعلم (اولاً) اننا جميعنا اخوة بالمسيح وليس فينا عبدٌ ولا حرٌ بل جميعنا اخوة اولاد ابٍ واحدٍ (ثانيًا) لنوضح بذلك اننا لا نسأل شيئًا لاجلنا فقط بل لجميع المؤمنين الذين هم اخوتنا . واننا نطلب لهم المنح المذكورة كما نبتغيها لانفسنا (ثالثًا) لنتذكر انهُ لا يجوز لنا ان نحتقر احدًا

ونبغضهُ او نضرهُ لانهُ اخونا وابن ابينا السماوي

﴿ الذي في السماوات ﴾ ان الله سبحانهُ وتعالى وإن حاضرًا في كل مكان (١) بقوتهِ وبحضورهِ وبذاتيتهِ يقال انهُ في السماوات خاصة وذلك (اولاً) لان السماوات هي المكان الذي يظهر بهِ تعالى مجد حضورهِ مشاهدًا من قديسيهِ وملئكتهِ متجليًا بالنور مظهرًا جوده ظهورًا كليًا (ثانيًا) يقال انهُ في السماوات لكي نرفع افكارنا والحاظنا الى السماء مجرَّدةً عن الامور السفلية الزائلة راجين بلوغ مدينتنا الثابتة حيث اعدَّ لنا الله ميراثًا ابديًا

الطلبة الاولى

« ليتقدس اسمك » هذه هي الطلبة الاولى التي نطلب بها تمجيد الله لان معنى قولنا ليتقدس اسمك : ليتمجد اسمك كما فسر الذهبي فمهُ . فكاننا بذلك نقول لله (اولاً) ليظهر وينشر مجد اسمك في العالم كلهِ وليكن معروفًا من كل واحد انهُ الاله الحقيقي . وليحب ويكرم ويعبد عبادة تليق بشأنهِ من حيث ان جميع الشرور التي في العالم انما صدرت من جهل اسمك القدوس (ثانيًا) نلتمس منهُ ان يتقدس اسمهُ الاكرم فينا نحن المؤمنين وذلك بترك الرذائل وممارسة افعال الفضائل وان نلبث اطهارًا قديسين الى النهاية ليتقدس اسمهُ بخلاصنا اوفر تقديسًا

الطلبة الثانية

« ليأتِ ملكوتك » بهذه الطلبة الثانية نلتمس منهُ تعالى ان يهبنا الملكوت الذي وعدنا بهِ بدم عهد ابنهِ . وان نحظى بالخيرات التي لم تبصرها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشري كما قال الرسول

الطلبة الثالثة

« لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض » بهذه الطلبة الثالثة نطلب حيوة الروح بطاعتنا للمشيئة الالهية على الارض وخضوعنا لها كما تخضع لها الملئكة في السماء لان هذا هو معنى هذه الطلبة : لتطع مشيئتك الالهية على الارض كما هي مطاعة في السماء فكاننا نقول : كما ان الملئكة في السماء يطيعون مشيئتك الالهية طاعة كاملة كلية حيث انهم لا يطيعون بشيء ويعصون بآخر بل يطيعونها كلها . هكذا نرغب ان تكون على الارض اي مطاعة من جميع الناس ومتممة منهم كلهم وفق ما تشاء

---

١ ان الله حاضر في كل مكان وفي جميع الاشياء بقوتهِ بما انها كلها خاضعة لسلطانهِ وبحضوره بما انها كلها بادية وظاهرة لعينيهِ وبذاتيتهِ بما انهُ حاضر في جميعها كعلة وجودها

الطلبة الرابعة

«اعطِنا خبزنا الجوهري" كفاءة يومنا» فالخبز يفهم بهِ هنا (اولاً) الخبز الروحي اي القربان المقدس وانما ندعوهُ خبزنا اذ ليس لاحدٍ حق بتناولهِ سوى اولاد الله الحقيقيين اعضاء الكنيسة الكاثوليكية فقط. ويدعى القربان المقدس خبزًا جوهريًّا لكونهِ يحفظ ويصون جوهرنا في الدهر الآتي كما قال الدمشقي[1]. يفهم بالخبز (ثانيًا) الطعام الضروري الذي لابدّ منهُ حسب ترتيبهِ تعالى لقيام الحيوة الجسدية. واشار الى هذا الطعام الضروري باسم الخبز ليزجر بذلك رغبتنا غير المرتبة الى الاطعمة اللذيذة المنفقة التي لا تدعو الضرورة اليها. واضاف هذا الخبز الينا اذ خولنا ان ندعوهُ خبزنا إِشارةً الى انهُ لايجوز لنا ان نرغب سوى الخبز المحصل بانعابنا بوجه الحلال والعدل الذي هو حقًا خبزنا لا الخبز المحصل من قبل الغش والسرقة والاغتصاب وغير ذلك من الوجوه المحرّمة الذي هو حقًّا خبز غيرنا لا خبزنا. ثم رتّب لنا ان نطلب هذا الخبز لكفاءة يومنا غير مهتمين بما للغد. وذلك لئلا نزعج ذواتنا باهتمامنا باليوم المستقبل لانا كما يقول فم الذهب لا نعلم ان كنا نبلغ مسافتهُ

الطلبة الخامسة

«واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن اساء الينا» من هنا تبتدئ الطلبات الثلاث التي نلتمس بها النجاة من جميع البلايا والاوصاب التي تصيبنا في هذا العالم من قبل خطيئة آدم. لاننا نرغب ان ينقذنا من الشرور السالفة والحاضرة والآتية. اما بهذه الطلبة الخامسة فنلتمس النجاة من الشرور السالفة. اي من الخطايا التي فعلناها ملتمسين منهُ تعالى ان يترك لنا ما يجب لعدلهِ الالهي علينا لسبب خطايانا صافحًا لنا عن الذنب. وتاركًا شر العقاب الواجب لهُ كما صفحنا نحن عمن اساء الينا وتركنا لهُ تلك الاهانة والضرر والظلم الذي فعلهُ بنا. ليغفر هو لنا ذنوبنا وخطايانا كما غفرنا نحن

تنبيه* اعلم ان كثيرين يتلون هذه الطلبة الالهية ولا يدرون انهم يحكمون بالهلاك على نفوسهم اذا لم يغفروا للناس سيئاتهم. لانهُ تعالى سيخزيهم في يوم الدين قائلاً لهم: من فمك ادينك ايها العبد الشرير

الطلبة السادسة

«ولا تدخلنا في التجارب» بهذه الطلبة نلتمس منهُ تعالى النجاة من الشرور المستقبلة

---

١ في كتابهِ ٤ في الايمان المستقيم الراس ٩٦

متوسلين اليهِ الاّ يسمح بتجربتنا . وان سمح بذلك لتدريبنا ونفعنا فلا ياذن ان نقهر منها مغلوبين بل يمنحنا نعمة الثبات والانتصار على التجربة

الطلبة السابعة والاخيرة

«لكن نجنا من الشرير» بهذه الطلبة السابعة والاخيرة نطلب النجاة من الشرور الحاضرة وان يسترنا من سهام الشرير الثائرة المحماة ويردها على رأسهِ ذلك الرجيم الذي لم يبرح زائرًا حولنا كالاسد طالبًا من يفترسهُ* ثم اننا نختم صلاتنا بقولنا امين وهذهِ لفظة عبرانية معناها فليكن هكذا كما سبق شرحها . فكاننا نقول ليكن لنا يارب ما التمسناهُ منك وتضرعنا اليك بهِ برحمتك يا ارحم الراحمين امين

الفصل السادس

في ايراد ما يتلى في القداس ويعمل بعد تلاوة الصلوة الربية الى حين تقسيم الخبز

ان الكاهن بعد الفروغ من الصلوة الربية المتضمنة طلب جميع ما نحتاج اليهِ من الخيرات يطلب للحاضرين السلام مباركًا اياهم اذ يلتفت نحو الشعب ويباركهُ قائلاً «السلام لجميعكم» ومعنى السلام هنا هو جميع الخيرات كما يفسر الذهبي فمهُ (في مقالتهِ الثالثة من تفسيرهِ رسالة كولوسي) فكأني اذًا بهِ يقول: فلتكن لجميعكم كل الخيرات التي التمستموها بهذه الصلوة . ولا ريب ان من يحصل على تلك الخيرات يكون مالكًا زمام السلام . وبما ان التماسنا هذه الخيرات هو من الله الذي نحن بهِ متعلقون يلزم ان نظهر لهُ خضوعنا على هذا النوع اي على النوع الذي نحن متعلقون بهِ تعالى . والحال ان تعلقنا بالله على نوعين (احدهما) من حيث هو ربنا ومولانا الاعظم (والاخر) من حيث هو رب سخيّ بسخاءٍ وجودٍ غير متناهيين ونظرًا الى هذين الامرين نلتزم ان نكرم الله ونخضع لهُ في النفس والقلب باطنًا . وبالجسد خارجًا . ولما كنا اكملنا الامر الاول بالصلوات والطلبات الابتهالية ولا سيما الصلوة الربية المتضمنة خضوع القلب لله . لزمنا اكمال الامر الثاني وهو قائم بخضوع الجسد الكائن باحناءِ الركب والرأس والسجود والركوع وامثالها من الافعال الخارجية المتعلقة بالجسد . فلهذا تامرنا الكنيسة قائلة: *فلنحن رؤوسنا للرب*

فكانها تقول بما انكم قد اظهرتم خضوعكم الباطن للرب الهكم فاظهروهُ ايضاً بخارجكم وليكن اظهارهُ باحناء الراس الذي هو افضل اجزاء الجسد واشرفها

ويجب على المؤمنين جميعاً حال سماعهم هذا الصوت ومتى رفع الخبز المقدس ان يحنوا رؤوسهم الى اسفل فلما يكون (ان لم يشاؤوا ان يجثوا على ركبهم) وذلك بورع وخشوع نازعين من عقولهم كل فكر عالمي متذللين نحو الله . مفتكرين بهِ وحدهُ فقط لكي يقبلوا النعمة التي يتوسل الكاهن بالافشين الذي يتلى بعد القول المذكور ان ينالها كل من احنى رأسهُ وانها تعطى لكل واحد حسب استحقاقهِ . ولهذا السبب نرى الكنيسة المقدسة في مثل هذه الساعة الرهيبة التي فيها ترفع القدسات تهتف بصوت عظيم بواسطة الشماس قائلةً ❊ بروسخومن ❊ اي فلننصت وكاني بها تقول فلنضع عقولنا هنا بحرص ولنغادر الارضيات ولنسمُ بافكارنا وضمائرنا نحو العلويات . وبالنتيجة لنكن قديسين باطناً وظاهراً . لنستحق ان نعطى القدسات الالهية التي انما يستحق اخذها القديسون فقط وهذا ما يعنيهِ الكاهن باعلانهِ التالي قائلاً بصوت جهير ❊ القدسات للقديسين ❊ لانهُ بهذا القول يشير الكاهن (اولاً) الى ما ذكرنا . اي الى ان القدسات انما تعطى للقديسين والصديقين المسيحيين فقط . ومن ليس بقديس فلا يدن ولا يقترب منها . بل فليتقدس ويتطهر بحميم التوبة والاعتراف النقيّ ثم يقترب الى قدس القديسين (ثانياً) يشير الكاهن بهذا القول . الى ان هذه القدسات الموضوعة قد نالت حلول الروح القدس . فقديسون لانتم يامن حظوا بهذا الروح . اما المؤمنون فيجاوبون الكاهن هكذا ❊ قدوس واحد ورب واحد يسوع المسيح في مجد الله الآب امين ❊ كأنهم يقولون للكاهن الذي دعاهم قديسين . حاشى . اننا لسنا بقديسين بل خطأة وغير مستحقين هذه التسمية . وانما القدوس واحد وهو يسوع المحب البشر . غير ان الكاهن يفرّح المؤمنين ويوطد رجاءهم بتسميتهِ اياهم بقولهِ المذكور قديسين . فكانهُ يناشدهم قائلاً : انا دعوتكم قديسين اما انتم فانكرتم ذلك على نفوسكم وخصصتموهُ بالسيد المسيح بقولكم : انما القدوس واحد وهو الرب يسوع المسيح . فاجيبكم . نعم ان القدوس واحد وهو يسوع . ولكنهُ قدوس بالطبع اما انتم فانكم قديسون ايضاً . لكن بالوضع لا بالطبع . اي بالمساهمة والمماثلة والنسك والعبادة . لا بالذات والجوهر والطبيعة

وان قيل على ماذا يدل رفع الكاهن الخبز المقدس حينما يعلن بهذه الكلمات اجيب : ان الكاهن اذ يكون سبق فذكر قيامة المخلص واشار اليها برفعهِ الموضوعات

بعد تقديسها قائلاً "التي لك من التي لك الخ" كما قررنا سابقًا يرجع هنا فيؤكد بهذا العمل المقدس ما كان سبق فرسمهُ قبلاً من قيامة المخلص من بين الاموات بذلك العمل والقول ايضًا * اما رسم الصليب الذي يصير حينئذٍ مثلثًا فوق وفي الوسط واسفل كما ذكر القديس جرمانوس فيشار بهِ كما فسر القديس المذكور الى معانٍ سرية (اولاً) يشار بتثليثهِ الى الثالوث الاقدس العادم التبلبل والتشويش . والى اتفاق مشيئتهِ اي مشيئة الثالوث بتألم الرب يسوع المسيح وموتهِ وسائر افعالهِ التي صارت كلها بمسرة الآب . واختيار الابن المساوي لهُ في الازلية وموازرة الروح القدس المسجود لهُ معهما (ثانيًا) يشار برسمهِ الى الجهات الثلاث . الى تقديس السماء والهواء والارض بالسيد المسيح * فالصليب الاول * الذي يصير فوق يدل على ان السماوات تقدست بقيامة المسيح وصعودهِ اليها « الصليب الثاني » الذي يصير في الوسط يدل على تقديس الهواء بصلب المسيح وصعودهِ « واما الصليب الثالث » الذي يصير اسفل فيوضح تقديس الارض بدفن جسد المسيح المحيي فيها . هكذا يقول القديس جرمانوس في المناظر السرية

الفصل السابع

في تقسيم الخبز المقدس

ان الكاهن بعد اكمالهِ الطقس المذكور في الفصل السابق يشرع في الحال بكسر الخبز المقدس اقتداء بما عمل السيد المسيح الذي بعد ان شكر وبارك كسر الخبز المقدس وناول تلاميذهُ القديسين . لان الكاهن بعد ان يكون بارك القربان بما تقدم من التلاوات وقدسهُ بحسبما هو ممثل شخص المسيح بكلماتهِ الربية عينها يشرع بكسرهِ ثم بتوزيعهِ بصمت وورع جزيل . وعلى هذا النحو يباشر تناول الاسرار الطاهرة ويستدعي البقية لتناولها فالشماس بعد ان يكون استعدَّ الى التناول يجب ناظريهِ ويتقدم بشوق والتهاب مضارعًا الشاروبيم قابضًا على زنارهِ يقول « قسم ياسيد الخبز المقدس » اما الكاهن فيشرع في تقسيم القرابين قائلاً : « يقسم ويفصل حمل الله ابن الآب الذي يفصل ولا ينتقص ويؤكل كل حين ولا يفنى اصلاً بل انهُ يقدس المشتركين بهِ »

وبهذا التقسيم يذكر الكاهن ويتأمل (اولاً) كسر الخبز الذي صنعهُ السيد المسيح في ذلك العشاء السري صانعًا ما صنعهُ المسيح نفسهُ . (ثانيًا) يلاحظ السيد المسيح متألمًا

اي ملطوماً مضروباً مجلوداً . مجرحاً . مصلوباً . صابراً على الم الموت والنزاع حتى انفصال النفس من الجسد . ولهذا يصير وقتئذٍ تقسيم الخبز المقدس شكل صليب اشارة الى ماذكر

تنبيه اعلم انهُ حسب ما ذهب الآباء القديسون وايمة علماء اللاهوت قاطبةً : لا يقع هذا التقسيم والتجزئة الملاحظان منا على الجسد الالهي بل على الاعراض المحسوسة فقط بعد التقديس . والاشارة الى هذا المعنى بقولهِ « الذي يفصل ولا ينتقص » فهو منفصل .نظراً الى الاعراض المحسوسة المنظورة . وغير منتقص نظراً الى الجسد الالهي الغير المنظور المحجوب بالاعراض السرية .وهكذا ينبغي ان يفهم هذا القول الآخر ايضاً وهو: «ويؤكل كل حين ولا يفنى اصلاً» لان فعل الاكل انما يقع على الاعراض لا على الجسد الالهي الغير القابل الآلام كما نبه القديس ايرونيموس وغيرهُ من الآباء الذين قالوا : كما ان السيد المسيح صبر على هذه الالام لاجل التدبير الخلاصي واما « جسدهُ فلم يرَ فساداً » حسب المقال النبوي (المزمور ١٥ : ١٠) هكذا في تقسيم القربان المقدس وتجزئتهِ لا يتجزأ فيهِ سوى الاشكال والاعراض فقط التي هي مادة السر القريبة .اما جسد الرب فلا ينقسم ولا ينقطع اصلاً .وذلك لان وجود المسيح في الجوهرة المقدسة وجود روحي كوجود الروح في الجسد .لانهُ كما ان روح الانسان كلها في كل جسدهِ وفي كل عضو من اعضائهِ وهي شيءٌ لا يتجزأ كذلك وجود المسيح تحت اشكال الخبز والخمر اي هو كالوجود الروحي الغير القابل التجزؤ . اعني كلهُ في الجوهرة وكلهُ في اصغر جزءٍ منها سالماً صحيحاً بجملتهِ وفي كل القرابين التي تتقدس في جميع آفاق العالم كما هو جالس من عن يمين الاب

وان قيل كيف يمكن لجسد عظيم وعالٍ كجسد المسيح ان يحتوي في جزءٍ صغير بهذا المقدار . فهذا لعمري امر يفوق العقل

اجبتك ان السؤال بكيف على ما اظن لا محل لهُ هنا . انما الواجب والحالة هذه خضوع العقل للايمان .اذ كان قوم زاغوا عن الايمان القويم لانهم لم يقدروا ان يدركوا قوة « كيف » مع انهُ كان يجب عليهم ان يفتكروا بهذا البرهان اللاهوتي المأخوذ عن قدرة الله لان الله لقادر على كل شيءٍ وكما انهُ ابدع الطبيعة وكونها كذلك يشاء تارةً ان يفعل ضدها [1] بقوة فائقة . ليظهر انهُ رب الطبيعة واله كل شيءٍ . فمن ثم كل خاصة

---

١ او فوقها او بدونها بحسب النوع الذي بهِ تعالى يخترع الاعجوبة ما انما لا يقال ان الله لا شى الشرائع الطبيعية التي سبق فحددها لكن يقال انهُ اوقف سبحانهُ مفعولها في حادث كذا . وفي هذا الباب بحث طويل لا يسعنا المقام لاستيفائهِ

توجد في الطبيعة يقدر الله على قلبها وتغييرها . وقصارى الكلام ان له الاقتدار على ان يصير جرمًا جسيماً يحتوي في مكان بل في نقطةٍ * اما البرهان الطبيعي المظهر امكانية هذه الاعجوبة فهو المرآة والعين . لان المرآة والعين الصغيرة تقبلان في ذاتها اجرامًا كبيرة من بشر و بيوت وجبالٍ واشجار وامثالها . وترسمانها لنا بكمالها رسماً ظاهرًا . فاذًا كيف لا يمكن ان حجمًا صغيرًا يحوي المسيح بكمالهِ

وان حاجَّ معترض بقولهِ : ان هذا الامر يصير في المرآة او في العين بطريقة روحية اي بالاشباح التي تنبعث اليها فنجيب ان المسيح ايضًا يوجد في القربان المقدس بطريق روحي كما قررنا آنفًا . فكانهُ روح قائم في نقط الجوهرة قيامًا روحيًا . بل نقول : ان الاشباح المذكورة ليست بروحية على ما يزعم المعترض . لانها موجودات طبيعية حقيقية . بل جسدية . لانها ملازمة لجسد . ومع ذلك نشاهد هذه الموضوعات معًا في المرآة او في العين بكثرة لا تحصى . فان كان ذلك يتم كل يوم على مجرى الطبيعة في الاشباح المقبولة في العين فكم بالحري يقدر الله بقوتهِ القادرة على كل شيءٍ ان يفعل مثل هذا باعجوبة فائقة بجسد المسيح في سر الافخارستيا . وقد توجد براهين اخرى طبيعية وهندسية تظهر امكانية هذه الاعجوبة وهذه اوردها العلماء في كتبهم . فمن كان مستفهمًا او مشككًا فعليهِ بمطالعتها هناك . اما انا وكل من كان كاثوليكيًا فاننا خاضعون لكل ما يعلمناهُ الايمان المقدس وتقدمهُ لنا الكنيسة للتصديق بحقائق هذا السر الفائق وحسبنا بما اوردناهُ بهذا الشأن اقناعًا ومؤونة كل برهان

اما قول الكاهن « لكنهُ يقدس المشتركين بهِ » فانما يفهم حسب تفسير القديس كيرلس الاورشليمي اننا نصير متحدين مع المسيح بواسطة تناولنا جسدهُ الالهي . حسب قولهِ في انجيلهِ « من ياكل جسدي ويشرب دمي . يثبت فيَّ وانا فيهِ » (يوحنا ٦ : ٥) واما كيف يتحد السيد المسيح بالمؤمنين في هذا السر . فقالت الآباء ان الاتحاد بالنسبة الى النفس يكون بواسطة النعمة . واما بالنسبة الى الجسد فان السيد المسيح يتحد بجسد متناوليهِ بنوعين (اولهما) يدوم معهم بحضور اقنومهِ الالهي ما دامت الاعراض السرية المقدسة . لانهُ يكون حينئذٍ محتويًا فيهم حقًا وموجودًا بوجود حقيقة لاهوتهِ وناسوتهِ . الاَّ انهُ تعالى انما يوجد فيهم بهذا النوع من الوجود مدة دوام الاعراض لاغير (ثانيهما) انهُ بعد زوال هذه الاعراض السرية ونوع هذا الوجود يستمر تعالى ثابتًا في متناوليهِ ومتحدًا فيهم (ان كانوا تناولوهُ باستحقاق) اتحادًا روحيًا وسريًا يفوق طور ادراكنا . لاننا اذ نتناولهُ بنوع

غذاء فعوضاً عن ان يستحيل هو الى جوهرنا نظير بقية الاغذية يحيلينا هو اليهِ و يصيرنا معهُ جسداً واحداً او روحاً واحداً سرياً . فنكون حقاً مقترنين معهُ تعالى وثابتين فيهِ ومتحدين معهُ ولكن باتحاد المحبة الخالصة، وهو ثابت فينا بالنعمة وبافاضة خواصهِ الروحية السرية لا في النفس فقط بل في الجسد ايضاً واخصها الحيوة الروحية كقولهِ تعالى «من يا كلني فانهُ يحيا لاجلي» (يوحنا ٦ : ٥٨)

الفصل الثامن

في ايضاح المعاني السرّية المدلول عليها بالزاون [1] اي الماء الحارّ الذي يمزج بالاسرار بعد تقديسها

بعد تقديم الخبز المقدس يقول الشماس نحو الكاهن ✻ كمل يا سيد هذه الكاس المقدسة ✻ اما الكاهن فيتناول الجزء المرسوم فيهِ اسم يسوع و يعمل بهِ شكل صليب على الكاس قائلاً ✻ كمال ايمان الروح القدس ✻ ويضعهُ فيها . و بهذا العمل المقدس تشير الكنيسة الى اتحاد جسد المسيح ودمهِ الموقرين . بما ان الجسد يتحد بالدم حسب الطبيعة وانما يقال بالروح القدس لانهُ لما كان هذا السر ينسب بنوعٍ اخص الى الروح الكلي قدسهُ باعتبار كونهِ من الافعال الخيرية المنسوبة اليهِ كما قررنا في سوابق اقوالنا ولما كان ايضاً خبز الذبيحة وخمرها قد استحالا الى جسد المسيح ودمهِ بما يفوق الطبع بحضور الروح القدس الذي يدعى لاستحالة الموضوعات مضمراً بقوة الكلمات الربية وكان جسد الهنا ودمهُ ليسا باثنين لكنهما واحد استحسنت الكنيسة التي رسمت انفصالهما بالذبح السري الكائن بقوة كلمات التقديس ان تجمع احدهما بالاخر بقوة هذا الروح نفسهِ قائلةً في هذا الوقت ✻ كمال ايمان الروح القدس ✻

اما نيقولاوس كاباسيلا فيشرح هذا القول هكذا . ان غاية آلام المسيح الموجودة في هذا السر وما يليها من الاقوال والافعال لا يكمل شيءٌ منها الاّ بحضور الروح القدس

[1] اعلم ان من تابعي الطقس اليوناني في مملكة النمسا والمجر من اوربا طائفة الروتانيين و يبلغ عددهم في هذه المملكة وحدها اربعة ملايين . هذه الكنيسة اليونانية الروتانية عقدت سنة ١٧٢٠ مجمعاً اقليمياً قانونياً فيهِ رسم آباؤهُ ابطال عادة وضع الزاون اي الماء الحار في الكاس المقدسة

عليها . ولذلك يكشف الكاهن اخيرًا هذا الحضور اذ يصنع الخبز المقدس في الكاس راسمًا ان تتميم الكاس هو كمال الايمان . وذلك بحضور الروح القدس المكمل الحضور الكائن بعد صعود المسيح . ولذلك للحين يتبع ترتيب وضع الزاوون المسلم الينا من التقليدات الابوية القديمة الذي يصير رسمًا مؤكدًا حلول الروح القدس على التلاميذ كألسنةٍ نارية وصير ورتهُ حينئذٍ تدلُّ على ذلك الوقت الذي انحدر بهِ الروح لانهُ لم ينحدر الّا بعد اكتمال امور المسيح جميعها . فتبعًا لهذا الترتيب لا يقدَّم الزاوون الّا بعد اكتمال القرابين المقدسة * وان قيل (اولاً) بسبيل الاستفهام : كيف يشار هنا بهذا الطقس الى حلول الروح القدس مع انهُ قد تقرر في الفصول السابقة بل اتضح من الرتبة أنَّ الاشارة الى حضورهِ قد تقدمت . وذلك بعد تقدمة الذبيحة بتلك الطلبات المتضمنة استدعاءهُ وطلب حضورهِ

فاجيب انهُ هناك بتلك الطلبات يطلب حضورهُ وحلولهُ . اما هنا فيرسم بطقس حسي حضورهُ وكيفية حلولهِ بوضع الماء الحارّ وهذا الطقس المصنوع هنا لا ينافي حضوره هناك . بل بالحري يؤكدهُ و يوضحهُ بما انهُ متعلق بهِ ومنتظم معهُ بسلك واحد غير منقطع . ولايضاح ذلك اذكر ما ذكرناهُ مرات ان الكنيسة المقدسة تقصد ان ترسم بهذه الذبيحة كل ما تضمنتهُ تلك الذبيحة الفريدة ذبيحة الصليب من الاسرار بنظام متصل . والحال ان نظام اسرار تلك الذبيحة كان على هذا الاسلوب . لان المسيح بعد تقدمتهِ ذبيحة جسده على الصليب وموتهِ قام وصعد . ثم ارسل روحهُ الكلي قدسهُ على تلاميذهِ حينما كانوا في العلية الصهيونية مثابرين على التضرع والصلوة ملتمسين حضور المعزي الذي وعدوا بهِ . فالكنيسة ترسم هنا بذبيحة القداس التي هي تذكار تلك وتذكر اسرارها بحسب ذلك النظام وترتيبهِ لان الكاهن بعد ان يذكر موت المسيح وذبحهُ بالكلمات السرية وقيامتهُ وصعودهُ بتقدمة الذبيحة لله كما قررنا سابقًا يلتمس بعد ذكر الصعود المجيد الذي بهِ قدم السيد المسيح ذاتهُ تقدمة غائية لابيهِ السماوي واستباح لنا بهذه التقدمة الروح المعزي ويطلب في الحال حضور هذا الروح نفسهِ تاليًا تلك الطلبات والتضرعات المتضمنة استدعاءهُ . ولا يزال ملتمسًا بالتضرع والطلب (كجماعة التلاميذ في العلية) حضور هذا الروح وحلولهُ من ذلك الحين الى الآن . ثم بعد انقضاء ابتهالاتهِ يعمد الى رسم حضورهِ وكيفية حلولهِ على الكنيسة في عيد البنديكستي مشيرًا الى ذلك بعمل حسي مقدس . وهذا العمل هو وضع الماء الحار في الكاس راسمًا بهِ حضور الروح القدس الذي حلَّ على جسد المسيح السري اعني

كنيستهُ بصورة النار

وان قيل (ثانيًا) لاي سبب يشار الى حضورهِ وحلولهِ بالماء الحار

فاجيب لان هذا الروح الالهي يعبر عنهُ بالماء كما في قولهِ تعالى « كل من يؤمن بي يجري من بطنهِ انهار ماء الحيوة » (يوحنا ٧ : ٣٨) وقال البشير في بيان ذلك انهُ تعالى انما قال هذا (مشيرًا) عن الروح الذي كان المؤمنون بهِ مزمعين ان يقبلوهُ . وهكذا ايضًا عبر عنهُ هذا الرسول في سفر الرؤيا داعيًا اياهُ « نهر ماء الحيوة صافيًا كالبلور وخارجًا من عرش الله والحمل » (رؤيا ٢٢ : ١٠) والحال ان هذا الروح الالهي قد عبر عنهُ في الكتب المقدسة بالماء وقد حل على التلاميذ بصورة السنة من نار . فمن ثم حسن جدًّا ان يشار اليهِ هنا بالماء الحارّ . ولذلك استحسن ايا كوبوس تفسير كباسيلا الذي يستفهم قائلاً: ما هو فعل آلام المسيح و بقية اسرارهِ . بالحقيقة ان تاملنا ذلك نظرًا الينا فليس هو شيئًا آخر الاَّ حضور الروح القدس في الكنيسة . فمن ثم لزم من ذلك ان يشار اليهِ من بعدها (اي ان يشار الى حضور الروح القدس بعد تاملنا اسرار المسيح والامهُ وموتهُ) والحال انهُ لا يدل على هذا الروح الالهي باوضح دلالة الاَّ بالماء الحار . الممتزج بالاسرار : وذلك لان هذا اذ كان يحوي طبع الماء وقد اشترك بالحرارة دلَّ دلالةً حسنة على الروح القدس الذي يعبر عنهُ بالماء وقد ظهر على التلاميذ منحدرًا كالنار . ولما كان هذا الروح الالهي لم يحلّ على التلاميذ الا بعد اكتمال الاشياء المختصة بالمسيح كان لا يمزج هذا الماء في القداس الا بعد اكتمال الاسرار وتقديسها . بما ان هذه الاسرار يعبر بها عن الكنيسة التي هي جسد المسيح السري واعضاؤهُ التي قبلت في ذلك الحين الروح القدس فهي تمزج بالماء الحار المدلول بهِ على الروح القدس . ويحقق هذا الدليل كلام الكاهن الذي اذ يبارك الماء الحار يقول هكذا « مبارك هو زاون اي حرارة قديسيك » وهكذا يؤيدهُ قول الشماس الذي يسكب هذا الماء في الكاس المقدسة قائلاً « حرارة الايمان المستوعبة من الروح القدس »

هذا ونقول : انهُ وان كان الآباء قد اخترعوا استعمال الزاون ليدلوا بهِ على حلول الروح القدس على جسد المسيح السري . لان هذا من جملة اسرار الذبيحة التي التزموا بذكرها . فهو مع ذلك لا يخلو من الدلالة على معانٍ اخرى مقصودة منهم واخصها معنيان (اولهما) انهم يريدون بهذا ان يوضحوا بزيادةٍ قوة العجيبة التي كملت بذبيحة الصليب وذلك لان الدم والماء جريا من الجنب السيدي حارّين لا باردين ولو كانا قد جريا

من جسد ميتٍ وعادم النفس فهو لم يكن خاليًا من اللاهوت . فمن ثم يوضع ماءٌ حار في الكأس حتى ان الذي يتناول من حافة الكاس يكون كانهُ قد وضع فمهُ على الجنب السيدي وقبل منهُ الدم والماء الحارَّين المحييين الصادرين من ذبيحة المسيح حال ذبحها . وفي بيان هذا السبب اورد المعلم اياكوبوس تفسير القديس جرمانوس قائلاً : ان الماء الحارَّ يضاهي الماء والدم اللذين خرجا من الجنب الالهي . وكما انهما خرجا حارين كانهما من جنبٍ حي هكذا من الواجب ان يكون الماء حارًا عند التناول لكمال رسم السر التام في من يتناول ثدي الكأس . اي لكي يكون المتناولون من الكاس الطاهرة كانهم قد دنوا بفمهم من الجنب المحيي واستقوا من هذا الجنب الفائض الحيوة نفسهِ * ثم يقول المذكور : لهذا السبب نرى القديس اندراوس الاقريطشي (في النسخة الثالثة في قانون يوم الاربعاء من الجمعة الكبيرة) يدعو جميع المؤمنين الى التناول بفم السيد المسيح قائلاً « هلم اشربوا من الدم المسفوك من ذبيحة الجنب الالهي » لانهُ كما ان الذي يخرج من الذبيحة المذبوحة حالاً يكون حارًّا مزبدًا بل حيًّا لان الذبيحة في حال خروج دمها تخرج حياتها وروحها هكذا السيد المسيح في خروج دمهِ الذي نشربهُ حارًّا يسكب فينا الحيوة الخالدة وروحهُ كلهُ

(ثانيهما) يريد الآباء بالزاون ان يشيروا بحرارة الماء الى ان الجسد الالهي المذبوح ذبحًا سريًّا والدم المقدس المسفوك سفكًا سريًا هما محييان . لانهُ وان كان بذبيحة الصليب قد فصلت نفس المسيح من جسدهِ فان اللاهوت لم ينفصل عنهُ ولا افعال الروح بجملتها لان ما اتخذهُ مرةً لم يتركهُ اصلاً . وفي بيان هذا المعنى استشهد المعلم اياكوبوس كوار المقدم ذكرهُ بتفسير سمعان التسالونيكي في كتابهِ عن الهيكل حيث يقول : ان الكاهن بوضعهِ ماء حارًّا في الكاس يشهد ان جسد المسيح المائت لا يزال محييًا . لانهُ لم ينفصل عنهُ اللاهوت ولا افعال الروح بجملتها . لان الماء الحار يتضمن قوة حية بالحرارة . فكانهُ يقول : انه قد جرت قوة حية مشارٌ اليها بحرارة الماء من جسد المسيح الخالي من النفس ، ولكن الغير المجرَّد من اللاهوت . ثم يقول اياكوبوس : انهُ لهذا السبب قال ثاودوروس بلصامون في شرحهِ القانون الثاني والثلثين من قوانين مجمع ترلوس هكذا : انهُ قد خرج دمٌ وماءٌ حارَّان من الجسد الالهي بعد موتهِ محييان بما انهما من جسدٍ محيٍ

وقد سأل بلصامون المذكور ومتاوس بلساربوس سوًّا لاً قائلين : لماذا لا يمزج

الماء الحار قبل هذا الوقت [1] لكي يمزج بعد التقديس وفي هذا المحل

فيجيب عن ذلك بلصامون قائلاً :انهُ لو وضع قبل التقديس لكان يصير بارداً في وقت التناول فتنتفي حقيقة التأويل

فانتج اذاً مما تقدم تقريرهُ (اولاً) ان رتبة الزاون لم تستعمل عبثًا بل لاسباب سرية تقتضيها رتبة الذبيحة اي لكي يشار بها الى امور سرية لتمام رسم ذبيحة الصليب. واخصها ثلثة اولها اشارة الى حلول الروح القدس على جسده السري اي الكنيسة التي حلَّ عليها بعد اكمال الاشياء المختصة بالمسيح. ثانيها لزيادة ايضاح قوة الاعجوبة التي كملت بذبيحة الصليب بالدم والماء اللذين جريا من الجنب السيدي حارَّين لا باردين. ثالثها للدلالة على ان الجسد الالهي المذبوح ذبحًا سريًا والدم المقدس المسفوك سفكًا سريًا هما محييان و بالتالي ان جسد المسيح الميت لم يزل محييًا

انتج (ثانيًا) ان رتبة الزاون هي قديمة في كنيستنا الشرقية وقد رسمت من آبائنا القديسين. و يشهد لنا بحقيقة ذلك تفسير القديس جرمانوس لها. اما المعلم اللاهوتي بطرس اركوديوس اليوناني الاصل الكاثوليكي المذهب. ففي كتابهِ الثالث في القربان المقدس الذي فيهِ يدحض ببلاغة عظيمة غلطات بعض الروم الذاهبين الى ان الاجزاء لا تتقدس وكلام الرب لا يقدس الموضوعات يقول ان الابوين المعظمين باسيليوس وفم الذهب استعملا هذا الطقس نفسهُ. وقد مدح هذا الطقس من الكتبة اللاتينيين وسئل عنهُ في المجمع الفلورنتي وقُبل

الفصل التاسع

في ايراد رتبة تناول الاسرار المقدسة

راجع هنا اولاً ما سبقنا فنبهنا عليهِ في الفصل الاخير من مقدمة هذا الكتاب. وما كررناهُ ايضًا في مواضع اخرى حيث ذكرنا ان القسم الثالث والاخير من الذبيحة يشتمل على ذكر بقية اسرار السيد المسيح التامَّة بعد صعودهِ وهما سران احدهما حلول الروح القدس على جسد المسيح السري اي على كنيستهِ المقدسة ثانيهما اشتراك هذه الكنيسة بجسده

١ قبل التقديس عند طعن الخبز مثلاً حين تهيئتهِ للذبيحة الالهية وهو وقت ذكر اتحاد قدسي الله بهذه التقدمة الفائقة وذكر خروج الدم والماء من جنب الخروف النقي

الالهي الاقدس اي تناول جميع المؤمنين القربان الطاهر . فالكاهن اذًا بعد انتهائهِ من ذكر السر (الاول) الذي ينتهي بانتهاء رتبة الزاون يعمد الى ذكر السر (الثاني) اي الاشتراك بجسد سيدنا يسوع المسيح . وهذا الامر هو اخر اسرار الذبيحة

اما رتبة التناول الجارية الان بالعمل فيوضحها كتاب القنداق والعادة المستعملة الان في كنائسنا الرومية . اما قديمًا فكان الخبز المقدس يعطى في يد المسيحيين . ولو كانوا عالميين رجالاً ونساءً . اما النساء فكان يعطى لهنَّ على (الكاليما) . اما الرجال فبيدهم . وطقس تناولهم هذا الجسد الالهي كان هكذا : ان المتقدم الى هذا السر كان يضع يدهُ اليمنى على يدهِ الشمال شكل صليب و ياخذ الجسد الالهي بكفهِ وفي الحال يطبق يدهُ عليهِ باحتراس . ثم بعد تلاوة الطلبات الواجبة قبل التناول يدني يدهُ بورع الى فمهِ و يتناول الجسد الالهي كما اخبر المعلم اياكوبوس في كتابهِ في رتب اليونانيين ومما يزيد ذلك تاكيدًا هو تعليم القديس كيرللس الاورشليمي في عظتهِ الخامسة حيث يخاطب المتقدم الى تناول الاسرار قائلاً « ان كنت عتيدًا ان تتناول القربان المقدس فلا تتقدم وكفك منبسطة . ولا اصابعك مفترقة. بل اجعل الشمال كرسيًا لليمين العتيدة ان تتناول الملك السماوي . وخذ جسد المسيح . بيد مجوَّفة تاليًا لفظة امين

وان سالت الى كم استمرَّت هذه العادة . ومتى زالت

اجبتك ان هذه عادة تناول العامة الجسد الالهي بايديهم كانت سالكةً بوجه العموم في جميع الكنائس الى عهد الذهبي فمهُ الذي كان اول من منعها لسبب تلك الاعجوبة المشتهرة التي جرت بالمرأة الارطوقية المتدنسة ببدعة مكدونيوس التي اذ تناولت الاسرار بيدها من فم الذهب نفسهِ لم تأكلها بل اخفتها في يدها ودفعتها لجاريتها لكي تتناول هي قربان الاراطقة فلما تناولتهُ صار حجرًا بفمها . فمن ثم منع القديس ان يعطى العامة الجسد الالهي بيدهم . بل بملعقة لطيفة كالعادة الجارية الآن في الكنائس اليونانية . فهو اذًا كان اول من انشأ التناول بالملعقة لكن هذا الترتيب الذي ابتدأ في ايامهِ وايام اركاديوس الملك لم ينتشر سريعًا الى جميع الكنائس حيث ان هذه عادة تناول الشعب بالاكف استمرت الى زمان القديس يوحنا الدمشقي في بعض اماكن حسبما اخبر هذا القديس نفسهُ في الفصل الرابع عشر من كتابهِ الرابع في الايمان كما حقق ذلك المعلم اياكوبوس موردًا كلام الدمشقي القائل « لنتقدمنَّ الى الجسد الالهي بشوق مضطرم . ونتناول جسد المصلوب مرتبين ايدينا شكل صليب . ومنكسين رأسنا نحوهُ . محدقين اليهِ باعيننا .

ومثبتين نحوهُ شفاهنا . لنصير شركاء الجمرة الالهية » الآ انهُ لما انتشر منع العامة عن قبول الاسرار الالهية في يدهم ولم يعد يجوز لهم اخذها الا بالملعقة حسب وصية فم الذهب جرت العادة السالكة الآن في كنائسنا اي ان روؤسا الكهنة والكهنة والشمامسة الانجيلية يتناولون داخل الهيكل . اما العامة فخارجًا . فاذا لم يكن رئيس الكهنة مقدسًا فالكاهن يتناول اولاً حسب العادة في مكانهِ ثم يناول الشماس واضعًا جزءًا من الخبز المقدس في مجوف كفهِ فيمضي الشماس الى خلف المائدة المقدسة . و بعد ان يصلي في ذاتهِ ✻انا اومن يارب واعترف✻ بكمالها يتناول الجسد الالهي بورع واحتراس . واما اذا كان رئيس الكهنة مقدّسًا فيتناول في الوسط والكهنة في الاطراف من الجانبين والشمامسة وراء المائدة ✻ قال سمعان في مقالتهِ في الهيكل : واذا استعد الشماس للتناول فليحجب ناظر بهِ و يتقدم بشوقٍ والتهاب مضارعًا الشاروبيم قابضًا على زنارهِ . واما رئيس الكهنة فاذا تقدم الى التناول فليتشح باموفور بهِ مظهرًا بذلك انهُ اول الخدام . فيلبسهُ بورع جزيل وخوفٍ عظيمٍ لانهُ يلزمهُ في حين التناول ان يكون لابسًا حلة الكهنوت باسرها . وقال المذكور في شرح الهياكل : ان ابواب الهيكل في هذه الساعة تغلق . لانهُ ليس بواجب أن الاسرار تعاين من الجميع بل من خدام الكهنوت فقط نحو ترتيب الملئكة . لان المتقدمين فيهم يستمدون النور الالهي من غير واسطة . والثانيين بواسطة الاولين والاخرين يتناولونهُ بواسطة متقدميهم . كما قرر ديونيسيوس الحكيم في الالهيات . فهكذا يجب ان يكون في نظام امور الكنيسة . اي أن رئيس الكهنة يدنو من المائدة الالهية بدون واسطة . واما الكهنة والخدام فبواسطتهِ . والشعب ياخذ المدد بواسطة الكهنة وسائر خدام القدس الرهيبة

اعلم ان الملوك المؤمنين قديمًا كانوا يتناولون صحبة الكهنة داخل الهيكل كما كتب يوحنا الكاتا كوزيني وايضًا الكورو بالاتوس مؤرخ وظائف بلاط القسطنطينية وطقوس كنيستها العظمى فيقولان هكذا : اذا كان الملك مستعدًّا للتناول يستدعيهِ المتقدمون في شمامسة الكنيسة . فيدخل معهم الى باطن الهيكل المقدس و يمسك مجمرة و يبخر المائدة المقدسة شكل صليب . اولاً نحو المشرق ثم نحو المغرب . ثم نحو الشمال . ثم اليمين . و يعيد ايضًا البخور نحو الشرق . ثم يبخر البطريرك . اما البطريرك فيصافحهُ و ياخذ من يدهِ المجمرة و يبخرهُ عوض تبخيرهِ اياهُ . و بعد هذا يخلع الملك عن رأسهِ التاج و يسلمهُ للشمامسة فيعطيهِ البطريرك جزءًا في يدهِ من الجسد السيدي . فاذا تناولهُ يناولهُ الدم المحيي من الكاس كما يناول الكهنة . ثم يلبس التاج و يخرج حالاً

فهؤلاء المقدم ذكرهم قد جرت العادة بان يتناولوا داخل الهيكل . وما عداهم كالانوغنسطية . والمرتلين والنساك . والشمامسة . والبتولات . والارامل العابدات . وبقية الشعب فيتناولون خارج المذبح. كما حرر اكليمنضوس في الفصل الثامن من اوامر الرسل . فلذلك الشماس او الكاهن بعد الانتهاء من تناول الذين هم في باطن الهيكل يخرج و يقف في الوسط و يستدعي المؤمنين لتناول الاسرار لكي يتقدموا لتناولها بخوف وايمانٍ ومحبّة

الفصل العاشر

في استدعاء الكنيسة المقدسة جماعة المؤمنين بواسطة الشماس الى تناول الاسرار الالهية الطاهرة الصارخ نحوهم ❋ بخوف الله وايمانٍ ومحبةٍ تقدموا ❋ وايضاح ما تتضمنهُ الفاظ هذا الاستدعاء من الاستعداد الواجب

اذا ازمع الكاهن ان يناول الشعب يتقدم اولاً الخادم و يفتح ستر الباب . وفي هذا قال الذهبي فمهُ « متى رأيت ستر الباب انفتح فأيقن حينئذٍ ان السماء قد انفتحت في العلاء واعرف من هو الآتي وارتعد . وانهض قبل الوقت . وقبل ان تنظر الابواب مفتوحةً . وصفوف الملئكة مقبلة من السماء . فاصعد الى السماء » ثم يتبعهُ الشماس حاملاً بيدهِ كشاروبيم ثاني الاسرار الطاهرة . و يقف منتصباً في الباب الملكي . و يستدعي الشعب المؤمن الى تناول الاسرار الالهية . هاتفاً بصوت عظيم « بخوف الله وايمانٍ ومحبة تقدموا »

ولعمري ان الكنيسة المقدسة قد حوت بالفاظ وجيزةٍ بل بثلاث كلمات جميع ما يلزم المؤمنين من الاستعداد الواجب لتناول هذا السر الاقدس . وهي الايمان والخوف والمحبة

فنقول هنا (اولاً) تقدموا بايمان لانهُ يجب على المسيحي ان يحسن ايمانهُ قبل تناول هذا السر المسمى من الكنيسة سر الايمان . ثم يتقدم فيتناولهُ بهذا الايمان الحسن معتقداً اعتقاداً قويًّا بوجود رب مختفٍ فيهِ اختفاءً كليًّا . انها لقاعدة اولى من قواعد الايمان الضرورية للخلاص بضرورة الواسطة والغاية هي الاعتقاد بوجود الله وكونهِ في العالم الا ان وجود الله في العالم وكونهُ تعالى فيهِ امرٌ مختفٍ وغير ظاهر . ولكن عن حواسنا فقط

لا عن عقلنا الذي بنظرهِ الروحي يبصرهُ تعالى موجودًا في خلائقهِ كما يشهد الحكيم والرسول معًا . اما في سر الايمان فالامر ليس كذلك حيث انهُ تعالى يوجد فيهِ مختفيًا عن الحواس والعقول معًا . لان العقل البشري لا يقدر من تلقاء ذاتهِ بدون عون الهي فائق ان ينفذ حجاب اعراض الخبز والخمر المختفي تحتها لاهوت السيد المسيح وناسوتهُ والحواس لا تشاهد خارجًا سوى خبز وخمر . ومع ذلك فالايمان المقدس يلزم العقل بالخضوع والحواس بالتصديق ليؤمن الانسان بما لا يدركهُ عقلهُ ويصدق بما يضاد مرأى حواسهِ وحسها . فيا لهُ من خضوع عظيم . فحينما كان السيد المسيح متردّدًا على الارض كان الرسل وبقية المؤمنين يلتزمون ان يؤمنوا بلاهوت المسيح المحجوب بالناسوت المتحد بهِ اتحادًا جوهريًا . اما الان في القربان المقدس فيلتزم المؤمنون ان يؤمنوا بوجود اللاهوت والناسوت المحجوبين بالاعراض السرية . ومن ثمَّ يضطرون من قبل وصية الايمان ان يقول كل واحد منهم « لست اشاهد مع توما جراحاتك ولكني اعترف انك ربي والهي»

ولا شك ان اخص غاية قصدها السيد المسيح بان يكون مختفيًا وغير منظور بلاهوتهِ وناسوتهِ ايضًا في القربان المقدس هي الايمان . وذلك لانَّ من المعلوم عند جميع المؤمنين ان خطيئة ابوينا الاولين كانت عدم الايمان . لانهما لم يعتقدوا بما قالهُ الله لهما وسبق فحذرها وهو وجود الموت الذي كان مختفيًا تحت لباب الثمرة المنهي عنها صدقا كلام الحية المجتذبة اياهما الى الخطيئة بمشورة كاذبة . فلما راى الله هذا (يقول الانبا روبرتوس) رام ان يشفي الضد بالضد . وعدم الايمان بالايمان . فقال بكلامي صارت شجرة معرفة الخير والشر ثمرةً للموت ومادةً لتلف الايمان وعدمهِ . فاروم اذًا من عبيدي ان يمارسوا ايمانًا حيًا نحو ثمرة الحيوة بكلامي . فرتب سبحانهُ وتعالى في كنيستهِ هذا السر الذي بهِ اوجد واصلح بل اقام بثمرتهِ ذلك الايمان المفقود قديمًا بتلك الثمرة

ولا ريب ان خطيئة ابوينا الاولين التي بها اختارا ان يؤمنا بكلام الشيطان ويصدقاهُ افضل من ان يؤمنا بكلام الله ويصدقاهُ لم يكن ممكنًا ان نصلح على نوعٍ ما اكمل وافضل اصلاح مما اصلحت بانتصار الايمان في الكنيسة بواسطة هذا السر الاقدس اعني بايماننا بوجود المسيح في القربان المقدس حيث نلتزم ان نخضع عقولنا لا لما يفوق حواسنا فقط بل لما يضادها ايضًا . ولهذا نرى الكنيسة المقدسة لمعرفتها بشرف الايمان تروم من بنيها ان يحسنوهُ ولا تقدم لهم شيئًا آخر يستعدون بهِ ويتقدمون نحو المائدة الطاهرة وهم حاملوهُ بايدي قلوبهم لتناول الاسرار المقدسة سوى الايمان قائلة « تقدموا

بايمان» ومن ثم يجاوب الشعب عند هذا القول «امين» توكيدًا لفظيًا لتاكيد حقيقة الاعتقاد القلبي. ثمَّ يعترف بفمهِ بوجود الرب يسوع في القربان المقدس قائلاً مع المرتل «الله الرب ظهر لنا مبارك الاتي باسم الرب» (المزمور ١١٧: ٢٧) وعلى هذا النحو يجمع ما بين هذين الامرين اللازمين لحقيقة الايمان وهما الايمان بهِ باطنًا في القلب والاعتراف بهِ ظاهرا بالفم كقول الرسول «القلب يؤمن للبر والفم يعترف للخلاص» لان الاعتراف بالايمان بالفم خارجًا ضروري للايمان لقولهِ تعالى «من انكرني قدام الناس الخ» (متى ١٠: ٣٢) فترى الشعب يؤكد الاعتراف بقولهِ التالي «قد نظرنا النور الحقيقي»

هذا ما تعنيهِ الكنيسة بهذا الطقوس وهذا ما ترومهُ من بنيها بقولها لهم «تقدموا بايمان» ولما كان الايمان الحسن ينتج الورع والخوف كانت الكنيسة المقدسة تقول (ثانيًا) «تقدموا بخوف» اي بورع وتقوى وضمير نقي. هذا هو اذًا الشيء الثاني المقدم من الكنيسة استعدادًا لتناول السر الاقدس. وهو التقدم اليهِ بتقوى وضمير نقي ناجمين عن الايمان. وذلك لان الايمان يجعل المؤمن يحترم العزة الالهية احترامًا بليغًا. ولذلك يضطرُّ ان ينقي ضميرهُ ويتقدم اليهِ بهذه النقاوة. فكأَن الكنيسة تنادي نحو بنيها قائلةً: تقدموا اليهِ بايمان اي احسنوا ايمانكم جيدًا باطنًا وظاهرًا في هذا السر لكي تحصل في قلوبكم الخشية والرهبة والخوف المقدس من الهكم الموجود فيهِ ونقوا قلوبكم وضمائركم. وعلى هذا النحو تتقدمون لتناولهِ بضمير نقي وخوف وخشية وورع مكرمين بافعال التقوى عزة الرب الهكم الذي تؤمنون بحضورهِ في هذا السر الالهي. وهذا امر حريٌّ بكم. فحينما يقترب حضور ملك ارضي مثلاً ويسمع الناس صوت هاتف يقول ها هوذا الملك يلازم الجميع التهيب والورع والخشية. والحال ها المنادي ينادي هاتفًا بصوت عظيم في هذا الوقت قائلاً: ها هوذا ملك الملوك فتقدموا اليهِ بخوف فمن ذا لا يتهيب. من ذا لا يرتعد. ليت شعري ما أحسن ما كان احتشام المسيحيين في الكنائس لو يحضرون فيها بايمان حيٍّ وما اجمل ما كانوا يعدون انفسهم لتناول ملك الملوك ورب العالمين. فلنلاحظنَّ ما يفعل الصعاليك اذا الجأَتهم الضرورة الى مقابلة ملك ارضي: هؤلاء اذ لا يعرفون ما يجب عليهم فعلهُ من التهيب والاحترام وما اشبه من الامور الواجبة لهذه المقابلة تراهم يراقبون اهل البلاط ويتمثلون بهم ويعملون نظيرهم متعلمين منهم ما يجب عليهم. والحال اننا نشبهُ اولئك الصعاليك اذ اننا حتى الان لا نعلم ولا نعرف كيف يجب التردد مع ملك السماء ولا خبرة لنا بطريقة مقابلتهِ الواجبة. فعلينا اذًا ان نقتدي باهل بلاطهِ السماوي ولنتعلمن منهم اي

الملئكة الذين ظهروا في الكنائس مرات كثيرة بحال احترام كلي وتهيب عظيم لا واقفين بل راكعين على الارض ملاشين انفسهم امام اله المجد الملاشي مجدهُ في سر محبتهِ وان كنتم على ريب في ذلك فاسألوا الذهبيّ فمهُ الذي شاهدهم امام الذبيحة على هذا مرات . فلا غرو انكم ستسمعون منهُ اموراً في هذا الشان تذهل العقول وتسبب لكم الخزي والخجل العظيم . فاذاً لكي تنجو من هذا الخجل العظيم وتخلو من ملامة الضمير لنكملنّ امر امنا الروحية اي الكنيسة الهاتفة نحونا « تقدموا بخوف »

فالان اذ قد عرفنا بقوة الايمان عظمة الموجود بالسر الاقدس فخشيناهُ يجب ان نعرف جودهُ وسخاءهُ لنحبهُ ايضاً فمن المعرفة ينتج الحب اذ ان المعرفة فعل العقل والحب مفعول الارادة . والعقل والارادة كلاهما يجب ان يسعيا مع الانسان بقواها ومفاعيلها في كل ما يلزم لتناول هذا السر باستحقاق وبنوع واجبٍ . ولذلك ترى الكنيسة المقدسة بعد ان امرت بنيها بان يتقدموا الى تناول هذا السر الجليل بايمانٍ حي وتهيب بليغ . زادت على وجوب التقدم اليهِ بايمان وخوف وجوبهُ بالمحبة ايضاً . ولذلك تسمعها تقول (ثالثاً) ﷺ تقدموا بمحبة ﷺ فكانها تنادي نحو بنيها وتقول : يابنيّ المحبوبين مني انكم لقد عرفتم بقوة الايمان عظمة الهكم الموجود في السر الاقدس فخشيتموهُ . فارمقوا ايضاً بعين هذا الايمان عظمة جوده وسخائهِ لتحبوهُ . لان المفاعيل الصادرة من الحب لا فضل عندهُ واكثر قبولاً من افعال التقوى الصادرة من الخوف . فلاحظوا اذاً وتاملوا بعين الايمان ما الذي قصدهُ عروسي واخوكم ابن الآب السماوي لما افرغ في هذا السر كل كنوز محبتهِ سوى ان تحبوهُ انتم ايضاً بكل قوتكم . فهذا هو الامر الوحيد الذي يلتمسهُ منكم مكافأةً لمحبتهِ هذه العظيمة لان المحبة لا تكافأُ الا بالمحبة . فتقدموا اذاً اليهِ بمحبة لكن لا بمحبة التفضيل فقط التي يجب ان تفضلوا بها تعالى بعقلكم وتمييزكم على كل ما سواهُ راضين بان تخسروا كل شيء كرامتكم وخيراتكم حتى حياتكم نفسها المحبوبة منكم جداً ولا تخسروا محبتهُ تعالى . ولا بمحبة الغاية فقط التي بها توجهون اليهِ وحدهُ جميع افعالكم وتقصدونهُ بها لا غير حتى ان فعلتم شيئاً لا تفعلوهُ او تحبوهُ الاّ نظراً الى يسوع ولاجل يسوع . بل بمحبة العبادة ايضاً التي تقتضي منكم ان تمنحوهُ قلبكم كلَّهُ اي كل اشواق قلبكم وعواطفكم وان تستعظموا العزة الالهية استعظاماً سامياً وترغبوا باطناً بتعطف قلب محب ان تكافوا بالمعروف احسانهُ العجيب . ذلك الذي انعم بهِ عليكم في هذا السر . فبهذه المحبة اي بمحبة العبادة المدعوة المحبة المتعطفة ايضاً تقدموا فان كنتم حاصلين على جوع روحي وارتياح

عظيم الى الاتكاء على هذه المائدة الالهية كارتياح الجياع الى موائد المطاعم الشهية وشوق العطاش الى المشارب العطرة الذكية . فهذا الاستعداد الجيد هو الدليل الاخص على وجود هذه المجد فيكم . وهذا هو الذي حثكم عليهِ والتمسهُ منكم قائلاً : تقدموا بمحبة ولعمري ان ذاك المحب الذي يجود على محبهِ بكل خيراتهِ ثم بحياتهِ ايضاً يكون افرغ كل مفاعيل حبهِ لان هذا الفعل الاخير هو اعظم مفاعيل المحبة وغايتها ونهايتها حسب شهادة الحق سبحانهُ وتعالى . والحال ان يسوع محبكم قد جاد عليكم بواسطة هذا السر الاقدس بكل ما ذكرنا اي بخيراتهِ وذاتهِ حتى بحياتهِ ايضاً . ومن المعلوم الذي لا يشوبه ريب ان شريعة الحب تقتضي أن المحبة تكافى بالمحبة كما ذكرنا انفاً . بل ان هذا الامر هو من المبادئ الشهيرة الدارجة في مدرسة الحب . افما يقتضي المعروف اذاً ان يكافى مثل هذا المحب العظيم بالمحبة . اي نعم . فتقدموا اذاً لتناولهِ بمحبة

قلت اولاً ان من جاد على محبهِ بكل خيراتهِ يكون افرغ مفاعيل حبهِ او قلما يكون اظهر عظمة حبهِ . والحال ان السيد المسيح يجود على من يقبل سرَّهُ باستحقاق بكل الخيرات وجميع الغنى الذي يملكهُ من كل وجهٍ ومن كل حيثية . وذلك لان السيد المسيح يملك خيرات غزيرة غير متناهية من حيث هو انسان ومن حيث هو اله ومن حيث هو الهٌ وانسانٌ معاً . لانهُ نظرًا الى الحيثية (الاولى) يمتلك ناسوتهُ الاقدس . ونظرًا الى (الثانية) يمتلك غنى لاهوتهِ . واما نظرًا الى الحيثية (الثالثة) فهو حاصل على كنوز النعم الفائقة . وهذه الخيرات العظيمة الغير المتناهية التي يمتلكها السيد نظرًا الى هذه الحيثيات الثلاث المذكورة يجود بها جميعها على كل من يتناول سرهُ باستحقاق لانهُ نظرًا الى كونهِ انسانًا يمنح متناوليهِ بطريق المآكل كل جسده ودمهِ ونفسهِ . ونظرًا الى كونهِ الهًا يمنح متناوليهِ مع جسده ودمهِ لاهوتهُ كلهُ بغير استثناء وذلك بعجائب غير مدركة لا يمكن ان تخترعها الاَّ الحكمة الالهية . اخيرًا يمنحهم في سر محبتهِ . كل الخيرات التي يمتلكها نظرًا الى كونهِ الهًا وانسانًا معًا اعني استحقاقاتهِ وفضائلهُ مفيضًا في انفسهم من القداسة حسب استعدادهم لقبولها . فهذه هي الخيرات الغزيرة التي يجود بها عليكم كل وقت تتناولون فيهِ جسدهُ الاقدس ودمهُ الكريم باستحقاق . أفما يقتضي اذاً حسن الوفاء والمعروف بالمحبة ان تحبوا من جاد عليكم بكل هذا الغنى وجميع هذه الخيرات . فلا ريب انكم تسلمون بذلك وتقولون انهُ لمن غاية اللياقة بل الوجوب . اذ ان انكار ذلك لحماقة لا يطاق احتمالها . فتقدموا اذًا اليهِ بمحبة

قلت ثانياً انهُ يكون افرغ مفاعيل حبهِ وتناهى بالحب الى غايتهِ من جاد على محبهِ لا بخيراتهِ فقط بل زاد على ذلك جميعهِ منح ذاتهِ وسلب حياتهِ ايضاً والحال ان هذا مايفعلهُ السيد المسيح كل يوم مع الذين يتناولون سرهُ الاقدس . ولايضاح ذلك اقول: ان السيد المسيح يقدم لنا ذاتهُ ويجود علينا بها كل يوم في سر القربان . ولكن لا يقدمها لنا كيفما اتفق . بل يقدمها بنوع غريب عجيب اي بشكل ماكل . لكي يكون لنا بنوع اتم وتملكهُ بالنوع الافضل والاكثر كمالاً اذ كان لا يوجد شيءٌ يتملكهُ الانسان على النوع المذكور سوى الماكل . فبهذا النوع يجود السيد المسيح بذاتهِ على محبيهِ بسره الاقدس ولكن هل تبلغ هذه المحبة الى هذا الحد فقط . ولا تتجاوز الى اكثر من ذلك . فاسمع وتعجب ان يسوع ما عدا انهُ يحتمل لاجلنا كل يوم ما لا يحصى من الاهانات في سرّه الاقدس فهو يقبل بهِ ايضاً الموت كل يوم بل كلما قدمت ذبيحة جسده الاقدس على انهُ جل جودهُ قد اخضع نفسهُ بهذا السر حباً بنا حتى الموت . ومن ثم تراهُ يمارس الموت فيهِ لا بنوع واحد بل بانواع مختلفة . . وان قلت كيف ذلك . اجبتك ان الايمان المقدس يعلمنا ان السيد المسيح يمارس الموت في هذا السر على ثلاثة انواع اعني موتاً سرياً . وموتاً ادبياً . وموتاً حقيقياً .

فاولاً يموت (موتاً سرياً) لان هذا السرّ من حيث هو تذكرة آلام المسيح السيد وموتهِ كما قدم على مذابحنا . فانهُ يذبح بقوة الكلمات الجوهرية ذبحاً سرياً كما قررنا ذلك في الفصل الاول من القسم الثاني . ومن ثم يرينا تعالى في كل يوم على مذابحنا الذبح والموت الذي مارسهُ مرةً واحدة على جبل الجلجلة . وبهذا يرينا ايضاً كم يسر بموتهِ حباً بنا

ثانياً يموت في سر الافخارستيا (موتاً ادبياً) ايضاً لانهُ كما قال المعلم الملكي مع جمهور آباء كنيسة الله المقدسة . بما ان وجود جسد المسيح الاقدس في الجوهرة المقدسة هو كوجود الروح في الجسد اي بنوع روحي فيها فان جسدهُ الاقدس كلهُ يكون من ثمّ في الجوهرة وكلهُ في كل جزءٍ من اجزائها كما قررنا في الفصل الرابع من هذا القسم . والحال انهُ ينتج من ذلك ان اعضاء هذا الجسد الاقدس ليس لها سعة كافية لمباشرة اعمالها الكافية . ومن ثمّ هي حاصلة على حال لا تستطيع فيها ان تتحرك حركة ذاتية . بل تتحرك حركة عرضية بواسطة تحريك الجوهرة ومن هذا القبيل يجوز ان نقول عنها انها مائتة في ذاتها على نوع ما . وهذا النوع من الموت هو المسمى (موتاً ادبياً)

ثالثاً يموت في هذا السر (موتاً حقيقياً) وذلك لان الكلمات المستعملة من الكاهن

في تقديس هذا السر قد اتخذت قوة من السيد المسيح عظيمة الفاعلية حتى انها تصدر جسده الاقدس في الموضوعات وتوجده حيًّا . والحال ان هذه الحيوة السرية التي يكتسبها السيد المسيح بقوة كلمات التقديس تباد وتتلاشى حالما تنهضم الاعراض المقدسة في معدتنا . وحينئذٍ يجوز القول عنهُ تعالى انهُ يموت موتًا حقيقيا . وذلك بزوال كونهِ هذا السري حتى لو فرضنا انهُ لم تكن لهُ حيوة اخرى لكان يموت موتًا كليًّا

فهذه هي الميتات المتنوعة المختلفة التي يمارسها السيد المسيح في سرهِ الاقدس لاجلنا وحبًّا بنا . واذا كان ذلك كذلك . وهو كذلك حقًّا أفيكون امرًا ثقيلاً علينا او كثيرًا ان نتقدم اليهِ بهذا النوع من المحبة المتعطفة مكافين بذلك عظمة محبتهِ هذه لنا . فاذًا لكي نحصل على فوائد هذا السر وخيراتهِ الغزيرة و بذلك نكافي محبة من احبنا هكذا حتى انهُ بذل ذاتهُ عنا ولاجلنا ولم يزل يبذلها كل يوم بسره الاقدس يجب ان نطيع صوت امنا الرحومة الهاتفة نحو جميعنا ﴿ بخوف الله وايمان ومحبة تقدموا ﴾

الفصل الحادي عشر

في ما يتلو ما تقدم ذكره في الفصل السابق

وللمستفهم ان يسال هنا قائلاً : لماذا حين يستدعى الشعب لتناول القربان بقول الكنيسة المقدم ذكرهُ بفم الشماس «تقدموا بخوف الله وايمان ومحبة» تظهر القدسات للشعب محجوبة مغطاة . والحال ان الطقس يقتضي ان يكون الامر بخلاف ذلك

فيجيب عن ذلك سمعان التسالونيكي قائلاً : ان القدسات تكون مستورةً عند اظهارها للشعب . اذ لا ينبغي ان يبصرها الجميع مكشوفة اقتداءً بما فعلهُ الساروفيم من حجب وجوههم باجنحتهم حينما تقدم احدهم نحو اشعيا النبي وفي يده جمرة كان اخذها من الهيكل بالكلبتين فادناها من فمهِ . وهذا الامر كان رسماً للاسرار الرهيبة كما يؤكد ذلك يعقوب الرسول اخو الرب في ابتداء افشين الايصودن قائلاً «ايها الرب يسوع المسيح الكلمة الله . يامن قدم ذاتهُ باختيارهِ ذبيحة بلا عيبٍ على الصليب لله الاب ايها الجمرة المضاعفة التي لمست شفتي النبي بالكلبتين وطهرت خطاياهُ لامس حواسنا نحن الخطأة وطهرنا»

ثم ان رئيس الكهنة والكاهن بعد اظهار القدسات يبارك على الشعب قائلاً ﴿ خلص

يارب شعبك وبارك ميراثك ✲ وبهذا يبتهل لاجل الشعب ونجاحهِ وان يحظى بميراث الله ثمت يتوجه مُبخرًا القربان . وبهذا البخور برسم منح نعم الروح وقبول مواهبهِ من الرسل الذين أُعطوهُ بعد قيامة المسيح وصعودهِ كما فسر القديس جرمانوس . لانهُ لما كان رفع الخبز المقدس الذي يصير حين قول الكاهن ✲ القدسات للقديسين ✲ هو لتاكيد رسم قيامة المسيح من بين الاموات . ورفع الشماس الكاس حينما يظهرها تجاه الشعب قائلاً «بخوف الله . الخ» هو لتاكيد رسم الصعود المجيد المقدم رسمهُ بالخدمة الطاهرة برفع الكاهن يديهِ يسيرًا بالموضوعات بعد الكلمات السرية كان البخور المستعمل هنا بعد اظهار الموضوعات للدلالة على تأكيد حلول الروح القدس على الرسل ومنح مواهبهِ لهم وقد تقدم رسم حلولهِ في الخدمة المقدسة في الفصول السابقة

اما ما يتلى وقتئذٍ من الكاهن والشعب من الصلوات والطروباريات فيتضمن كلهُ تقديم الشكر لهُ تعالى لاجل هذه الخيرات الممنوحة . ومن ثم ترى الشعب يخاطب الرب قائلاً « قد امتلأَت افواهنا من تسبحتك يارب لكيما نسبح مجدك . لانك اهلتنا الان نشارك اسرارك المقدسة الغير المائتة الطاهرة . ثبتنا في تقديسك لنتلو النهار كلهُ بعدلك الليلويا » فكأَن الشعب يخاطب المخلص قائلاً : انك قد انحدرت الينا متنازلاً . وصرت مثلنا متذللاً وقمت من بين الاموات ناهضًا . ثم صعدت الى السماء مرتفعًا . وارسلت علينا روحك القدوس مكملاً . وجدت علينا بشركة اسرارك الطاهرة مقدسًا . وبهذا جميعهِ قد ملأْت كنيستك مجدًا . فمن اجل هذه الخيرات جميعها قد امتلأَت وفاضت افواهنا من تسبحتك . فثبتنا اذًا في تقديسك . لنخدم اسرارك وننال دائمًا احسانانك ولا نزال نهذ بتهليل وفرح نهار حياتنا كلهُ بعدلك صارخين الليلويا

واعلم انهُ للدلالة على دوام هذه الخيرات معنا الى انقضاء الدهور ومن ثمَّ دوام تقدمة الشكر والتبريك لله الهنا في كل وقت وحين لافاضتهِ علينا مثل هذه الخيرات العظيمة يعلن الكاهن قائلاً ✲ الان والى كل اوان والى دهر الداهرين ✲ وفي حين تلاوة هذا الاعلان يرجع الشماس بالصينية والكاهن بالكأْس الى المذبح . وبهذا الرجوع يرسم حضور المسيح الثاني ورجوعهُ الى العالم للدينونة واظن ان قول الكاهن سرًا « تبارك الله الهنا» هو للدلالة على الزمن الذي ما بين الحضورين اي حضور المسيح الاول والثاني ثم اعلانهُ بقولهِ « كل حين الان وكل اوان » هو للدلالة على حضوره الثاني بالمجد

ثم ان الشماس بعد رجوعهِ بالصينية الى المذبح يخرج من الهيكل ويقف في مكانهِ

كالعادة ويقول تلك الطلبة التي بدؤها ※استقيموا ايها الذين اشتركوا※ وقد تضمنت هذه الطلبة اربعة امور (اولاً) حث المتناولين على تقدمة الشكر لله لاجل احسانهِ هذا العظيم (ثانيًا) تكرار طلب تلك النعم المتضمنة بقولهِ اعضد وخلص الخ (ثالثًا) التوسل الى الله ليجود علينا بالنعم المذكورة لكي نكمل بعونها واسعافها نهارنا جميعهُ كاملاً بالقداسة والسلامة والنجاة من كل خطيئة (رابعًا) نسليم ذواتنا وقريبنا وجميع حياتنا لعناية المسيح الهنا . لكي يتصرف بنا كما يشاء واما الكاهن فيعلن بوجوب ثبات هذا الطلب من الله قائلاً ※ لانك انت هو تقديسنا الخ ※

ومما تقرر يستبين لنا انهُ لا يكفي المسيحي ان يكون مستعدًّا لقبول الاسرار قبلاً فقط . بل يلزمهُ ان يواصل الاستعداد بالسيرة الصالحة المرضية المقدسة بعد ذلك . اي بعد تناولها ايضًا . وعلى الخصوص يلزمهُ رد الشكر للمحسن قبل الخروج من الكنيسة

قالت احدى القديسات المعتبرة في كنيسة الله ان كثيرين من المؤمنين يستفيدون قليلاً من تناولهم القربان المقدس وذلك لانهم بعد تناولهم هذا الضيف الجزيل السخاء لا يترددون معهُ ولا يخاطبونهُ ما دام معهم بل يدخل هو اليهم من باب ويخرجون هم من باب آخر . فاذًا يالغباوة اولئك المؤمنين الذين بعد تناول السر الالهي يخرجون من الكنيسة سريعًا . فاعلموا ياهؤلاء ان السيد المسيح بمنحهِ لكم جسدهُ يعطيكم مفتاح كنوزهِ . فكيف لا تنتهزون هذه الفرصة السعيدة لتستنغوا فعليكم حينئذٍ ان تحيوا الايمان . وتوقظوا الرجاء وتضرموا نار المحبة وتطلبوا النعمة الالهية بنشاط بليغ ولا تغادروهُ حتى تنالوا منهُ المطلوب قائلين مع ابي الاسباط «لا اتركك او تباركني» اذ انني قد التزمت بامر الكنيسة ان اقف واشكرك لكي انال نعمتك واخيرًا احظى ان اكون معك في الميعاد العتيد امين

الفصل الثاني عشر

في ختم القداس الالهي

كما ان الكاهن في بدء الشروع بالقداس الالهي يطلب السلام قائلاً ※ بسلام من الرب نطلب ※ هكذا بختم القداس يطلب هذا السلام عينهِ قائلاً «فلنخرج بسلام» والشماس يقول «من الرب نطلب» فالكاهن قبل ان يصرف الشعب يزودهم هذا السلام المرغوب

والمطلوب جدًا . ولهذا تراهُ مدوّنًا في جميع الخدمات او أكثرها اذفي خدمة القديس يعقوب يقال ✻ فلننطلق بسلام المسيح ✻ و بهذه الاقوال يماثل الكاهن السيد المسيح الذي بعد ان ناول تلاميذهُ في ذلك العشاء السري قال «قوموا لننطلق» (متى ٢٦ : ٤٦) فعلى هذا النحو يشرع الكاهن ان يطلق الشعب لانّ الحلّ التام سيصير بعد تلاوة الافشين الاخير بحضور الشعب وسماعهِ . وهو ✻يا مبارك مباركيك يارب الخ ✻ وقد تضمن هذا الافشين طلبات معتبرة جليلة . فعلى القارئ ان يتاملها

وان قيل لمَ يقال هذا الافشين خارج الهيكل قلت لان الكاهن يقصد ان يظهر بهذه الطريقة تنازلهُ تعالى ومحبتهُ للبشر ولا سيما المحبة التي اظهرها لنا يسوع المخلص بهذا السر العجيب والذبيحة الطاهرة

ثم بعد الانتهاء من تلاوة هذا الافشين باعلان ظاهر يدخل الكاهن الهيكل و يتلو سرًّا امام الجسد الالهي هذا الافشين الذي بدؤهُ ✻ انت كمال الناموس والانبياء ايها المسيح الهنا الخ ✻ طالبًا من السيد المسيح الذي هو كمال الناموس وتميم الانبياء والمكمل التدبير الابوي ان يملأ قلوبنا فرحًا وسرورًا دائمًا لان هذا الفرح الروحي والسرور المقدس ضروري لعبادة الله ولاسيما لتقدمة هذه الذبيحة الطاهرة ولذا تحثنا عليهِ الكتب المقدسة كثيرًا ولا سيما المرتل ورسول الامم ثم يقف الكاهن في المكان المألوف و يوزع على الاخوة الانديذورون المدعو باسم «بروتي» اي اولى كما سيأتي في الفصل الاول من الخاتمة وحينئذٍ يشرع في الحل بما انهُ في هذه الساعة يصير الختم والحل التام . وفي بدء هذا الختم يلتمس اولاً من الله اتيان بركتهِ ورحمتهِ على شعبهِ قائلاً ✻بركة الرب ورحمتهُ تاتي علينا بنعمتهِ ومحبتهِ للبشر الان وكل اوان الخ ✻ثم يرجع بالخطاب الى المسيح المتانس قائلاً ✻ايها المسيح الهنا ورجاؤنا المجد لك يا من الخ✻ طالبًا منهُ للشعب المسيحي الرحمة والخلاص . متوسطًا بنيل ذلك شفاعة والدتهِ وجميع القديسين . وهكذا ينصرف الشعب بسلام

تنبيه ✻ اعلم ان الشعب قديمًا كما ذكر التسالونيكي كان يقف منتظرًا الكاهن الى ان يخرج الى ظاهر الهيكل . وذلك بعد فروغهِ من خلع حلة الكهنوت وصلاتهِ . و يسجد ثلث مرات قائلاً (اللهم اغفر لي انا الخاطي وارحمني) ثم يلتفت الى الشعب و يباركهُ معلنًا وقائلاً (يحفظكم الرب الاله جميعكم بنعمتهِ ومحبتهِ للبشر كل حين . الان وكل اوان . والى دهر الداهرين) اما هم فيحنون رؤُسهم باجمعهم ثم يجيبونهُ قائلين (يارب احفظ الذي باركنا وقدسنا الى سنين كثيرة) ثم ينصرفون بسلام

اما معنى هذه البركة الاخيرة التي يبارك بها الكاهن الشعب بعد ختم القداس فاشارة الى تلك البركة الاخيرة التي بارك بها سيدنا يسوع المسيح تلاميذهُ وانفرد عنهم صاعداً الى السماء

ولنختمنّ هذا الفصل بنصيحة مختصرة للكهنة فنقول نحوهم هكذا : لقد اتضح لكم يا كهنة الله الورعين انهُ لا يوجد في الرتبة المقدسة عملٌ ما من جميع اعمالها ولا طقس ولا حركة الاَّ لها معنًى سري دالٌ على اسرار تلك الذبيحة الفريدة اي ذبيحة الصليب حيث ان الاباء القديسين مرتبي الخدمات الطاهرة لم يصنعوا بالرتبة شيئاً عبثاً . بل كل ما تضمنتهُ من الاعمال والاقوال والطقوس والحركات يشير الى شيء واحد او اشياء كثيرة من السيد المسيح كما تقدم ايضاح ذلك . فلذا كل كاهن أهمل فعلاً من الافعال المتضمنة في دائرة الرتبة فليعلم انهُ سيؤدّي الجواب عن ذلك لعزة الله في تلك المحكمة الالهية العادلة

الخاتمة

في الانديذورون · وخدمة البروجيازمانا · وحل بعض مشاكل تخص الذبيحة · وهي ثلثة فصول

الفصل الاول

في الاندیذورون اي الخبز المبارك الذي يوزعه الكاهن على المؤمنين

لعلك قرأت ايها الكاهن او سمعت في الاقل ان في الكنيسة المقدسة بعض افعال دينية حسية ظاهرة مفعولة لعبادة الله قد دعاها العلماء مشابهات الاسرار كالصلوة الربية والسلام الملكي. واشارة الصليب المقدس. والتلفظ باسم يسوع. والاعتراف العام عن الخطايا. والصدقة. وقرع الصدر. والماء المقدس. وما اشبه من الرسوم الرسولية والكنسية كالتقسيم على الشيطان. والنفخ في التعميد. وتبريكات الكهنة. ورؤساء الكهنة. والتبريكات المختلفة المستعملة من اشخاص. واوانٍ وكنائس. وما شاكلها من الشموع المكرسة وغيرها فهذه كلها تمحو الخطايا العرضية[1] كما تسلمنا بالتقليدات القديمة ومن جملتها الخبز المبارك الذي نحن في صدد ذكرهِ الآن. على ان هذا الخبز المكرس هو كتلك يمحو الخطايا العرضية لمتناوليهِ. ويدعى في كنيستنا «انديذورون» ومعناها باليونانية عوض موهبة كما قال بطرس اركوديوس (في الفصل ٢ من كتابهِ الثالث في القربان) ويورد سبب اشتقاق هذه الكلمة قائلاً: «ان القربان المقدس بحق يسمى «ذورون» اي موهبة. لانهُ يقرب لله بمنزلة موهبة عظيمة في الغاية. اما الذين يحضرون القداس ولا يكونون مستعدين لقبولها فيقبلون عوضها (اي عوض الموهبة المقدسة) الخبز المبارك. ومن ثم يسمونهُ خاصة «انديذورون» اي عوض الموهبة. لانهُ يعطى لهم عوضاً عن الموهبة المقدسة

---

1 بل تزيد النعمة المبررة لا من حيث الفعل المفعول بل لانها تهيج فينا حركة بها نمقت الخطية وتجدد فينا انشاء فعل المحبة لله تعالى ايضاً وعليهِ فان حركة كذا مصحوبة بفعل المحبة كافية لمحو الخطايا العرضية لها

اما سبب اصطلاح الجميع على تسمية هذا الخبز المبارك باسم« پروتي » فلانهُ يوزع من القربانة الاولى التي يؤخذ منها الجزء الاكبر وهذه تدعى «الانديذرون الاول» كما ان القربانة الثانية التي يؤخذ منها الجزء الثاني لاكرام والدة الاله يدعى «الانديذورون الثاني» والثالثة التي يوخذ منها اجزاء لاكرام القديسين تدعى« الانديذورون الثالث » وهكذا تدعى القربانة الرابعة . التي يوخذ منها . لتذكار الاحياء والاموات الانديذورون الرابع فمن حيث ان الخبز المعطي للمؤمنين يكون غالبًا من القربانة الاولى الماخوذ منها الجزء الاكبر دعي الخبز المبارك « پروتي» اي اولى اصطلاحًا

وان قيل لمَ لا يكون التوزيع الاَّ من القربانة الاولى التي اخذ منها الجزء الاكبر

فنجيب لان هذه القربانة الاولى المأْخوذ منها الجزء الاكبر هي رسم جسد سيدتنا مريم العذراء او رسم بطنها الاقدس الذي منهُ اتخذ الكلمة جسدًا نقيًا كما يقرر هذا القديس جرمانوس في اواخر تفسيرهِ الخدمة المقدسة قائلاً : كما ان المسيح تصور من دم مريم العذراء الطاهرة . كذلك يؤْخذ من ذلك الخبز الجزء العتيد ان يتحول الى جسد المسيح فمن ثم كان ذلك الخبز المأْخوذ منهُ الجزء الاعظم المذكور رسم والدة الاله . و يوزَّع اخيرًا في آخر القداس كمبارك لا كتوزيع السر . بل عوض القربان المقدس . وذلك على الشعب المستعد لقبولهِ . هذا ما اوردهُ بطرس اركوديوس عن القديس جرمانوس في كتابهِ المقدم ذكرهُ

اما صاحب كتاب منهاج الكهنوت فيقول بايرادهِ السبب المذكور عن القديس جرمانوس : اننا قد تعلمنا من المغبوط جرمانوس ان الخبز المبارك يعطى للمؤمنين تقديسًا و بركة كائنة من جسد سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية كما سبق القول . فانديذورون هو خبز مكرس على المذبح . لانهُ قد صار عليهِ ابتداء كلام التقديس . فليعطَ عوض القربان الرهيب اعني الاسرار المقدسة للذين لم يتناولوا فيمنح الشعب قداسةً عوضها لاجل البركة والتقديس . فليقبلهُ المؤمنون بخشوع وورع . و يقبلوا يمين الكاهن لاجل انها لامست حينئذٍ جسد المسيح الكلي قدسهُ ونالت منهُ تقديسًا . وتمنحهُ للذين يلمسونها بايمان* و يذكر صاحب هذا الكتاب عن بعض ملوك المؤمنين القدماء انهم كانوا يتناولون هذا الخبز المبارك بورع واحتشام . وقال في موضع آخر : ان القربانة التي يخرج منها مكان الختم الشريف تسمَّى هي فقط (انديذورون) وتأْ و يلها عوض نعمة الاشتراك المقدس . وتدعى ايضًا خبزًا مكسورًا وتوزيع البركة و بركة روحية . واما فائدة ترتيب ذلك في

الكنيسة فهي كما يذكر التيبيكون لدفع البلايا والمضرات . ولاجل الذين لا يمكنهم في ذلك اليوم تناول الاسرار المقدسة . ثم يستشهد بما حرره مجمع انطاكية في قانونهِ الثاني قائلاً : انهُ ليجب ضرورةً على كل انسان ان يتأنّى الى تمام القداس الالهي والصلوات . ويقبل من يد الكاهن البركة لاجل التقديس . ثم يختم قولهُ هكذا . ولهذا يخطأُ كثيرًا اولئك الذين لا يتمهلون في هيكل الله الى تمام القداس لكي ياخذوا بقبولهم «الانديذورون» نعمة الغفران كما رسمت الكنيسة

وانما اسهبنا الكلام في هذا الصدد لاجل عدم اكتراث مسيحيي عصرنا الى هذا الخبز المبارك . ولانهم صاروا الآن يستعملونهُ خلاف ما قصد في ترتيبهِ ووضعهِ اي ان يعطى و يوزع عوض القربان المقدس على الشعب الغير المستعد لقبولهِ كما سبق تقرير ذلك . فالعادة الجارية الان عند اكثر الكنائس ان المتناولين هم الذين ياخذونهُ دون غيرهم . ولكن قال بعض الثقات ان بعض كنائس لا تزال حافظة عادة اخذ هذا الخبز الى الان فالجميع يقبلونهُ في اخر القداس من يد الكاهن حتى ان الكهنة ايضًا يتقدمون لاخذهِ مقبلين يين الكاهن المكرسة بلمس الاسرار

نموذج * جاء في الاخبار عن احدى العابدات القديسات انها كانت قد اعتادت ان تتناول القربان المقدس يوميًا مكتفية بتناولهِ عن كل طعام اخر هيولي الا انهُ كان يتفق لها بعض الايام ان تمتنع من قبل الطاعة عن التناول . فكانت تنتظر قدوم الكاهن المقدس ليأتي و يلمس فقط بيمينهِ التي لامست الاسرار الطاهرة الخبز المشاع للأكل لتغتذي منهُ عوض القربان معتقدة انهُ قد تبارك بمجرد لمس يدٍ قد لامست قبلاً الجوهرة الالهية وذبيحة الحمل النقي

ولعمري ان ايرادنا هذا لا يفيد العامَّة فقط بل الكهنة ايضًا . لانهُ يوضح لهم و ينبههم كيف يجب عليهم الَّا يطلقوا ايديهم للتقبيل عبثًا بغير احتشام . اذ انهُ قد جاء في الاخبار عن احد الكهنة انهُ تراءى لاحدى العابدات . واخبرها بان العدل الالهي قد حكم عليهِ بالهلاك الابدي في دركات جهنم . واورد لها السبب في هلاكهِ قائلاً : انهُ كان لاجل اطلاق يدهِ برعانة للتقبيل الغير المحتشم العادم الترتيب والتهذيب فليحذرنَّ اذًا

تنبيه * اعلم ان الخبز المكسور الذي يصير عادة في تذكارات القديسين المدعو « رفع الباناجيا » والمسمى ايضًا « اغابي » اي محبة لهُ ايضًا مفاعيل الخبز المبارك المقدم ذكرهُ . واما طقسهُ فيتضمن معاني سريَّة جليلة . وذلك لان صورة هذا الخبز المثلث الزوايا تشير الى

تثليث الاقانيم الالهية واما وسطهُ الاعلى فيدل على التوحيد . وذلك كيفما وجهت هذا الخبز فهو مثلث الزوايا . موحّد في الوسط . اما رفعهُ فيدل على امرين (اولها) على رفع سيدنا يسوع المسيح على الصليب الذي بهِ قدم ذاتهُ عنا لله ابيهِ (ثانيهما) على تقدمتهِ لهُ تعالى وخاصة للوالدة الطاهرة لانهُ يقدم لله هدية (اولاً) لاجل التي تجسد منها لاجلنا واحتمل الصلب الطوعي مرفوعاً من جرائنا (ثانياً) يقدم لالهنا المثلث بالتوحيد وللابن المتجسد على اسم والدتهِ الطاهرة بما اننا بواسطة مولودها حزنا معرفة الثالوث وخيرات التجسد . ومن ثم قولنا ※ يا والدة الاله الكلية القداسة عينينا ※ يشير الى تجسد الكلمة منها لان قولنا والدة الاله يدل على هذا المعنى . واما هذا الطقس فهو تسليم رسولي مقلد من بدء الكنيسة بغير كتاب . وسبب ترتيب صيرورتهِ تقف عليهِ في كتاب «الاورولوجيون» اي السواعي

الفصل الثاني

في بيان العلة التي لاجلها وضعت خدمةُ قداس البروجيازمانا اي السابق تقديسه في كنائسنا . ومتى نشأَت هذه الرتبة . وذكر منشئها

بعد فروغنا من ايضاح معاني طقوس الذبيحة المقدسة بحسب رتبة الذهبي فمهُ التي يتضح من شرحها شرح رتبة القديس باسيليوس ايضاً لان تلك اختصار هذه هات نلمع قليلاً الى خدمة رتبة «البروجيازمانا» المستعملة في الاربعين المقدسة موضحين اولاً علة امتناع كنائس الروم عن تقدمة الذبيحة في مثل هذه الايام المقدسة . ثانياً متى نشأَت هذه الرتبة في كنائسنا . ومن انشأَها . ثالثاً نشرح بايجاز كليّ معاني بعض طقوسها التي لم يرَ شرح مثلها في ما تقدم . وهذا جميعهُ نوردهُ بهذا الفصل فنقول

(اولاً) ان الروم بل الشرقيين كافة يمتنعون عن تقدمة الذبيحة الالهية في الصوم الاربعيني المقدس لاسباب معقولة ليست بعيدة عن الصواب بل هي ذات تقوى وعبادة (اولها) لان الذبيحة المقدسة دلالة على الفرح والسرور . والحال ان هذه الايام هي ايام الحزن والبكاء والنواح لا ايام السرور والافراح . فمناسبة للوقت والحال يمتنعون عن مباشرة الذبيحة كما تمتنع الكنيسة كلها عن عمل الذبيحة يوم جمعة الآلام . وذكر سقراط

المؤرّخ في كتابهِ الخامس: ان المؤمنين في الاسكندرية كانوا يمتنعون عن عمل الذبيحة يوم عيد البشارة اذا اتفق يوم الاربعاء او الجمعة. لانهما يوما الآلام السيدي فيشيران الى الحزن و يقول المؤرخ ان هذه العادة لقديمة في الكنيسة المذكورة. (ثانيها) لان ايام الاربعين المقدسة ايام التوبة. وكان التائبون قديمًا يمتنعون بموجب القوانين الكنسية لا عن تقدمة هذه الذبيحة فقط. بل عن تناولها ومشاهدتها ايضًا. فالروم اذًا وسائر الشرقيين يحسبون انفسهم في هذه الايام بمنزلة التائبين المستحقين الطرد من الكنيسة حين تقديس الذبيحة كقول الذهبي فمهُ لا يلبث احدٌ من الغير الآكلين ولا من الذين لا يستطيعون مشاهدة العجل ماكولاً ولا من الذين لا يستحقون الذبيحة الحية. ولا من لا يستطيع ان يقترب بشفتيهِ الدنستين الى الاسرار الرهيبة. ولا احد غير طاهر. (ثالثها) من باب الاحترام والاتضاع. اذ انهُ لا يخلو من الصواب امتناع الكهنة بعض الايام عن التقدمة وابتعادهم احيانًا عن الاتكاء على هذه المائدة السرية اتضاعًا منهم وتادبًا قائلين مع هامة الرسل بطريق الاتضاع للسيد المسيح الراغب كل حين الاقتراب منهم باقترابهم الى هذا السر « ابعدني ياسيدي فاني رجل خاطىء» (لوقا ٥: ٨)* ولعمري ان هذه الاسباب المذكورة والحجج الموردة لامتناع عمل الذبيحة في مثل هذه الايام المقدسة وان كانت لا تقنع المحاج والعابد الراغب في تقدمة الذبيحة يوميًا لامكان عمل الذبيحة بهذه الايام المقدسة مع وجود تلك الاسباب ولا سيما لان عمل التقديس فيها هو فعل اكثر مناسبة من الامتناع لاسباب افضل واكمل وانفع « فان الطاعة خيرٌ من الذبيحة» (١ملوك ٥: ٢٢) و يجب ان نتبع ما سنّهُ الاقدمون ولا نخالف ما رتبهُ الاولون

(ثانيًا) ان الروم في القرون السابقة القرن السادس لم يكونوا يمتنعون في مثل هذه الايام عن عمل الذبيحة فقط. بل عن زياح القربان المقدس ايضًا الجاري الان في كنائسنا بخدمة «البروجيازمانا» اذ ان هذا الامر نشأ في كنيستنا في اواخر القرن المذكور اي في سنة ٥٨٢ للسميح في عهد تملك طيباريوس قيصر الحسن الايمان والفضيلة في القسطنطينية. وحبرية البابا بيلاجيوس على الكرسي الروماني ورئاسة البطريرك افتيشيوس القديس على الكرسي القسطنطيني. وذلك ان البابا بيلاجيوس كان استحضر القديس غريغوريوس الكبير من ديرهِ كما يذكر بارونيوس واقامهُ كردينالاً في الكنيسة الرومانية لجزيل علمهِ وفطانتهِ وحذاقتهِ وسمو فضائلهِ خاصة. ثم ارسلهُ الى القسطنطينية نائبًا عنهُ لدى الملك طيباريوس. فاقام فيها مدة ثلثسنين من سنة ٥٨٢ الى سنة ٥٨٦

التي فيها انتقل الى الرب الملك طيباريوس الممدوح المذهب والبطريرك افتيشيوس الذي جعلت البيعة ذكرهُ عندنا في اليوم السادس من شهر نيسان . ففي هذه المدة التي قضاها القديس غريغوريوس في القسطنطينية رأى (كما يخبر يوحنا ما نوئيل في الرأس المئة والثالث في كتابهِ المتضمن تفسير قداس كنيسة الروم الشرقية) ان الروم في المشرق يمتنعون عن اقامة القداس في ايام الاربعين المقدسة . فاخذهُ الاشفاق والغيرة عليهم و برضي البطريرك افتيشيوس والملك طيباريوس رتب القداس السابق تقديسهُ . فجرت العادة باستعمال خدمة البروجيازمانا في كنائسنا من ذلك العهد الى الان [1]

(ثالثًا) اما مدلولات ما تتضمنهُ هذه الخدمه فيمكن الاهتداء اليها مما تقدم ايضاحه في الاجزاء الثلثة السابقة من تفسيرنا تلك الخدمة ما عدا ✻ صوفيا اورثي لخ ✻ التي يصوّت بها الكاهن في الباب الملكي ضابطًا بيديهِ مصباحًا مع المجمرة حين تلاوة القراءات فهي اشارة ورسم لحضور النور الحقيقي المطلوب حضوره بحرارة الشوق المتقد باصوات الآباء والانبياء المتلوَّة حينئذٍ فكانها تهتف قائلةً ✻ أرسل اللهمَّ الحمل المسلط على الارض امطري ندى ايتها السماوات من فوق والغيوم فلتمطر الصديق لتنفتح الارض لتنبت المخلص ✻ تعالَ ايها الشعاع الالهي ايها الرب المنتظر . فتجيبهم الكنيسة مبشرة اياهم بان هذا المنتظر قد حضر قائلة ✻ انتصبوا مستفيضين بحكمةٍ . نور المسيح اضاء للجميع ✻ ولا يزال يشرق و يضيء بنور انجيلهِ و يعطر بعرف تعليمهِ كل الناس الى الابد

الفصل الثالث

في حل بعض مشاكل تختص بالذبيحة المقدسة . وفيه اثنا عشر سوءَالاً

✻ السوَّال الاول ✻ ما هو القداس

الجواب هو ذبيحة الناموس الجديد . يقدم فيهِ سيدنا يسوع المسيح و يذبح على نوع غير

---

[1] ان رأي الموءَلف هذا هو رأي اكثر الروم وقد ذكرنا في ذيل الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب ان ارجح الآراء نسبة هذه الخدمة الى القديس ايفانيوس اسقف قبرص الذي كان في القرن الرابع وقد وجدت في تآليفهِ الخطية القديمة والا فالاولى نسبتها الى قدمية غير معروفة لان اللاتينيين انفسهم لا يرتؤُون كالروم بان البابا غريغوريوس الكبير هو موءَلف هذه الخدمة اذ لا اثر لها في تآليفهِ بل لعلهُ حرض البطريرك والملك على تعميم هذه الرتبة التي كانت مستعملة في بعض الكنائس الشرقية فنسبوها اليهِ والله اعلم

دمويّ شهادة لسلطان الله المطلق على جميع الخلائق ولخضوعنا لهُ تعالى ولذكرا لآلام مخلصنا ونيل اثمارها

﴿السؤال الثاني﴾ ما هي الذبيحة

الجواب: هي تقدمة خارجية لشيءٍ محسوس ومستقر متممة بواسطة الخادم الناموسي باتلافهِ او تغييرهِ حقيقيًا وهي مرسومة من الله ولله وحدهُ تقدم اعترافًا بربوبيته ولسلطانهِ المطلق على جميع الخلائق وخضوع جميع المبروآت لهُ تعالى

﴿السؤال الثالث﴾ هل تتم شروط هذا التعريف وتصدق على ذبيحة القداس

الجواب: نعم لانهُ (اولاً) تكمل في القداس تقدمة شريفة بها يقدم السيد المسيح نفسهُ (ثانيًا) يقدم فيهِ شي محسوس. لان المسيح في الافخاريستيا هو محسوس لا بذاتهِ بل بالاشكال السرية (ثالثًا) يقدّم فيهِ شيءٌ مستقر. لان السيد المسيح هو ثابت مستقر ﴿رابعًا﴾ القداس هو تقدمة مرسومة من الله. لان السيد المسيح الاله والانسان قد رسمهُ في العشاء الاخير (خامسًا) القداس هو تقدمة لله وحده. لانهُ لا يقدم للقديسين ولا الملائكة بل لله فقط (سادسًا) هو تقدمة تتم على يد خادم ناموسي. وهو الاسقف او الكاهن. (سابعًا) تتم هذه التقدمة بتغيير حقيقي. لان السيد المسيح في حين تناول السر يعدم وجودهُ السري لانهُ حين تفنى الاعراض لا يبقى موجودًا على نوع سري. ومن ثمَّ يتغير على نوعٍ ما ويتلاشى. وان كان بحصر المعنى لا يستطيع ان يموت (ثامنًا) هذه التقدمة تصير شهادة لسلطان الله المطلق على جميع الخلائق وخضوعنا لهُ تعالى لان السيد المسيح يذبح لاجل هذه الغاية

﴿السؤال الرابع﴾ ما هي الافعال الضرورية جوهريًا لذبيحة القداس

الجواب فعلان. التقديس والتناول حسب الراي الاحق. وقلنا حسب الراي الاحق لان المعلم سواريوس وغيرهُ من المعلمين زعموا ان التقديس فقط هو ضروريٌ لذبيحة القداس بضرورة جوهرية. لانهم يقولون: ان ذبح السيد المسيح في القداس على نوع سري غير دموي يكفي لماهية الذبيحة. وهذا الذبح السري على ما يزعمون يتوقف على انهُ بقوة كلمات تقديس الجوهرة يوجد الجسد فقط تحت شكل الخبز. وبقوة كلمات تقديس الكاس يوجد الدم فقط تحت شكل الخمر. وبهذا كفاية. ولو كان بوجه العرض ومن اجل المرافقة الطبيعية يوجد المسيح كلهُ تحت كل من الشكلين على ان التقديس هو فعل من شأنهِ ان يضع جسد المسيح منفصلاً من دمهِ ودمهُ منفصلاً عن جسدهِ. ولولم

يتم هذا فعلاً لعدم امكان موت المسيح ثانية بعد انبعاثهِ من الموت كما قررنا في الفصل الاول والثاني من القسم الثاني. هذا ما ذهب اليهِ سوارس. اما المعلم سكوتوس وآخرون غيره فزعموا ان تناول الكاهن السر هو الشيء الوحيد الضروري جوهرياً لذبيحة القداس فيسلمون ان التقديس هو شيء يتقدم ذبيحة القداس ويسبقها. الّا انهم يقولون ان هذا ليس هو ضرورياً بضرورة جوهرية لماهية الذبيحة. غير ان المعلم بارمينوس [1] يؤكد ان التقديس وتناول الكاهن السر يخصان ماهية ذبيحة القداس. لانهُ في التقديس يذبح السيد المسيح على نوع ما ذبحاً سرياً. كما سبق تقرير ذلك هنا وفي الفصل الاول من القسم الثاني. اما في تناول الكاهن السر فيوجد التغيير والتلاشي الحقيقي الذي على زعم كثيرين من المعلمين يخص الذبيحة ذاتياً. والحال انهُ في التناول فقط يوجد ما ذكرنا. على انهُ وان كان من المستحيل ان يموت المسيح الّا انهُ تعالى في تناول الكاهن السر يعدم وجودهُ السري كما سبق تقرير ذلك

﴿السؤال الخامس﴾ هل التقديس تحت شكل واحد يكفي لماهية ذبيحة القداس مع تناول الكاهن السر

الجواب: لا يكفي. لان التقديس تحت شكل واحد لا يعني تقدمة السيد المسيح السرية القائمة في انهُ بقوة كلمات التقديس يوجد جسد المسيح تحت شكلٍ واحدٍ ودمهُ تحت الشكل الآخر

(السؤال السادس) لاي سبب رام السيد المسيح ان يرسم هذه الذبيحة تحت اشكال الخبز والخمر

الجواب: ان الاسباب لذلك متعددة. واخصها ثلثة (اولاً) لانهما يظهران جلياً ذبيحة الامهِ الدموية وآثارها وفي بيان ذلك نقول: لا شيء من الموجودات يتألم بمقدار ما تتألم الحنطة قبل ان تصير طعاماً. والعنب قبل ان يصير مشروباً. فالحنطة اذا بلغت من النضج حدها. تقطع بمنجل الحصاد. ثم تدرس فتذرى فتغربل فتطحن فتنخل فتعجن فتلقى في التنور. ثم تكسر باليد وتمضغ بالاسنان. وتستحيل الى جوهرنا. فمن والحالة هذه لا يرى انهُ قد تم مثل ذلك في سيدنا يسوع المسيح. على انهُ تجسد قبل ان صار طعامنا الروحي وقطع بمنجل الموت. ودرس بمدرس الصليب والمسامير. وتذرى وتغربل باضطهادات عديدة. في محكماتٍ مختلفة. وطحن بضرب السياط. والقي في تنور اتعابٍ

---

١ وهذا هو الرأي الذي اليهِ ذهب القديس الفونسيوس ليكوري ايضاً

مؤلمة مستطيلة . ولذلك أحبَّ ان يختفي تحت اعراض الخبز لكي نذكر اوجاعهُ ونشكره في هذا السر على ما احتملهُ لاجلنا . ولهذا السبب ايضًا جعل دمهُ تحت اعراض الخمر التي قبل ان تكون مشربنا تداس بارجل الناس وتعصر في المعصرة وحينئذٍ تنفصل من العنب حيث كانت قبلاً . وتدعهُ يابسًا . خاويًا من مائهِ . فهكذا السيد المسيح قبل ان يمنحنا دمهُ لنشربهُ قد ديس بارجل اعدائهِ وعصر في معصرة الصليب بهذا المقدار حتى انهُ لم يبقَ فيهِ نقطة من دمهِ

(ثانيًا) لاجل ما يوجد فيهما من الخواص والمفعولات التي ترسم لنا مفعولات جسد المسيح ودمهِ السرية . على ان الخبز هو الطعام العام الضروري جدًّا لصيانة حيوة الجسد وحفظهِ وتقويتهِ . فهكذا هذا الطعام الروحي يصون حيوة النفس و يقيها من الموت الروحي . و يقويها بهذه الحيوة الروحية عينها . اما الخمر فمن خواصها ان تسخن الجسد وتفرّح القلب وتذهل الحواس . هكذا هذا المشروب الروحي الالهي يضرم الروح الفاترة والباردة في المحبة ويحوّلها من كونها اما فاترة او باردة في العبادة الى كونها حارّة فيها . وعلى هذا النحو يبهجها و يفرحها مزيلاً من قلبها كل حزن وغم فيذهلها و يسكرها عن كل لذة وخير عالمي (ثالثًا) لان الخبز والخمر هما مجموع قد تركب من حباتٍ وعنباتٍ كثيرة مجرَّدة من جوهرها الكثيف . فهما يرسمان لنا جيدًا اتحاد المؤمنين الذين يجتمعون بوحدة الايمان والارادة . ليقدموا هذه الذبيحة الالهية ولكي يشتركوا فيها بتناول السر . فانهم يتجرّدون متطهرين من زلاتهم ونقائصهم . و يصيرون جسدًا واحدًا روحيًا كاملاً متحدًا بروح المحبة . كما قال الرسول « كاس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح . والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فانا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ جسدٌ واحدٌ لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كورنثوس ١٠ : ١٦ و١٧)

(السؤال السابع) يطلق على القربان المقدس تسمية سر . وذبيحة . ففي ايّ وقتٍ تطلق عليهِ هاتان التسميتان بالانفراد وما الفرق بين كونهِ سرًّا او كونهِ ذبيحة

الجواب لقد عرفت مما تقدم ان حقيقة الذبيحة قائمة في كونها تقدم بواسطة الكاهن في القداس وتكمل حينئذٍ فيها الافعال التي تقتضيها ماهية الذبيحة وهي التقديس والفناء . ففي هذا المحل يطلق على القربان اسم ذبيحة ونقدمة . اما بعد التقديس وذلك عندما يصان القربان المقدس في التابوت لاجل تناول الاصحاء والمرضى فلا يسمى ذبيحة لانهُ لا توجد فيهِ حينئذٍ حقيقتها وقوتها . بل يدعى سرًّا دائمًا بدوام الاعراض السرية . اما الفرق

ما بين كونهِ سرًّا وكونهِ ذبيحةً فهو انَّ السر من حيث هو سرٌّ انما يفيد متناوليهِ فقط كسائر الاسرار. اذ يمنح النعمة و باقي المفعولات المختصة بهِ. واما من حيث انهُ ذبيحة فلا يفيد متناوليهِ فقط بل الذين يقدمونهُ ايضًا والمقدم من اجلهم كما سنوضح ذلك في جواب السؤال التاسع هنا

(السؤال الثامن) ما الفرق بين ذبيحة الصليب. وذبيحة القداس. التي نعمل لتذكارها و بالتالي بمَ يتميز هذا السر المصنوع بهذه الذبيحة اي ذبيحة القداس عن ذلك السر المصنوع في العشاء السري

الجواب اعلم ان ذبيحة القداس الالهي هي عين الذبيحة التي قدمها السيد المسيح في العشاء السري امام رسلهِ وهي ايضًا عين ذبيحة الصليب . وذلك من حيث الذات والحقيقة. اي من حيث احتوائها على حقيقة جسد المسيح ودمهِ الالهيين الاطهرين. غير ان الفرق بين ذبيحة القداس و بينها هو ان ذبيحة العشاء السري كانت في ذلك القداس الذي صار وقتئذٍ (اولاً) وفائية وذات استحقاق من قبل اقنوم المسيح الذي كان حينئذٍ بحال مسافر. ومن ثم كان قابلاً لان يستحق. اما في ذبيحة القداس فانهُ يوجد غير مستحق شيئًا جديدًا . بل يمنحنا بواسطتها ما كان قد اكتسبهُ على الارض من الاستحقاق والوفاء (ثانيًا) ان المسيح كان في ذبيحة قداس العشاء السري قابلاً الآلام والموت. واما في ذبيحة القداس الآن فهو غير قابل الآلام والموت بل متصف بمجدٍ و بهاءٍ اعظم اما الفرق بينها و بين ذبيحة الصليب فقائمٌ (اولاً) في ان تلك الذبيحة كانت دموية. واما ذبيحة القداس فغير دموية (ثانيًا) ان السيد المسيح قدم ذاتهُ ذبيحة على الصليب بتقدمة ذاتهِ للموت تقدمة اختيارية. اما في ذبيحة القداس فانهُ يقدم نفسهُ تذكرة وصورة لآلامهِ وموتهِ (ثالثًا) ان ذبيحة الصليب هي الذبيحة الوحيدة الفريدة المختصة بالتطهير والافتداء والوفاء عن جميع الخطايا والذنوب. لان المسيح قد ادى بها ثمنًا كافيًا عن جميع الخطايا التي فعلت والتي ستفعل من البشر. و بالنتيجة هي علة خلاصنا العامة المطلقة اما ذبيحة القداس فليست هي ذبيحة الوفاء والافتداء بل ذبيحة الوصول بما انها توصل الينا افتداء المسيح ووفاءهُ المكمل على عود الصليب . وتمنحنا ثمن الدم المهراق في تلك الذبيحة الاولى واستحقاقاتها . على اننا لسنا نقدم في القداس ثمنًا جديدًا عن الخطايا . بل نوصل الينا الثمن الاول القديم المتمم على الصليب . كما اننا نوصلهُ ايضًا الى ذواتنا بواسطة العماد وسائر الاسرار وغيرها من الاعمال الصالحة . فاذًا ذبيحة القداس وذبيحة العشاء السري وذبيحة الصليب ذبيحة واحدة

من حيث الذات والحقيقة والكاهن المقدم الاصلي الذي هو السيد المسيح

(السؤال التاسع) ما هي مفعولات ذبيحة القداس الالهي واثمارها

الجواب: (اولاً) بذبيحة القداس ينال الخطأة نعمةً . وبها يحصلون على الندامة الكاملة التي تعدهم لقبول النعمة المبررة (ثانياً) يكتسب الابرار بقوة هذه الذبيحة مغفرة خطاياهم العرضية . و يكمل ذلك بطريقين . اما بطريق الاستماحة . وذلك حينما ينالون عوناً لبغض تلك الخطايا . واما بطريق الوفاء وذلك حينما يقدس البار او يحضر قداساً و يطلب ان يقدس لاجلهِ بحسب هذه النية . حيث ان هذا الغفران لا ينالهُ البار اذا كان مرتضياً بها او قاصداً ان يستمر فيها . لان استعداد قلبهِ هذا يمنع عنهُ نعمة الغفران ولو تناول السر الالهي كما علم العلماء (ثالثاً) ننال من الله بواسطتها زيادة النعمة والفضيلة والمواهب الفائقة على الطبيعة (رابعاً ننال بهذه الذبيحة كل الخيرات الزمنية بحسبما هي مفيدة لخلاصنا (خامساً) ننال بها مغفرة العذاب الذي تقتضيهِ زلاتنا ان كان هذا الوفاء هو مفعول ذبيحة القداس الاخص التي من شانها ان تغفر العذاب الباقي بعد مغفرة الذنوب . إما كلهُ واما جزءًا منهُ . على انهُ تعالى قد حدد درجات الوفاء العتيد ان يعطى في كل قداس وعين مقدار هذا الوفاء الذي لا يمكننا ان نعرفهُ . و بالنتيجة انهُ تعالى حدَّد ايضاً العذاب العتيد ان يتركهُ بواسطة هذا الوفاء و بما ان هذا المفعول محدود في كل قداس فيحتاج الامر اذاً ان تكثر تقدمة القداسات ليترك العقاب بالكلية ان كان كثيراً

(السؤال العاشر) كيف ثمرة ذبيحة القداس متناهية وغير متناهية

الجواب: اعلم ان ذبيحة القداس تعتبر (اولاً) نظراً الى الشيء المقدَّم والى مقدمها الاصلي والاخص وهو سيدنا يسوع المسيح الذي لا حدَّ لعظمتهِ وعزتهِ واستحقاقاتهِ (ثانياً) تعتبر بالنظر الى ما يقدمهُ السيد المسيح بها لابيهِ السماوي من الاكرام الغير المتناهي والشكر الذي لاحدَّ لثمنهِ (ثالثاً) تعتبر من حيث هي وفائية ومستميحة فاذ نقرر ذلك نقول:

ان ثمن ذبيحة القداس غير متناهٍ نظراً الى الاعتبار الاول والثاني واما نظراً الى الاعتبار الثالث فالثمن متناهٍ فاذاً الثمرة الواصلة للبشر من ذبيحة القداس بحسب هذا الاعتبار اي من حيث هي وفائية هي دائماً متناهية ولا تصدر الاَّ فعلاً متناهياً . ومن ثم يستفيد المؤمن بقداسات كثيرة اكثر مما يستفيد بقداس واحدٍ وقال العلماء هنا ان ذبيحة القداس بحسب الاعتبار الاول وإن مقدَّمة لاجل كثيرين تنفع كل واحد منهم بمقدار ما كانت تنفع شخصاً واحداً ولو قدمت لاجلهِ فقط . وذلك لانَّ قوة القداس بحسب هذا الاعتبار

تتولد من مجرد عزة السيد المسيح الغير المتناهية . ومن رحمتهِ وسخائهِ الغير المحدود . اما اذا اعتبرنا ذبيحة القداس من حيث هي وفائية ومانحة ترك العذاب المستوجب لنا لاجل خطايانا فانها اذا قدمت لاجل كثيرين ينقص نفع ثمرتها في كل واحدٍ منهم بمقدار عدد الذين قدمت لاجلهم . وذلك لان الوفاء او ترك العذاب الذي يصير بتقدمة هذه الذبيحة الالهية هو محدود من السيد المسيح ومعين منهُ تعالى في كل قداس كما سبق تقرير ذالك في جواب السؤال السابق . ومن ثمَّ ينقص اذا انقسم بين كثيرين

(السؤال الحادي عشر) هل فاعلية ذبيحة القداس اذ تقدم من كاهن شرير تكون كفاعليتها حينما يقدمها كاهن صالح

الجواب : ان الفاعلية هي واحدة نظرًا الى المفعول الصادر من ذبيحة القداس بالفعل المفعول . لان هذا المفعول ليس بمتعلق باستعداد الخادم . اما نظرًا الى المفعول الصادر من ذبيحة القداس بفعل الفاعل فمن المحقق ان فاعلية القداس تكون اعظم وانقص : على حسب حسن استعداد الخادم او نقصهِ . لكون هذا المفعول متعلقًا باستعداد الخادم . ومن هذا القبيل ان القداس المقدم من بارّ صديق هو اكثر فائدة من قداس كاهن خاطئ منافق . ويحسن بالمؤمنين الذين يطلبون تقدمة القداس الالهي ان يطلبوا ذلك من كهنة اتقياء

(السؤال الثاني عشر) ما هي الاسباب التي حركت السيد المسيح ان يشترع هذه الذبيحة . ولِمَ رام ان تكون دائمًا الى انقضاء الدهور

اجيب اولاً عن القسم الاول من السؤال ان الاسباب لذلك متعددة (اولها) انهُ لما كانت كل عبادة مقدمة منا لله هي حقيرة ومتناهية معًا من حيث هي مخلوقة وصادرة عن مبدإٍ متناهٍ . رام السيد المسيح ان يجعل في كنيستهِ سرًّا شريفًا الهيًا وذبيحة تحتوي على اقنوم الهي . لكي نقدم بها لله عبادة متساوية . وتؤدي لهُ سجودًا بمقدار ما لهُ من الحق والاستحقاق (ثانيها) ليترك لنا مثال حياتهِ وآلامهِ لكي نتذكر على الدوام فداءهُ وخلاصهُ الذي فعلهُ معنا كما سبق ايرادهُ في الفصل السابع من المقدمة (ثالثها) ليظهر عظمة محبتهِ نحو المؤمنين . لانهُ لما كان سبق فاتحد بجسدنا اتحادًا اقنوميًا بسر التجسد رام ان نتحد معهُ اتحادًا سريًا في سر الافخارستيا (رابعها) لكي يسوقنا بهذه الذبيحة نحو ممارسة كل فضيلة لاننا نمارس بها الفضائل الالهية الثلاث وغيرها من الفضائل الادبية

اجيب ثانيًا عن القسم الثاني من السؤال ان السيد المسيح رام ان تكون هذه الذبيحة

دائمة الى انقضاء الدهور لانهُ لما كان من الممتنع ان يكون ناموس بغير كهنوت ولا ذبيحة وكان قد ابطل الناموس العتيق وذبائحهُ كلها مع كهنوت هرون كما قال الرسول كان من الواجب ان يتجدَّد هذا كلهُ و يستقيم في ناموس النعمة بوضع كهنوت دائم ورسم ذبيحة دائمة يدومان ما دام الناموس الانجيلي الذي يدوم الى انتهاء العالم . وما عدا ذلك ان دوامها يكون دليلاً على محبتهِ الدائمة لكنيستهِ وعلامةً لجزيل عنايتهِ بها

فحسبنا الان ما قلنا بهذا الباب جاعلين ايضاً غاية الكتاب حمد ذلك الملك الوهاب الذي هو الاوَّل والاخر مسدين الشكر للخروف الذبيح الذي جاد علينا بذبيحة الشكر الطاهرة فلهُ مع ابيه وروحه القدوس الحمد المؤبد والثناء السرمد

امين

تمَّ الكتاب بعون الملك الوهاب

فهرس الكتاب

القسم الاول

* قد سهت المطبعة عن تغيير ارقام صفحات الكراس السادس فجاءَت مثل ارقام الكراس الخامس فوضعنا هنا ارقام الصفحات الصحيحة اما الارقام المغلوطة فجعلناها بحذائها بين هلالين للتنبيه

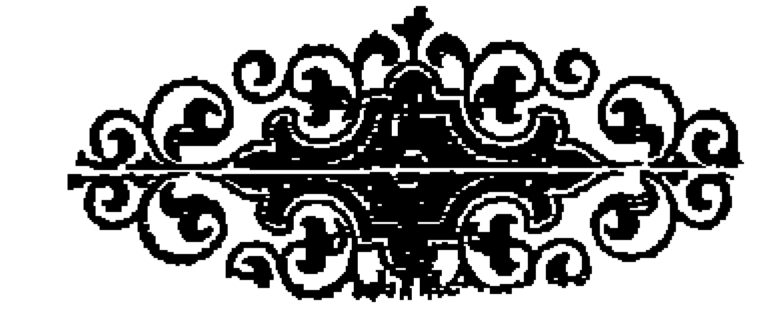
القسم الثاني

القسم الثالث

من شرح القداس يتضمن ايضاح مدلولات ما يشتمل عليهِ الجزء الثالث من الذبيحة و يشتمل على اثني عشر فصلاً

الخاتمة

في الانديذورون . وخدمة البر وجيازمانا . وحل بعض
مشاكل تخص الذبيحة . وهي ثلاثة فصول



اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٥	٣	مؤمبنه	مؤمنيهِ
١١	١	صيروة	صيرورة
١٥	١٦	المزمور ١٣	٨٣
١٧	١٩	تلزم	هل تلزم
٢٣	٠٢	ثبت	شئت
٣٦	٠٦	لوقا البشير لوقا	البشير لوقا
٣٧	٠٦	والحر	والحربة
٤١	١٧	جميعهُ	جميعهِ
٤٢	١٣	عاانهُ	على انهُ
٤٤	٢٧	اذبح	ليذبح
٤٨	٠١	اعادة	عادة
"	١٩	و باعكس	و بالعكس
٤٩	٣١	ارسل	يامن ارسل
٤٤	٣٠	والاشارات	الاشارات
٥٣	٢٠	يقول	نقول
٥٨	٠٣	بطرس ٣ : ٩	٣ بطرس ٣ : ٩
٢٥	٢٤	ممتنع في الكنيسة	ممتنع في زمان الصوم الاربعيني في الكنيسة
٦٣	١٣	عبرانيين ١ : ٣	عبرانيين ١ : ٦
٦٣	٣٣	الى الاقنوم	الى هذا الاقنوم
٦٨	٢٧	قا ل الرسل	قا ل الرسول

صفحة	سطر	خطاء	صوابهُ
٥٦(٧٣)	١٣	يكلفنا	يكفنا
٦١(٧٧)	١١	يصنع	لكي يصنع
٦٦(٨٣)	١٦	تيموثاوس٤ . ٨	١ : تيموثاوس ٤ : ٨
٦٣(٧٩)	١٥	رئيس	رئاسة
"	١٦	الآخ	الآخر
٨٩	٢١	اكورنثوس	٢ كورنثوس
٩١	٢٥	حو	نحو
٩٣	٠٧	ويرتبه	ويرتلهُ
٩٤	٠٨	بارادة	بارادة
٩٥	٢٢	ويسجدوا	وسجدوا
٩٨	١٣	بنتج	ينتج
١٠١	٠٣	اكورنثوس ١ : ٢٣	اكورنثوس ١١ : ٢٣
١٠٣	٠٨	محاورتة	محاورتهِ
.	٢٨	تكون	وتكون
١١٣	١٠	يوحنا٥ : ٥	يوحنا٤ : ٥٠
١١٤	١٩	على	عن
١٣٠	٠٦	ونتقدس	لنتقدس
١٣٦	٠٤	نقدم	نقدم
"	٣٣	متناولها	متناوليها
١٣٠	٠٣	يوحنا ٣ : ١٤	يوحنا ٣ عد ٣٣
١٣١	١٤	على	عليها
١٣٥	١٤	الاتحاد	الاتحاد
١٤٣	١٣	جميعنا	جميعًا
١٤٧	١٧	وفي	وما في
١٥٣	١٧	(١١)	(٣٠)

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٥٢	٣٠	المومنون	المومنين
١٦٢	١٦	وهد	قد
	٣٠	يوحنا ٦ : ٥	يوحنا ٦ : ٥٧

